الكشف والبيان

المعروف

تفسير الثعلبي

للإمام الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي

ت ٤٢٧ هـ

دراسة وتحقيق

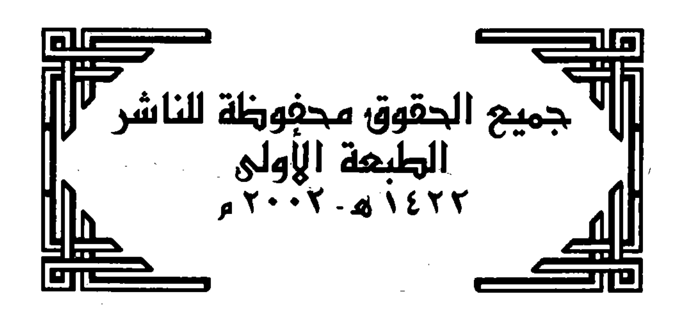
الإمام أبي محمد بن عاشور

مراجعة وتدقيق

الأستاذ نظير الساعدي

الجزء الأول





DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

الكَشْفُ وَالبَيَان

المَعْرُوف

تفسير الثعلبي



ترجمة الثعلبي

(ت ٤٢٧ هـ ـ ١٠٣٥ م)

هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، اقترن واشتهر اسمه باسم تفسيره، حتى عُرف تفسيره باسم (تفسير الثعلبي) والذي هو في الحقيقة (الكشف والبيان في تفسير القرآن) وبسبب كثرة شيوع الكتاب وانتشاره في البلدان ولسهولة النسبة لمؤلفه سُمّي بالأول، وترجم له كثير من أصحاب التراجم والسير في كتبهم، منهم:

ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (١ / ٧٩ ـ ٨٠):

أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري، المفسّر المشهور، كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف (التفسير الكبير) الذي فاق غيره من التفاسير، وقال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي وهو لقب لا نسب، روى عن جماعة، وكان حافظاً عالماً بارعاً في العربية موثّقاً، أخذ عنه أبو الحسن الواحدي، وقد جاء عن أبي القاسم القشيري قال: رأيت ربّ العزّة في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الربّ جلّ اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفتّ فإذا أحمد الثعلبي مقبل.

وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في (تاريخ نيسابور) وأثنى عليه وقال: وهو صحيح النقل موثوق به، حدّث عن أبي طاهر بن خزيمة، والإمام أبي بكر بن مهران المقرىء، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، توفّى سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٧: ٣٠٧ ترجمة ٣٢٩٩):

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء، وذكر ما تقدم.

ياقوت في «معجم الأُدباء» (٥: ٣٦ / ٥):

المفسّر، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس، المعروف بتفسير الثعلبي، مات ـ فيما ذكره عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري، ونقلته من حاشية كتاب «الإكمال» لابن ماكولا، في محرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، فقال: أبو إسحاق الثعلبي المفسّر، جليل، خراساني، وذكر وفاته. وذكره عبد الغفّار في السياق فقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي،

المقرىء، المفسّر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، ولكمال أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك ممّا لا يحتاج إلى ذكره لشهرته، وهو صحيح النقل موثوق به، حدَّث عن أبي طاهر بن خزيمة، وأبي بكر بن مهران المقرىء، وأبي بكر بن هانىء، وأبي بكر بن الطرّازي، والمخلدي، والخفاف، وأبي محمد بن الرومي، وطبقتهم. وهو كثير الحديث، كثير الشيوخ ـ وذكر وفاته كما تقدم ـ.

قال: وسمع منه الواحدي التفسير وأخذه منه، وأثنى عليه، وحدّث عنه بإسناد رفعه إلى عاصم، قال: الرياسة بالحديث رياسة نذلة، إن أصحّ الشيخ وحفظ وصدقَ فاحمى، قالوا: هذا شيخ كيّس. وإذا وهم قالوا: شيخ كذّاب. وله كتاب ربيع المذكّرين.

ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢ / ٤٣):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي:

ويقال الثعلبي أيضاً، وهو لقب وليس بنسبة، النيسابوري المفسر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء(عليهم السلام) وغير ذلك، وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير، وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيشابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به، توفّي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وقال غيره: توفّي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم منها، ورؤيت له منامات صالحة (رحمه الله)، وقال السمعاني: ونيسابور كانت مغصبة[1] فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة.

السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٤: ٥٨ ـ ٥٩ / ترجمة ٢٦٧):

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي: صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء(عليهم السلام) . . . إلى أن قال: روى عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي، وأبي بكر بن هانىء، وأبي بكر بن مهران المقرىء، وجماعة. وعنه أخذ أبو الحسن الواحدي، ثم ذكر رؤيا القشيري. . .، ومن شعر الثعلبي:

وإنّي لأدعو الله والأمر ضيّق ... عليَّ فما ينفكّ أن يتفرّجا
ورُبَّ فتى سُدّت عليه وجوهه ... أصاب له في دعوة الله مخرجا

توفّي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

---

(١) المغصبة: قرية صغيرة.

ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ٢ / ٢٣٠:

سنة سبع وعشرين وأربعمائة: فيها توفّي أبو إسحاق الثعالبي أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المفسّر، روى عن أبي محمد المخلدي وطبقته من أصحاب السراج، وكان حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة، قاله في العبر، وقال ابن خلكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء وغير ذلك... ثم ذكر قول السمعاني.

القفطي في إنباه الرواة على أنباه النحاة (١: ١٥٤ / ترجمة ٥٩):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الأستاذ أبو إسحاق الثعالبي.

ويقال: الثعلبي، المقرىء، المفسّر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات، توفّي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

وله (التفسير الكبير) و (العرائس) في قصص الأنبياء، ونحو ذلك. وسمع منه الواحدي التفسير، وأخذ عنه. ثم ذكر ما قاله القشيري.

الزركلي في «الأعلام» (١ / ٢١٢):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسّر، من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ، من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و (الكشف والبيان في تفسير القرآن) يُعرف بتفسير الثعلبي.

كحالة في «معجم المؤلفين» (٢ / ٦٠):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (أبو إسحاق) مفسّر، مقرىء، واعظ، أديب، توفّي لسبع بقين من المحرم، من تصانيفه: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، «العرائس في قصص الأنبياء»، و «ربيع المذكرين».

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه

ألقى مؤلف هذا التفسير ضوءاً عليه في مقدمته، وأوضح فيها عن منهجه وطريقته التي سلكها فيه، فذكر أولا اختلافه منذ الصغر إلى العلماء، واجتهاده في الإقتباس من علم التفسير الذي هو أساس الدين ورأس العلوم الشرعية، ومواصلته ظلام الليل بضوء الصباح بعزم أكيد وجهد جهيد، حتى رزقه الله ما عرف به الحق من الباطل، والمفضول من الفاضل، والحديث من القديم، والبدعة من السنّة، والحجة من الشبهة، وظهر له أن المصنفين في تفسير القرآن فرق على طرق مختلفة:

فرقة أهل البدع والأهواء، وعدّ منهم الجبائي والرماني.

وفرقة من ألّفوا فأحسنوا، إلاّ أنّهم خلطوا أباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين، وعدّ منهم أبا بكر القفال.

وفرقة اقتصر أصحابها على الرواية والنقل دون الدراية والنقد، وعدّ منهم أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

وفرقة حذفت الإسناد الذي هو الركن والعماد، ونقلت من الصحف والدفاتر، وحررت على هوى الخواطر، وذكرت الغث والسمين، والواهي والمتين، قال: وليسوا في عداد العلماء، فصنت الكتاب عن ذكرهم.

وفرقة حازوا قصب السبق في جودة التصنيف والحذق، غير أنهم طوّلوا في كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وعدّ منهم ابن جرير الطبري.

وفرقة جردت التفسير دون الأحكام وبيان الحلال والحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات، كمشايخ السلف الماضين، مثل مجاهد والسدي والكلبي.

ثم بيّن أنّه لم يعثر في كتب من تقدمه على كتاب جامع مهذب يعتمد عليه، ثم ذكر ما كان من رغبة الناس إليه في إخراج كتاب في تفسير القرآن وإجابته لمطلوبهم، رعاية منه لحقوقهم، وتقرباً به إلى الله سبحانه وتعالى...

ثم قال: ثم استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب، شامل، مهذّب، ملخّص، مفهوم، منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات، سوى ما التقطته من التعليقات والأجزاء المتفرقات، وتلقفته عن أقوام من المشايخ الأثبات، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ، نسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب.

ثم قال: وخرّجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً: البسائط والمقدمات، والعدد والترتيلات، والقصص والرويات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغوامض والمشكلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات، والفضائل والكرامات، والأخبار والمتعلقات. أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأبواب، وسمّيته (كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

ثم ذكر في أول الكتاب ـ كما يأتي ـ أسانيده إلى من يروي عنهم التفسير من علماء السلف، واكتفى بذلك عن ذكرها في أثناء الكتاب، كما ذكر أسانيده إلى مصنّفات أهل عصره ـ

وهي كثيرة ـ وكتب الغريب والمشكل والقراءات، ثم ذكر باباً في فضل القرآن وأهله، وباباً في معنى التفسير والتأويل، ثم شرع في التفسير.

والحق أنّ هذا التفسير من التفاسير المعتبرة، حيث فسّره بما جاء عن السلف مع اختصاره للأسانيد، اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب، وأنّه يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسّع ظاهر، كما في الآية (٩٠) من سورة البقرة عند ذكر نعم وبئس.

كما أنّه يعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي، فمثلا عندما يصل إلى تفسير الآية (١٧١) من سورة البقرة نجده يحلل كلمة (ينعق) تحليلا دقيقاً ويصرفها على وجوهها كلها.

وهكذا عند تفسير الآية (١٧٣) من السورة نفسها يحلل لفظ (البغي) ويتكلم عن أصل المادة بتوسّع.

ويتوسع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام، فتراه يذكر الأقوال والخلافات والأدلة ويتعرض للمسألة من جميع نواحيها.

فمثلا عند تفسير الآية (١١) من سورة النساء فإنّه يفيض في الكلام عمّا يفعل بتركة الميّت بعد موته، ثم يذكر جملة الورثة والسهام المحددة، ومن فَرْضه الربع، ومن فرضه الثمن، والثلثان، والثلث، والسدس. . . وهكذا، ثم يعرض لنصيب الجدّ والجدّة والجدّات، ثم يقول بعد هذا: فصل في بساط الآية، وفيه يتكلم عن نظام الميراث عند الجاهلية وقبل مبعث الرسول ﷺ.

ونجده عند تفسير الآية (٢٤) من سورة النساء يتوسع في نكاح المتعة ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم بتوسع ظاهر.

وعند ذكر الآية (٣١) من سورة النساء فإنّه يقول: (فصل في أقاويل أهل التأويل في عدد الكبائر، مجموعة من الكتاب والسنّة، مقرونة بالدليل والحجة) ثم يسردها جميعاً ويذكر أدلتها على وجه التفصيل.

وعند تفسير الآية (٤٣) من سورة النساء فإنّه يعرض أقوال السلف في معنى (اللمس والملامسة) ثم يقول:

واختلف الفقهاء في حكم الآية على خمسة مذاهب.

ويتوسع على الخصوص في بيان مذهب الشافعي ويسرد أدلته ويذكر تفصيل كيفية الملامسة عنده، كما يعرض لأقوال العلماء في التيمم ومذاهبهم وأدلتهم بتوسع ظاهر عندما يتكلم عن قوله تعالى **﴿فتيمّموا صعيداً طيباً﴾**.

وذكر فضائل أهل البيت رضي الله عنهم عند ذكر الآيات النازلة في حقّهم، وبالخصوص الآيات النازلة في حق علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه عن السلف الصالح.

وهكذا يتطرق الكتاب إلى نواح علمية متعددة لايكاد يجدها القارىء في كتاب تفسيري آخر.

وكان هذا التفسير ولا زال مصدراً من المصادر الإسلامية التي يرجع إليها حتى عند كثير من المفسرين، وأهل التاريخ والحديث وغيرهم.

عملنا في التفسير

اعتمدنا في تحقيق التفسير (الكشف والبيان) على أربعة نسخ: الأولى من أول القرآن الكريم الى آخره سورة الكهف وهي مصورة عن مكتبة جستربيتي دبلين في إيرلندا الجنوبية تحت رقم (٣٦١٧)، وخطها قديم جداً وفيها سقط ومسح كثير.

والثانية: نسخة مصورة عن مخطوطة المرعشي في قم تحت رقم (٤٢٦) من أول سورة الكهف الى آخر القرآن، باستثناء آخر سورة الرحمن وسورة الواقعة وبداية الحديد، وخطها أفضل من الأولى، مع وجود بعض الكلام غير المقروء.

والنسخة الثالثة مصورة عن مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق الرقم (٧٨٨١) يعود كتابتها إلى القرن الحادي عشر، وتحتوي على الجزء الثالث وقسم من الجزء الخامس من التفسير، وأخذنا منها نهاية سورة الرحمن وسورة الواقعة وبداية سورة الحديد.

ومن هذه النسخ الثلاثة لفّقنا نسخة الأصل واعتمدنا على إخراج هذا الكتاب.

والنسخة الرابعة غير كاملة، من آية ١٨ من سورة الكهف الى آية ٦٩ من سورة المؤمن (غافر)، مصورة عن مكتبة أصفهان، وهي واضحة الألفاظ وبخط جيد نسبياً، يعود كتابتها إلى سنة ١١٠٠ هـ تقريباً، وقد أشرنا إليها في الهامش عند وجود التفاوت بينها وبين النسخة الكاملة الملفقة.

وواجهتنا مشكلة لقدم المخطوط، وهي أسماء رجال السند المتشابهة، وحاولنا حلها من كتب الرجال، والتفاسير التي تذكر الأسانيد.

مع وجود كلام كبير غير المقروء أو بياض في نسخة الأصل وبعض النسخ الأُخرى، حاولنا تكملته من المصادر التي نقل عنها الثعلبي، أو المصادر التي نقلت عنه، كتفسير ابن جرير الطبري وتفسير القرطبي وتفسير ابن كثير، وزاد المسير لابن الجوزي وغيرها من التفاسير، وكالكتب التي تحدثت عن علوم القرآن ككتاب البرهان وأحكام القرآن للجصاص وللنحاس والإحكام لابن حزم.

كما وكنا نعرض الحديث الشريف وأقوال الصحابة على كتب الحديث والصحاح والمعاجم لضبط النص وتخريجه.

وأما الأشعار فكانت فيها صعوبة واضطراب، من ناحية الوزن والضبط، حاولنا بالإستفادة

من بعض الشعراء لحلّ قسم منها، وحاولنا من بعض التفاسير وكتب اللغة والمعاجم حلّ القسم الآخر.

وأما الألفاظ المبهمة فضبطناها وشرحناها من كتب اللغة والتفاسير الأُخرى.

كما وعرضنا الآيات القرآنية المستشهد بها على المصحف الشريف وخرّجناها منه.

كلمة شكر:

هذا ونشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع أمثال الأخ السيد محمد الموسوي الناصري والمحقق الأخ العزيز الشيخ ماجد العطية، والأخ المحقق الشيخ أبو علي فرج الله، والأخ كريم راضي الواسطي، والأخ الشيخ أبو مسلم الساعدي وغيرهم من الإخوة الأفاضل.

ونخصّ بالشكر سماحة السيد محمد رضا الجلالي وسماحة السيد الأبطحي والشيخ محمد باقر المحمودي الذين كانت لهم يد العون في الحصول على بعض صور المخطوط.

والحمد لله رب العالمين

علي عاشور

بالزيادة والنقص يعني الشيطان ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ فلا يستطيع ان يغيّره او يزيد او ينقص وقال
سعيد بن جبير يعني لا يأتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه وقيل لا يأتيه ما يبطله ويكذبه من الكتب المتقدمة بل هو موافق لها مصدق
ولا يجي بعده كتاب يبطله وينسخه بل هو موافق لها مصدق عن الكلبي ﴿تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك﴾
من الاذى ﴿الا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ يعزي نبيه صلى الله عليه ﴿ان ربك لذو مغفرة﴾
لمن تاب ﴿وذو عقاب اليم﴾ لمن اصر ﴿ولو جعلناه قرانا اعجميا﴾ بغير لغة العربية ﴿لقالوا
لولا فصلت﴾ بينت ﴿اياته﴾ بالعربية حتى نفقهها فانا قوم عرب ما لنا وللعجمية ﴿ااعجمي وعربي﴾ يعني
الكتاب اعجمي ونبي عربي قال مقاتل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه كان يدخل على يسار غلام ابن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا
يكنى ابا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فاخذه سيده عامر بن الحضرمي وضربه وقال انك تعلم محمدا فقال يسار بل هو يعلمني فانزل الله تعالى
هذه الاية وقرا الحسن اعجمي بهمزة واحدة على الخبر وكذلك رواه هشام عن اهل الشام ووجهه ما روى جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير
قال قالت قريش لولا انزل هذا القران اعجميا وعربيا حتى يكون بعض اياته اعجميا وبعضها عربيا فانزل الله تعالى هذه الاية وانزل في القران
بكل لسان منه السجيل وهي فارسية عربت سنك وكل والقراءة الصحيحة قراءة العامة بالاستفهام على التاويل الاول
﴿قل هو للذين امنوا هدى وشفا والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم
عمى﴾ اخبرنا احمد بن نعيم اخبرنا الحسين بن الحسن بن ايوب اخبرنا علي بن عبد العزيز اخبرنا القاسم بن سلام حدثنا حجاج بن ايوب عن شعبة عن موسى بن
ابي عائشة عن سليمان بن قته عن ابن عباس ومعوية وعمرو بن العاص انهم كانوا يقرون هذا الحرف بجر الميم وهو عليهم عمٍ وقراءة
الناس بفتح الميم على المصدر واختاره ابو عبيد قال لقوله هدى وشفا فكذلك عمى مصدر مثلها ولو اراد نعتا لقال هادٍ وشافٍ لكان الكسر في
عمٍ اجود ليكون نعتا مثلهما ﴿اولئك ينادون من مكان بعيد﴾ قال بعض اهل المعاني قوله اولئك
ينادون من مكان بعيد خبر لقوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وحدثت عن محمد بن جرير قال حدثني شيخ من اهل العلم قال
سمعت عيسى بن عمر يقول سال عمرو بن عبيد ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم اين خبره فقال عمرو معناه في التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
كفروا به وانه لكتاب عزيز فقال عيسى بن عمر اجدت يا ابا عثمان وقوله تعالى ينادون من مكان بعيد قيل لقلة استماعهم و
انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون الى الايمان بالقران من حيث لا يسمعون لبعد المسافة ﴿ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه﴾ فمؤمن به وكافر ومصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك ﴿ولولا كلمة
سبقت من ربك﴾ في تاخير العذاب ﴿لقضي بينهم﴾ لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم ﴿وانهم لفي
شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام
للعبيد اليه يرد علم الساعة﴾ فانه لا يعلمه غيره وذلك ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه
ان كنت نبيا فاخبرنا عن الساعة متى قيامها ولئن كنت لا تعلم ذلك فانك لست بنبي فانزل الله تعالى هذه الاية ﴿وما تخرج من ثمرة﴾
قرا اهل المدينة والشام عيش ثمرات على الجمع وقرأ الباقون ثمرة على الواحد ﴿من اكمامها﴾ اوعيتها واحدها كمة وهي كل ظرف
لمال وغيره ولذلك سمي قشرة الكفرى اي الذي ينشق عن الثمرة كمة قال ابن عباس يعني الكفرى قبل
ان تنشق فاذا انشقت فليست باكمام ﴿وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه﴾ يقول اليه يرد علم الساعة
كما يرد اليه علم الثمار والنتاج ﴿ويوم يناديهم﴾ يعني ينادي الله تعالى المشركين ﴿اين شركائي﴾ الذين كنتم تزعمون في الدنيا

انها الهة قالوا يعني المشركين وقيل الاصنام ويحتمل ان يكون القول راجعا الى العابدين والى المعبودين ايضا آذناك اعلمناك
وقيل اسمعناك ما منا من شهيد شاهد ان لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرؤا من الاصنام وتبرا الاصنام منهم وضل
عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل في الدنيا وظنوا ايقنوا ما لهم من محيص مهرب وما ها هنا حرف وليس باسم فلذلك لم
يعمل فيه الظن وجعل الفعل ملغى لا يسام يمل الانسان يعني الكافر من دعاء الخير اي من دعائه بالخير ومسالته اياه ربه ودليل
هذا التاويل قراءة عبد الله لا يسام الانسان من دعاء بالخير اي بالصحة والمال وان مسه الشر فيؤس من روح الله قنوط من
رحمته ولئن اذقناه رحمة عافية ونعمة منا من بعد ضراء مسته شدة وبلاء اصابته ليقولن هذا لي اي بعملي وانا محقوق بهذا
وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا احمد بن ابراهيم بن شاذان حدثنا
عبد الله بن ثابت حدثنا ابو سعيد الكندي حدثنا احمد بن بشر عن ابي شيبة عن الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب قال الكافر في امنيتين
اما في الدنيا فيقول لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى واما في الاخرة فيقول يا ليتني كنت ترابا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير والعرب
تستعمل الطول والعرض كلاهما في الكثرة يقال اطال فلان الكلام والدعاء واعرض اذا اكثر قل ارايتم ان كان القرآن من عند الله ثم
كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في الافاق قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلايا والامراض
وقال المنهال والسدي في الافاق يعني ما يفتح لمحمد صلى الله عليه من الافاق وفي انفسهم مكة وقال قتادة في الافاق يعني وقائع الله
في الامم وفي انفسهم يوم بدر وقال عطاء وابن زيد في الافاق يعني اقطار الارض والسماء من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار
والانهار والبحار والامطار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة وسبيل الغائط والبول حتى ان الرجل لياكل ويشرب
من مكان واحد ويخرج ما ياكل ويشرب من مكانين حتى يتبين لهم انه الحق يعني ان نريهم ونفعل من ذلك هو الحق وقيل انه يعني
الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وقيل القرآن اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية
من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط

سورة حم عسق مكية

وهي ثلث وخمسون اية وثمانمائة وست وستون كلمة وثلثة الاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا اخبرنا احمد
بن محمد الهمذاني اخبرنا محمد بن جعفر بن محمد المطيري حدثنا ابراهيم بن شريك الكوفي حدثنا احمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي حدثنا سلام
بن سليم المدائني حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة الباهلي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة حم عسق
كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق سمعت ابا [illegible] يقول سمعت ابا
بكر المقرئ الزعفراني يقول سمعت شيخي يقول سمعت ابا بكر المؤمن يقول سالت الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع
كهيعص والمر والمص قال لانها سور اوائلها حم فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها وكان حم مبتدا وعسق خبره
ولانهما ايتان وعدت اخواتها التي كتبت موصولة اية واحدة وقيل ان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها
حروف التهجي لا غيره واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلوها فعلا وقالوا معناه حم اي قضي ما هو
كائن الى يوم القيامة فاما تفسيرها فاخبرنا عقيل بن محمد بن احمد الفقيه ان ابا الفرج المعافى بن زكريا القاضي اخبرهم عن
محمد بن جرير حدثني احمد حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا ابو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن ارطاة بن المنذر
قال جاء رجل الى ابن عباس فقال له وعنده حذيفة بن اليمان اخبرني عن تفسير قول الله حم عسق فاطرق ثم اعرض عنه

ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيقال لهم أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال
لهم المقرر بذلك فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم
من الرسل قال ابن عباس ذوو الحزم ضحاك ذوو الجد والصبر القرظي ذوو الرأي والصواب واختلفوا فيهم فقال ابن زيد
كل الرسل كانوا أولي عزم ولم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم وهو اختيار علي بن مهدي الطبري قال وإنما دخلت من للتجنيس
لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز حكاها شيخنا أبو القسم بن حبيب عنه وقال بعضهم كل الأنبياء عليهم السلم
أولوا العزم إلا يونس ألا ترى أن نبينا صلى الله عليه نهي عن أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولى من قومه مغاضبا
فابتلاه الله بثلث سلط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله وسلط الذئب على ولده فأكلهم وسلط الحوت عليه فالتقمه
سمعت أبا منصور الحمشاذي يحكيها عن أبي بكر الرازي عن أبي القسم الحكيم وقيل هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهي
ثمانية عشر وهو اختيار الحسين بن الفضل قال لقوله في عقبه أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالقتال
فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة بالبراءة وجاهدوهم أخبرنا ابن فنجويه الدينوري عن ابن علي حبش المقرئ قال قال بعض أهل
العلم أولوا العزم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم فأوحى الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلم إني مرسل عذابي
على عصاة بني إسرائيل فشق ذلك عليهم فأوحى الله تعالى إليهم أن اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل
وإن شئتم أنجيتكم وأنزلت ببني إسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي بني إسرائيل فأنجى الله
بني إسرائيل وأنزل بأولئك العذاب وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلد
رأسه ووجهه ومنهم من رفع على الخشب ومنهم من أحرق بالنار وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى
وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء وقيل أصحاب الشرائع وهم خمسة نوح وإبرهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلم
وقال مقاتل أولوا العزم ستة نوح صبر على أذى قومه فكانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبرهيم صبر على النار وإسحق
صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في البئر والسجن وأيوب صبر على ضره
وقال الحسن البصري هم أربعة إبرهيم وموسى وداود وعيسى فقال إبرهيم فعزمه قيل له أسلم قال أسلمت لرب العالمين
ثم إنه ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقا وافيا في جميع ما ابتلي به وأما موسى فعزمه قوله حين قال له قومه
إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وأما داود فعزمه أنه أخطأ خطيئة فنبه عليها فبكى أربعين سنة على خطيئته
حتى نبتت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها وأما عيسى فعزمه أنه لم يضع في الدنيا لبنة على لبنة وقال إنها معبر فاعبروها
ولا تعمروها فكأن الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل أي كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق
إبرهيم واثقا بنصر مولاك مثل ثقة موسى مهتما لما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسى عليه السلم
حدثنا الإمام أبو منصور محمد بن عبد الله الحمشاذي لفظا أخبرنا أبو عمرو محمد بن محمد بن أحمد القاضي أخبرنا أبو عبد الله [illegible] أخبرنا ابن أبي
الربيع أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل قال نوح وإبرهيم وموسى
وعيسى عليهم السلم أخبرنا أبو منصور الحمشاذي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الدقاق أخبرنا الحسن محمد بن جابر حدثنا عبد الله بن
هاشم حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل
قال كانوا ثلثة نوح وإبرهيم وهود ومحمد رابعهم أمر أن يصبر كما صبروا [illegible] أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا

محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا الحرث بن ابي اسامة حدثنا داود بن المحبر حدثنا سليمان بن الحكم عن
الاحوص بن حكيم عن كعب الحبر قال في جنة عدن مدينة من لؤلؤ بيضا تكل عنها الابصار
لم يرها نبي مرسل ولا ملك مقرب اعدها الله سبحانه وتعالى لاولي العزم من الرسل
والشهدا والمجاهدين لانهم فضلوا الناس عقلا وحلما وانابة ولبابة
ولا تستعجل العذاب لهم فانه نازل بهم لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الاخرة لم يلبثوا
في الدنيا الا ساعة من نهار يعني في جنب يوم القيامة وقيل لانه ينسيهم هول ما عاينوا قدر مكثهم في الدنيا ثم قال
بلاغ اي هذا القرآن وما ذكر فيه من البيان بلاغ بلغكم محمد صلى الله عليه عن الله تعالى دليله ونظيره في سورة
ابراهيم عليه فهل يهلك بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون هم الخارجون عن امر الله تعالى اخبرنا الحسين بن محمد
الحديثي حدثنا سعيد بن محمد بن اسحق الصيرفي حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة حدثنا منجاب بن الحرث حدثنا علي بن مسهر حدثنا ابن ابي ليلى
عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولدها فليكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة ثم تغسل
ثم تسقى منها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

سورة محمد صلى الله عليه مدنية

وهي ثمان وثلثون آية وخمسمائة وتسع وثلثون كلمة والفان وثلثمائة وتسعة واربعون حرفا اخبرنا ابو الحسن محمد بن القسم بن احمد
الفارسي بقراتي عليه انا ابو عمرو اسمعيل بن نجيد بن احمد بن يوسف السلمي ابو عبد الله محمد بن ابرهيم بن سعيد البوشنجي
حدثنا سعيد بن حفص قال قرات على معقل بن عبيد الله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم
اي ابطلها فلم يقبلها وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وجعل الدبرة عليهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم
حالهم وجمعه بالات قال سفين الثوري وآمنوا بما نزل على محمد لم يخالفوه في شي قال ابن عباس الذين كفروا وصدوا اهل مكة
والذين امنوا وعملوا الصالحات الانصار ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان
وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن كذلك يضرب الله للناس
يبينه للناس امثالهم اشكالهم فاذا لقيتم الذين كفروا من اهل الحرب فضرب
على الاغرا الرقاب الاعناق واحدتها رقبة حتى اذا اثخنتموهم اي غلبتموهم وقهرتموهم وصاروا اسرى في ايديكم
فشدوا الوثاق كي لا يفلتوا منكم فيهربوا فاما منا عليهم بعد الاسر باطلاقكم اياهم من غير عوض ولا فدية
واما فدا ونصبا باضمار الفعل مجازه فاما ان تمنوا عليهم منا واما ان تفادوهم واختلف العلما في حكم هذه الآية
فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم الآية وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والى هذا
القول ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهي رواية العوفي عن ابن عباس اخبرنا عقيل بن محمد ان ابا الفرج

وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس **ذلك** الذي ذكرت **مثلهم صفتهم**
في التوراة وهاهنا تم الكلام ثم قال **ومثلهم** صفتهم **في الإنجيل** فيهما مثلان **كزرع أخرج شطأه**
قراءة العامة بجزم الطاء وقرأ بعض أهل مكة والشام بفتحه وقرأ أنس والحسن ويحيى بن وثاب شطاءه مثل عصاه
وقرأ الجحدري شطه بلا همز وكلها لغات قال أنس شطأه نباته وقال ابن عباس سنبله حين يتسلع نباته عن حباته ابن
زيد أولاده مجاهد والضحاك ما يخرج تحت الحقلة فيتموا ويتم عطاء جوانبه مقاتل هو نبت واحد فإذا خرج ما بعده
فهو شطأه السدي هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى الكسائي طرفه الفراء شطأ الزرع أن ينبت سبعا أو ثمانيا أو عشرا قال الأخفش
فراخه يقال أشطأ الزرع فهو مشطئ إذا أفرخ قال الشاعر أخرج الشطأ على وجه الثرى ومن الأشجار أفنان الثمر وهذا مثل ضربه الله لأصحاب محمد عليه السلام
يعني أنهم يكونون قليلا ثم يكثرون أنه يخرج فيهم قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر **فآزره** قواه وأعانه وشده آزره
فاستغلظ فغلظ وقوي **فاستوى** تم وتلاحق نباته وقام **على سوقه** أصوله **يعجب الزراع ليغيظ**
بهم الكفار يعني أن الله تعالى فعل ذلك لمحمد صلى الله عليه وأصحابه ليغيظ بهم الكفار أخبرنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق
أخبرنا أبو بكر محمد بن يوسف بن حاتم بن نصر حدثنا الحسن بن عثمان حدثنا أحمد بن منصور الحنظلي المعروف بزاج المروزي حدثنا سلمان بن
سليمان حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى محمد رسول الله قال هو محمد صلى الله عليه وسلم
والذين معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحماء بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه تراهم ركعا سجدا
علي بن أبي طالب رضي الله عنه يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة الجراح سيماهم
من أثر السجود العشرة المبشرون عشرة أولهم أبو بكر وآخرهم أبو عبيدة بن الجراح ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كمثل
نعتهم في التوراة والإنجيل كمثل زرع قال الزرع محمد صلى الله عليه أخرج شطأه أبو بكر الصديق فآزره عمر بن الخطاب فا
ستغلظ عثمان بن عفان يعني استغلظ بعثمان الإسلام فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعني استقام الإسلام بسيفه
يعجب الزراع قال المؤمنون ليغيظ بهم الكفار قال قول عمر لأهل مكة لا يعبد الله سرا بعد هذا اليوم أخبرنا ابن فنجويه الدينوري حدثنا
عبد الله بن محمد بن شيبة حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا محمد بن مسلم بن وارة حدثنا الحسن بن الربيع قال قال ابن إدريس ما آمن أن
يكونوا قد ضارعوا الكفار يعني الرافضة لأن الله تعالى يقول ليغيظ بهم الكفار أخبرنا الحسين بن محمد العدل حدثنا محمد بن عمر بن عبد الله
مهران حدثنا أبو مسلم الكجي حدثنا عبد الله بن رجاء أخبرنا عمران عن الحجاج عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه يكون في آخر الزمان قوم ينبزون الرافضة يرفضون الإسلام ويلفظونه فاقتلوهم فإنهم مشركون
أخبرنا الحسن بن محمد حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن علي حدثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي حدثنا أبي حدثنا أبو العوام أحمد بن يزيد
الرياحي حدثنا [illegible] عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه لعلي يا علي أنت في الجنة وشيعتك في الجنة وسيجيء بعدي
قوم يدعون ولايتك لهم لقب يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلوهم فإنهم مشركون قال يا رسول الله ما علامتهم قال يا علي
إنهم ليست لهم جمعة ولا جماعة يسبون أبا بكر وعمر **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** إلى آخر
وقد مر تأويله وقال أبو العالية في هذه الآية وعملوا الصالحات يعني الذين أحبوا أصحاب رسول الله المذكورين فيها
الحسن وارتضاه واستصوبه منهم قال ابن جرير يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم
ذلك وأشير على معنى الشطء لا على لفظه لذلك قال منهم ولم يقل منه **منهم مغفرة وأجرا عظيما**

في فضل المفصل حدثنا الشيخ أبو محمد المخلدي إملاء يوم الجمعة في شعبان سنة أربع وثمانين [وثلثمائة] قال أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون
بن خالد وعبد الله بن محمد بن مسلم قالا حدثنا هلال بن العلاء قال حدثنا حجاج بن محمد عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن شداد
بن عبد الله عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه قال إن الله أعطاني السبع الطول مكان التوراة وأعطاني
المئين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل. وأخبرنا أبو الحسن الجباري قال حدثنا أبو الشيخ الأصبهاني
قال أخبرنا ابن أبي عاصم قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا محمد بن شعيب بن شابور قال حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح
الهذلي عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه قال أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المثاني مكان الإنجيل
وأعطيت المئين مكان الزبور وفضلت بالمفصل.

سورة الحجرات مدنية وهي ألف وأربعمائة وست
وسبعون حرفا وثلثمائة وثلث وأربعون كلمة وثماني عشرة آية. أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم العبدوي قراءة
عليه سنة أربع وثمانين وثلثمائة قال أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد العدل قال حدثنا إبراهيم بن شريك بن الفضل
قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدثنا سلام بن سليم المدائني قال حدثنا هرون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن
أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله
ومن عصاه.

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قراءة العامة تقدموا بضم التاء وكسر الدال من التقديم وقرأ الضحاك ويعقوب بفتحهما من التقدم
واختلف المفسرون في معنى الآية فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وعطية
عنه لا تكلموا بين يدي كلامه. وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أبو الحسن عمر بن الحسن بن مالك الشيباني قال حدثنا
الحسن بن أحمد بن الحسن بن سعيد بن عثمان الخزاز قال حدثنا أبي قال حدثنا حصين بن مخارق عن أبي جارود عن عبد الله بن بريدة عن الشعبي
عن جابر بن عبد الله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال في الذبح يوم الأضحى وبه قال الحسن قال لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي
صلى الله عليه وذلك أن ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي صلى الله عليه فأمرهم أن يعيدوا الذبح. وأخبرنا عبد الخالق
بن علي [illegible] قال حدثنا أبو بكر [illegible] الرماحي قال حدثنا أبي قال حدثنا النعمان بن عبد السلام التيمي [illegible]
بن عبد الله التيمي عن [illegible] عن عائشة رضي الله عنها في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله قال لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وروي عن مسروق أيضا قال دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك
فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت إني صائم فقالت قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت يا أيها الذين
آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله. وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن الخطاب قال حدثنا عبد الله بن الفضل قال
حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني هشام بن يوسف عن ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم
أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس
فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله سبحانه يا أيها
الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية. وقال قتادة نزلت في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا
لو صنع كذا فكره الله ذلك وتقدم فيه. مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله حتى يقضيه الله على لسانه. الضحاك يعني
في القتال وشرائع الدين يقول لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله. [illegible] لا تستبقوا رسول الله يقول ولا بفعل

قال حدثنا ابو الشيخ الحافظ قال حدثنا ابرهيم بن شريك واحمد بن يونس قال حدثنا سلام بن سليم قال حدثنا هارون
بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة تبت
رجوت ان لا يجمع الله سبحانه بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا ابي لهب اخبرنا عبد الله بن حامد قال اخبرنا مكي قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا عبد الله
بن نمير قال حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما انزل الله سبحانه وانذر عشيرتك الاقربين اتى
رسول الله عليه السلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من بين رجل يجي ورجل يبعث رسوله
فقال رسول الله عليه السلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني [illegible] لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم
صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لكم سائر هذا اليوم ما دعوتمونا
الا لهذا فانزل تبت اي خابت وخسرت يدا ابي لهب اي هو واخبر عن يده والمراد به نفسه على عادة العرب في
التعبير ببعض الشي عن كله كقوله سبحانه ذلك بما قدمت يداك [illegible] وقيل اليد [illegible] العرب [illegible]
[illegible] الرزايا والمنايا قال الشاعر لما اكبت عليه يد الرزايا [illegible] نادى [illegible]
فلان طويل ذات اليد يعنون به المال والتباب الخسار [illegible]
اليشكري قال سمعت نفطويه قال سمعت المنقري عن الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا قال [illegible]
سمعوا صوتا كانه من الجن يبكي لقد خلوك وانصدعوا فما عطفوا ولا رجعوا ولم يوفوا [illegible]
وابو لهب هو ابن عبد المطلب واسمه عبد العزى فلذلك لم يسمه وما اسمه [illegible] قال مقاتل كني بابي لهب لحسنه
واشراق وجهه وكانت وجنتاه كانهما تلتهبان **وتب** ابو لهب الواو فيه واو العطف [illegible]
وابي وقد تب فالاول دعا والثاني خبر كما يقال غفر الله لك وقد فعل واهلكه الله وقد فعل والواو فيه واو
الحال وقراة العامة ابي لهب بفتح الهاء وقرا اهل مكة بجزمها ولم يختلفوا في قوله ذات لهب انه مفتوح
الهاء لانهم راعوا فيه رؤس الاي اخبرنا الحسن بن محمد قال حدثنا السني قال حدثنا احمد بن محمد بن شعيب البلخي قال حدثنا
شريح بن يونس قال حدثنا هشيم قال اخبرنا منصور عن الحكم عن ابي ظبيان عن ابن عباس قال ما خلق الله القلم قال اكتب
ما هو كائن فكتب فيما كتب تبت يدا ابي لهب واخبرنا ابو القسم الحسن بن محمد بن الحسن قال اخبرنا ابو الطيب محمد بن عبد الله
بن المبارك الشعيري قال حدثنا محمد بن اشرس السلمي قال حدثنا عبد الصمد بن حسان المروالرودي عن سفيان عن منصور قال
سئل الحسن عن قوله تبت يدا ابي لهب هل كان في ام الكتاب وهل كان يستطيع ابو لهب ان لا يصلى النار فقال الحسن
والله ما كان يستطيع ان لا يصليها وانها لفي كتاب الله قبل ان يخلق ابو لهب وابواه ويؤيده ما اخبرنا ابو طاهر
بن خزيمة في شعبان سنة اربع وثمانين وثلثمائة قال اخبرنا جدي امام الائمة ابو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة قال حدثنا [illegible]
حتى قال حدثنا معوية بن عمرو قال حدثنا زائدة عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي عليه السلم قال احتج آدم وموسى
فقال موسى يا آدم انت الذي خلقك الله سبحانه بيده ونفخ فيك من روحه اغويت الناس واخرجتهم من الجنة
فقال آدم وانت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه تلومني على عمل اعمله كتبه الله علي قبل ان يخلق السموات
والارض قال فحج آدم موسى واخبرنا محمد بن الفضل قال اخبرنا جدي قال حضرت مجلس اسحق بن ابرهيم وانا على [illegible]

عن مسيرهما الى التاريخ وصدق **سورة الاخلاص مكية** وهي سبعة واربعون حرفا
وخمس عشرة كلمة واربع آيات. اخبرنا الامام ابو بكر محمد بن الحسن الاصبهاني بقراءتي عليه قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن جعفر بن
احمد بن فارس قال حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا ابو داود الطيالسي قال حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت سالم بن ابي الجعد
يحدث عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء ان النبي عليه السلم قال أيعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة
قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال اقرؤا قل هو الله احد. واخبرني ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي
الحافظ في داري قال حدثنا احمد بن محمد بن يوسف المصري قال حدثنا عمر بن ايوب السقطي قال حدثنا محمد بن الفرج قال حدثنا محمد بن
الزبرقان قال حدثنا مروان بن سالم عن ابي عمرو مولى جرير عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله عليه السلم من قرأ قل هو الله احد
حين يدخل منزله نفت الفقر عن اهل ذلك المنزل والجيران. واخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن [illegible] قال حدثنا
ابن ابي الخصيب قال حدثني ابي قال حدثنا اسمعيل بن المغيرة قال حدثنا محمد بن مروان عن ابان عن انس قال قال رسول الله عليه السلم
من قرأ قل هو الله احد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى اهله فان قرأها ثلث مرات بورك عليه
وعلى اهله وعلى جميع جيرانه فان قرأها اثنتي عشرة مرة بني له اثنا عشر قصرا في الجنة ويقول الحفظة انطلقوا بنا
ننظر الى قصر اخينا فان قرأها مائة مرة كفر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والاموال فان قرأها
اربع مائة مرة كفرت عنه ذنوب اربع مائة سنة ما خلا الدماء والاموال فان قرأها الف مرة لم يمت حتى يرى
مكانه من الجنة او يرى له. واخبرنا ابو عمرو احمد بن ابي الفراتي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب قال حدثنا عبد [illegible]
جامع الحلواني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا عمر بن سعيد العطار البلخي قال حدثنا ابن ابي ذئب قال حدثنا [illegible]
عن ابي حازم عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي عليه السلم فشكا اليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله
صلى الله عليه اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم علي واقرأ قل هو الله احد مرة
واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه. واخبرنا ابو الحسن [illegible]
قال حدثنا ابو سعيد احمد بن محمد بن زياد بن بشر قال حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني قال حدثنا يزيد بن هرون قال حدثنا
العلاء ابو محمد الثقفي قال سمعت انس بن مالك قال كنا مع رسول الله عليه السلم بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع
ونور لم ارها طلعت فيما مضى فاتى جبريل رسول الله عليهما السلم فقال يا جبريل ما لي ارى الشمس اليوم طلعت
بضياء ونور وشعاع لم ارها طلعت فيما مضى فقال ذاك ان معوية بن معوية الليثي مات بالمدينة اليوم
فبعث الله سبحانه اليه سبعين الف ملك يصلون عليه قال وفيم ذاك قال كان يكثر قراءة قل هو الله احد بالليل و
النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه
ثم رجع. واخبرنا الحسن ابي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب قال حدثنا محمد بن علي بن [illegible] قال حدثنا سليمان بن داود
المنقري قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله بن عمر عن ثابت البناني عن انس بن مالك ان رجلا كان يصلي على عهد
النبي عليه السلم وكان لا يقرأ في الصلوة الا قرأ في اثرها قل هو الله احد فذكر ذلك لرسول الله عليه السلم فقال له [illegible]
صلى الله عليه ما حملك على لزومها فقال يا رسول الله اني احبها فقال له رسول الله عليه السلم حبك اياها يدخلك
الجنة. واخبرنا عقيل بن محمد بن احمد البابي قال حدثنا علي بن الحسن بن حسنان قال حدثنا ابو ابرهيم القطان قال حدثنا

عن ... بن عبد الله القرشي قال حدثنا سلمة بن حسان عن محمد بن المنكدر أن رسول الله عليه السلام قال نزل ملك من السماء السابعة
وخرج من الأرض السابعة ملك فالتقيا على هذه الأرض فقال الذي نزل من السماء قد رفعت اليوم عملا لم ارفع مثله
وقال الذي خرج من تحت الأرض ما ذاك قال قرأ رجل قل هو الله أحد مائة مرة قال ما صنع به قال غفر الله له.
واخبرني محمد بن القسم قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا ابو يحيى البزاز قال حدثنا محمد بن الازهر قال حدثنا ابو عامر العقدي عن مالك
ابن انس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن ابن حنين عن ابي هريرة ان النبي عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قيل
يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة. واخبرني محمد بن القسم قال حدثنا ابو القسم عبد الله بن احمد بن الاشعث قال حدثنا
احمد بن محمد بن الحسن بن بشر قال حدثنا معاذ بن يوسف التاجر قال حدثنا مسلم بن مشرهد قال حدثنا حمدان بن رزام قال حدثنا محمد بن
عبد الله عن مالك بن دينار عن انس بن مالك قال قال رسول الله عليه السلام من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة اعطاه الله
من الثواب ما يحمل ثوابه سبعين قنطارا امثال من ياقوت ممزوج فيه الروح يحملون كتبه لينا ولحدا اسد ... عطا
من شعر الزنجي وارق من الشعرة. واخبرني محمد بن القسم قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن جعفر قال حدثنا ابو غسان العماني
قال حدثنا احمد بن ... قال حدثنا عمي عبد الله بن ... قال حدثنا ... عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مكحول عن
عبد الرحمن بن غنم عن ابي بن كعب قال سئل النبي عليه السلام عن ثواب قل هو الله أحد فقال من قرأ قل هو الله أحد ...
الخير على مفرق رأسه من عنان السماء ونزلت عليه السكينة وتغشاه الرحمة وله دوي حول العرش ونظر الله
الى قارئها فلا يسأله شيئا الا اعطاه اياه ويجعله في كلاءته وحرزه. بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد. اخبرنا الشيخ ابو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزكي قال حدثنا الامام ابو بكر
محمد بن اسحق بن خزيمة قال حدثنا احمد بن منيع ومحمود بن خداش قالا حدثنا ابو سعد الصغاني قال حدثنا ابو جعفر الرازي
عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله عليه السلام انسب لنا ربك فانزل الله سبحانه
قل هو الله أحد الى آخر السورة. وروى ابو ظبيان وابو صالح عن ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اتيا النبي عليه السلام فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله فقال صفه لنا أمن ذهب هو ام فضة ام حديد ام من
خشب فنزلت هذه السورة فارسل الله سبحانه على اربد الصاعقة فاحرقته وطعن عامر في خنصره فمات وقد
ذكرت قصتهما في سورة الرعد. وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا به من اي شيء هو ومن اي جنس
أمن ذهب هو او نحاس ام صفر ام حديد ام فضة وهل يأكل ويشرب وممن ورث الدنيا ومن يورثها فانزل الله سبحانه
هذه السورة وهي نسبة الله خاصة. واخبرني عقيل ان ابا الفرج البغدادي اخبرهم عن ابي جعفر الطبري قال حدثنا
ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق عن محمد بن سعيد قال اتى رهط من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
هذا الله خلق الخلق فمن خلقه فغضب النبي عليه السلام حتى امتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل فسكنه
وقال اخفض عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله سبحانه جواب ما سألوه قل هو الله أحد السورة فلما تلاها عليهم
النبي عليه السلام قالوا له صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه فغضب النبي عليه السلام اشد من
غضبه الاول وساورهم فاتاه جبريل فقال له مثل مقالته واتاه بجواب ما سألوه وما قدروا الله حق قدره

والاخنس عن ابيه يوم القيمة الامه وقال الضحاك عن ابن عباس ان وفد نجران قدموا على رسول الله عليه السلم
بسبعة اساقفة من بني الحرث بن كعب فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي عليه السلم صف لنا ربك من اي شي
فقال النبي عليه السلم ان ربي ليس من شي وهو باين من الاشيا فانزل الله سبحنه قل هو الله احد اي واحد ولا فرق بين الواحد
والاحد عند اكثر اصحابنا يدل عليه قراة عبد الله قل هو الله الواحد وفرق قوم بينهما فقال بعضهم الواحد
للفصل والاحد للغاية وقيل واحد بصفاته احد بذاته وقيل ان الواحد يدل على ازليته واوليته لان الواحد
في الاعداد ركنها واصلها ومبتداها والاحد يدل على بينونيته من خلقه في جميع الصفات ونفي ابواب الشرك
عنه فالاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد واحد يصلح في الكلام في موضع الجحود
والواحد في موضع الاثبات تقول لم ياتني منهم احد وجاني منهم واحد ولا تقول جاني منهم احد لانك اذا قلت
لم ياتني منهم احد فالمعنى لا واحد اتاني ولا اثنان واذا قلت جاني منهم واحد فالمعنى انه لم ياتني اثنان وقال ابن الانباري
احد في الاصل وحد كما قالوا للمراة اناة والاصل وناة من الونى وهو الفتور قال الشاعر رمته اناة من ربيعة عامر
نؤوم الضحى في ماتم اي ماتم وقال النابغة في الوحد كان رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستانس وحد
سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا القسم البزاز يقول سمعت ابن عطا يقول في
قوله سبحنه قل هو الله احد هو المنفرد بايجاد المفقودات والمتوحد باظهار الخفيات وقراة العامة احد بالتنوين
وقرا الحسن ونصر بن عاصم وابن ابي اسحق وابان بن عثمن وهرون عن ابي عمرو احد الله بلا تنوين طلبا للخفة وفرارا من التقا
الساكنين كقراة من قرا عزير ابن الله بغير تنوين واما قوله [illegible] فقال ابن عباس
ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير الذي لا جوف له وقال سعيد بن المسيب الذي لا حشو له وقال الشعبي الذي لا ياكل
ولا يشرب واليه ذهب القرظي وقيل تفسيره ما بعده [illegible] ابن الفضل [illegible] احمد بن اسحق [illegible]
منيع ومحمود بن غيلان قالا حدثنا ابو سعد الصغاني قال حدثنا ابو جعفر الرازي عن الربيع عن ابي العالية عن ابي بن كعب
قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث
وقال ابو وائل شقيق بن سلمة هو السيد الذي قد انتهى سودده وهي رواية علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال هو السيد
الذي قد كمل في جميع انواع الشرف والسودد وقال غيره هو السيد المقصود في الحوايج تقول العرب صمدت فلانا
اصمده واصمده صمدا بسكون الميم اذا قصدته والمقصود صمد كالقبض والنفض ويقال بيت مصمود ومصمد
اذا قصده الناس في حوايجهم قال طرفه وان يلتقي الحي الجميع تلاقني الى ذروة البيت الرفيع المصمد وانشد الاخفش في الصمد
الا بكر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وقال قتادة الصمد الباقي بعد خلقه وقال عاصم
ومعمر هو الدايم وقال علي بن موسى الرضا هو الذي ايست العقول عن الاطلاع على كيفيته وقال [illegible]
هو الازلي بلا ابتدا والباقي بلا انتها والقايم بلا عمد وقال الحسين بن الفضل هو الازلي بلا ابتدا وقيل هو
الذي جل عن شبه المصورين وقيل معناه نفي التجزي والتاليف عن ذاته وقال مرة الهمداني المصمت وقال ابن مسعود
الذي ليست له احشا وقال ابو اسحق الكوفي عن عكرمة الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي رضي الله عنه
السيد هو المقصود اليه في الرغايب المستغاث به عند المصايب وقال يمان الذي لا ينام وقال كعب الاحبار:

الذي لا يكافئه من خلقه أحد. ابن كيسان: الذي لا يوصف بصفة أحد. وقال ابن جان: الذي لا يخيب سائله
الذي لا تعتريه الآفات. سعيد بن جبير أيضا: الكامل في جميع صفاته وأفعاله. الصادق: هو الغالب
الذي لا يغلب. أبو هريرة: المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد. مرة الهمداني: الذي لا يبلى ولا يفنى.
الحسين بن الفضل أيضا: هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه. محمد بن علي:
الصمد الذي لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأفكار ولا تبلغه الأقطار وكل شيء عنده بمقدار.
ابن عطاء: الصمد الذي لم يتبين عليه أثر فيما أظهره. جعفر: الذي لم يعط خلقه من معرفته إلا الاسم و
الصفة. جنيد: الذي لم يجعل لأعدائه سبيلا إلى معرفته. وقيل هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته و
صفاته فلا يتسع له اللسان ولا يشير إليه البنان. ابن عطاء: هو المتعالي عن الكون والفساد. وقال
الواسطي: الذي لا يتصور ولا يستغرق ولا يعترض عليه القواطع والعلل. وقال جعفر أيضا: الصمد
خمسة حروف: فالألف دليل على أحديته، واللام دليل على إلهيته، وهما مدغمان لا يظهران على اللسان
ويظهران في الكتابة، فدل على أن أحديته وإلهيته خفية لا تدرك بالحواس وأنه لا يقاس بالناس، فخفاؤه
في اللفظ دليل على أن العقول لا تدركه ولا تحيط به علما، وإظهاره في الكتابة دليل على أنه يظهر على
قلوب العارفين ويبدو لأعين المحبين في دار السلام، والصاد دليل على صدقه فوعده صدق وقوله
صدق وفعله صدق ودعا عباده إلى الصدق، والميم دليل على ملكه فهو الملك على الحقيقة،
والدال علامة دوامه في أبديته وأزليته. **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا**
اختلف القراء فيه فقرأ حمزة ويعقوب ساكنة الفاء مهموزة، ومثله روى العباس عن أبي عمرو، وإسماعيل
عن نافع، وقرأ شيبة مشبعة غير مهموزة، ومثله روى حفص عن عاصم، وقرأ الآخرون مثقلا مهموزا،
وكلها لغات صحيحة فصيحة، ومعناه المثل. **أحد** أي هو أحد، وقيل على التقديم والتأخير
مجازه ولم يكن له أحد كفوا. وقال عبد خير: سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن تفسير هذه السورة
قال: هو الله أحد بلا تأويل عدد، الله الصمد لا يتبعض بددا، لم يلد فيكون هالكا، ولم يولد فيكون إلها
مشاركا، ولم يكن له من خلقه كفوا أحد. وأخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي بقراءتي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول
سمعت أبا علي الروذباري يقول: وجدنا أنواع الشرك ثمانية: النقص والتقلب والكثرة والعدد
وكونه علة أو معلولا والأشكال والأضداد. فنفى الله تعالى عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله
قل هو الله أحد، ونفى النقص والتقلب بقوله الله الصمد، ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد،
ونفى الأشكال والأضداد بقوله ولم يكن له كفوا أحد، فحصلت الوحدانية البحت، لذلك سميت سورة الإخلاص.

سورة الفلق مدنية، وهي أربعة وسبعون حرفا وثلاث وعشرون كلمة وخمس آيات. أخبرنا أبو عمرو
العراقي قال أخبرنا أبو موسى قال أخبرنا مكي بن عبدان قال حدثنا سليمان بن داود قال حدثنا أحمد بن نصر قال حدثنا أبو
غسان عن عصمة نوح بن أبي مريم عن زيد العمي عن أبي نضرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي عليه السلام
قال: من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها. وأخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن

ابن محمد العدل المزكي حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب قال اخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد قال اخبرني ابي قال حدثنا
الاوزاعي قال حدثني يحيى بن ابي كثير قال حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله عليه السلام
قال له الا اخبرك بافضل ما يتعوذ المتعوذون قلت بلى قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
واخرجه البخاري قال حدثنا ابن علي قال حدثنا ابراهيم بن دحيم قال حدثنا ابي قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا ابن جابر
عن يزيد بن يزيد بن جابر عن القسم ابي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله عليه السلام يا عقبة الا اعلمك سورتين
هما افضل القرآن او من افضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلمني المعوذتين ثم قرأ بهما في صلوة الغداة وقال
لي اقرأهما كلما قمت ونمت ۞ واخبرنا ابو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزي الفقيه قال اخبرنا جدي ابو الحسن
المحمودي قال اخبرنا محمد بن علي قال حدثنا ابو العباس احمد بن عمرو العصفري قال حدثنا عمر بن عبد الحميد قال حدثنا
عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن ابي غريب عن كثير بن مرة عن عبد العزيز بن مروان قال سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول
سمعت النبي عليه السلام يقول انك لن تقرأ بسورة احب الى الله عز وجل ولا اقرب عنده من قل اعوذ برب الفلق
فان استطعت ان لا تدعها في صلوة فافعل ۞ واخبرنا ابو عبد الله محمد بن يعقوب المزكي قال اخبرنا ابو الحسن [illegible]
محمد بن عبدوس الطرائفي قال حدثنا معاذ بن نجدة بن العريان قال حدثنا خلاد يعني ابن يحيى قال حدثنا [illegible]
عن قيس بن ابي حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله عليه السلام انزل علي الليلة [illegible]
ولم ار مثلهن المعوذتين ۞ القصة قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما [illegible]
كان غلام اليهود يخدم رسول الله عليه السلام فدب اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي عليه السلام
وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم
ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر راسه ولبث ستة اشهر
يرى انه ياتي النساء ولا ياتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما
عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب
قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في
طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في اسفل البئر ناتئ يقوم عليه
فانتبه رسول الله عليه السلام مذعورا وقال يا عائشة اما شعرت ان الله سبحانه اخبرني بدائي ثم بعث
صلى الله عليه عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة
الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان من مشطه واذا وتر [illegible] معقود فيه احدى عشرة عقدة
مغروزة بالابر فانزل الله سبحانه هاتين السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله عليه السلام
خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فقام كانما انشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل
شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك قال فقالوا يا رسول الله افلا نأخذ الخبيث فنقتله فقال عليه السلام اما انا
فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا وقالت عائشة ما غضب رسول الله عليه السلام غضبا ينتقم به
لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله سبحانه فيغضب لله سبحانه وتعالى وينتقم ۞

قل أعوذ برب الفلق

ومن شر غاسق إذا وقب

ومن شر النفاثات في العقد

ومن شر حاسد إذا حسد

قل أعوذ برب الناس ملك الناس

إله الناس من شر الوسواس الخناس

مصورة مخطوطة المرعشي

سورة الروم

والذين جاهدوا بالثبات على الايمان لنهدينهم سبل دخول الجنات وقيل والذين جاهدوا بالصبر
على المصائب والنوائب لنهدينهم سبل الوصول الى المواهب سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في
اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة ثم قال مثل السنة في الدنيا مثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك
من لزم السنة في الدنيا سلم . وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازه والذين هديناهم
سبلنا جاهدوا فينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة
في عقباهم سورة الروم مكية وهي ثلاثة الف وخمسمائة واربع وثلثون حرفا وثمانمائة وتسع
عشرة كلمة وستون اية اخبرنا ابو الحسين علي بن محمد بن الحسن الحماري الجرجاني غيرة قال اخبرني ابو بكر
احمد بن ابرهيم الجرجاني وابو الشيخ عبد الله بن محمد الاصبهاني قالا قال ابو اسحق ابرهيم بن شريك الكوفي
عن احمد بن يونس اليربوعي عن سلام بن سليم المدائني عن هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
كل ملك سبح لله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته . بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ الاية قال المفسرون كانت في فارس امرأة لا تلد الا الملوك
الابطال فدعاها كسرى فقال اني اريد ان ابعث الى الروم جيشا واستعمل عليهم رجلا من بنيك
فاشيري علي ايهم استعمل فقالت هذا فلان اروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان وهو انفذ
من سنان وهذا شهربراز وهو احلم من كذا فاستعمل ايهم شئت قال فاني استعملت الحليم فاستعمل شهربراز
فسار الى الروم باهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم وكان قيصر بعث رجلا
يدعى يحنس وبعث كسرى شهربراز فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت
فارس الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه واصحابه بمكة فشق عليهم وكان النبي صلى الله عليه يكره ان
يظهر الاميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وشمتوا ولقوا اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على
اخوانكم من اهل الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله عز وجل الم غلبت الروم الى اخر الايات
فخرج الصديق رضي الله عنه الى الكفار فقال افرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله اعينكم
فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت يا

مصورة مخطوطة أصفهان

بما آتيناهم ليجعلوه في النجاة باهم وساير الائمة وليتمتعوا جزم لام الاعمش وحمزة والكسائي

وخلف وايوب واختلف فيه عن نافع وعاصم وابن كثير الباقون بكسر اللام على لام كي واختاره ابو عبيد

لقوله ليكفروا بما آتيناهم ليكونا كلاما على نسق واحد ومن جزم احتج بقراءة ابي بن كعب تمتعوا فسوف

تعلمون واخبرني ابو محمد عبد الله بن حامد عن احمد بن محمد بن يحيى العبيدي عن الحسين بن محمد بن اسكاب عن

عفان عن جعفر بن سليمان قال ثنا المعلى بن زياد قال سمعت ابا العالية قرأ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا

فسوف تعلمون كلها على التهديد والكسر على كي والجزم على التهديد اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف

الناس من حولهم ويرهم هذا افبالباطل يؤمنون اي بالاصنام وبنعمة الله يكفرون الايمان يكفرون

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان لله شريكا وقالوا اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا

عليها آباءنا والله امرنا بها او كذب بالحق بمحمد والقرآن لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين

قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولما نزلوا الاجلنا الذين لنصرة ديننا لنثبتنهم

على ما قاتلوا عليه وقال ابو سعيد والذين جاهدوا في الغزو لنهدينهم سبيل الشهادة والمغفرة

الحربي الحسين بن محمد بن فنجويه عن ابن شيبة عن عبد الله بن محمد بن وهب عن ابراهيم بن سعيد

قال سمعت سفيان بن عيينة يقول اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى

يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم

لنهدينهم سبل العمل به واخبرني ابو الحسن محمد بن القاسم حدثني ابو الطيب محمد بن عبد الله بن حمدون

عن عبد الرحمن بن الحسين عن محمد بن ... عن احمد بن ابي الحواري قال قال ابو احمد يحيى بن عباس

الجهد ابو سليمان الداراني في قول الله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال الذين

يعملون بما يعلمون نهديهم الى ما لا يعلمون وعن عمر بن عبد العزيز انه تكلم بكلام وعنده

نفر من العلماء فقال له الوضين بن عطاء اقتبس هذا العلم بابا بابا فقال ويحك يا وضين

انما قصرنا من علم ما جهلنا بتقصيرنا في العمل بما علمنا ولو انا عملنا ببعض ما علمنا لاورثنا علما

لا يقوم به ابداننا وعن عبد الله بن الزبير قال يقول الحكمة من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين

ان يعمل باحسن ما يعلمه او يجتنب اسوأ ما يعمله وروي عن ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا

لنهدينهم سبل ثواب الصالحات والذين جاهدوا بالهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الايمان وقيل

بنبيه صلى الله عليه عن غلبة الروم فارس ومعنى الآية الم غلبت الروم في أدنى الأرض الآية وقرأ سعيد
جبير وطلحة بن مصرف في أداني الأرض بالجمع وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع سنين عند
انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم. أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدويه عن الحسين بن
الحسن بن أيوب عن علي بن عبد العزيز قال أخبرني أبو عبيد عن حماد بن خالد الخياط عن معاوية بن صالح عن
عن مرثد بن سمي عن قال سمعت أبا الدرداء يقول سيجيء أقوام يقرؤون الم غلبت الروم وإنما هي غلبت
الروم قال أبو عبيد بضم الغين يعني الأخيرة. قوله لله الأمر من قبل ومن بعد يعني من قبل دولة
الروم على فارس ومن بعدها وفوتها وعلى الغاية. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم
لأنهم أهل كتاب وبنصر الله المؤمنين على الكافرين ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. أخبرني
الحسين بن محمد بن فنجويه عن عبد الله بن محمد بن شنبه عن علي بن محمد بن هلمان عن علي بن محمد
الطنافسي عن النعمان بن محمد عن أبي إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات
القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هيهات إلى آخر الأبد. وعد الله نصب على المصدر لا يخلف الله
وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني معايشهم كيف يكتسبون
ويتجرون ومتى يغرسون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون وهم عن الآخرة غافلون جاهلون
لها مضيعون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها فعمروا دنياهم وخربوا آخرتهم أولم يتفكروا في
أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى يعني لوقت معلوم
إذا انتهت إليه فنيت وهو يوم القيامة وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض حرثوها وقلبوها
للزراعة وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فلم يؤمنوا فأهلكهم الله عز وجل فما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله
يعني الخلة التي تسوؤهم وهي النار وقيل السوأى اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة أن كذبوا وقيل السوأى مصدر بمنزلة الإساءة
وهو قوله لما أن كذبوا يعني عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون
الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون قوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وروي

ابن أبي نجيح

مصورة مخطوطة أصفهان

ابن ابي نجيح قال يبلس يكتئب ابو يحيى يفتضح قتادة ومقاتل والكلبي ييأس ابو زيد المبلس الذي
قد نزل به البلاء والشر الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم ابو عبيدة يبلسون وانشد يا صاح هل
تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وقرأ السلمي يبلس بفتح اللام والاول اجود (ولم يكن لهم
من شركائهم) اوثانهم التي عبدوها من دون الله ليشفعوا لهم (شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين)
جاحدين وعنهم متبرئين (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة) بستان (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون مجاهد وقتادة ينعمون ابو عبيدة
يسرون ومنه قيل لكل حبرة يتبعها عبرة وقال العجاج فالحمد لله الذي اعطى الحبر موالي الحق
المولى يشكرا بالسرور وقال بعضهم الحبرة في اللغة كل نغمة حسنة والتحبير التحسين ومنه قيل للمداد
حبر لانه يحسن به الاوراق والعالم حبر لانه متخلق باخلاق الحسنة وقال الشاعر يحبره الكاتب
الحميري وقيل يحبرون يلتذون بالسماع اخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن محمد بن عبد الله عن
محمد بن يونس عن روح عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير فهم في روضة يحبرون قال السماع في الجنة
اخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله عن ابن شنبه عن عمر بن مرداس عن سلمة بن شبيب عن عبد القدوس
بن الحجاج قال سمعت الاوزاعي يقول في روضة يحبرون قال السماع وقال اذا اخذ في السماع لم يبق
في الجنة شجرة الا وردت وبه عن سلمة بن شبيب عن داود بن الجراح العسقلاني قال سمعت الاوزاعي
يقول ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات
صلواتهم وتسبيحهم واخبرنا الحسين بن محمد الدينوري عن احمد بن الحسن بن ماجة القزويني عن الحسن بن
ايوب عن عبد الله بن عرادة الشيباني قالا اخبرنا القاسم بن مطيب العجلي عن زيد بن اسلم عن عطاء بن
يسار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه واله الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها
كما بين السماء الى الارض والفردوس اعلاها سموا واوسطها محلة ومنها تنفجر انهار الجنة وعليها يوضع
العرش يوم القيمة فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني رجل حبب الي الصوت فهل في الجنة صوت
حسن قال اي والذي نفسي بيده ان الله سبحانه ليوحي الى شجرة في الجنة ان اسمعي عبادي الذين اشتغلوا
بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب و
تقديسه واخبرني الحسين بن محمد عن هرون بن محمد بن هرون العطار عن حازم بن يحيى الحلواني عن

عن الوليد بن عبد الملك عن مسرح الحراني عن سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه عن
أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم
وفي أخريات القوم أعرابي فجثا لركبتيه فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي إن في
الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها
وذلك أفضل نعيم الجنة قال فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح إن شاء الله قال والخوصانية
المرهفة الأعلى الضخمة الأسفل. وأخبرني الحسين بن محمد عن أحمد بن محمد بن علي الهمداني عن علي بن سعيد
العسكري قال أخبرني أبو يحيى عباد بن الوليد الغبري عن محمد بن موسى الخراساني عن عبيد الله بن
عرادة الشيباني عن القاسم بن مطيب عن مجير عن أبي إبراهيم قال إن في الجنة لأشجارا عليها أجراس
من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله عز وجل ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار
فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الأرض لماتوا طربا. وأخبرني الحسين بن محمد بن أبي شيبة
وعبد الله بن أبي ثميت قالا قال محمد بن عمر الرقي عن محمد بن حفص قال أخبرني يحيى بن أبي الحجاج عن
عبيد الله بن سلمة عن مولى لبني أمية أنه سأل أبا هريرة فقال سمعت أبا هريرة يسأل هل لأهل الجنة من
سماع قال نعم شجرة أصلها من ذهب والقضبان فضة وثمرها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله
تعالى ريحا فيحك بعضها بعضا فما سمع أحد شيئا منه. قوله فأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء
الآخرة فأولئك في العذاب محضرون. فسبحان الله حين تمسون وهو صلاة العصر والمغرب
وحين تصبحون صلاة الصبح وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وهو صلاة العشاء الآخرة
أي وسبحوه عشيا وحين تظهرون صلاة الظهر. أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن أحمد بن محمد
بن الحسين الحافظ عن محمد بن يحيى عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال نافع
بن الأزرق لابن عباس هل تجد صلاة الخمس في القرآن قال نعم فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون إلى قوله وحين تظهرون. حدثنا أبو بكر بن عبدوس إملاء قال حدثني أبو بكر الشرقي
قال حدثنا أبو حاتم الرازي قال حدثني أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث عن سعيد بن بشير عن محمد بن
عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه قال من قال حين يصبح سبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قال حين يمسي

احسن

مصورة مخطوطة أصفهان

ادرك ما فاته في ليلته واخبرني محمد بن القاسم بن احمد قال كتب الي عمر بن احمد بن عثمان البغدادي
ان زيد بن محمد بن خلف القرشي حدثهم عن احمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عن الماضي بن محمد
عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال سبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون هذه الآيات الثلث من سورة الروم واخر سورة والصافات
دبر كل صلوة يصليها كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق الشجر
وعدد تراب الارض واذا مات اجري له بكل حسنة عشر حسنات في قبره واخبرني ابو عبد الله بن فنجويه
عن ابن شنبه واحمد بن جعفر بن حمدان والفضل بن الفضل قالوا اخبرنا اسحق بن ابراهيم بن
بهرام الزنجاني عن الحجاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن انس
بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يكال بالمكيال الاوفى فليقل
سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون سبحان ربك رب العزة عما
يصفون الى قوله والحمد لله رب العالمين واخبرني ابن فنجويه عن عمر بن احمد بن القاسم عن محمد بن
عبد الغفار عن صباح عن ابن المفلس عن بشر عن بن الضحاك عن [illegible] قال من قال سبحان الله حين تمسون
الى اخر الاية كان له من الاجر كعدل ما في رقبة من ولد اسمعيل عليه السلم واخبرني ابن فنجويه
عن ابن شنبه عن علي بن محمد الطنافسي عن يحيى بن ادم عن اسرائيل عن ابي اسحق عن زيد العمي
عن محمد بن واسع عن كعب قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الى اخر الاية لم يفته خير كان في يومه ولم يدركه شر كان فيه ومن قالها حين يمسي لم يدركه شر كان
في يومه ولم يفته خير كان في يومه وكان ابرهيم خليل الله صلى الله عليه يقولها في كل يوم و
ليلة ست مرات يُخرج الحيّ من الميّت ويُخرج الميّت من الحيّ ويحيي الارض بعد موتها وكذلك
تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب يعني آدم عليه السلم ثم اذا انتم بشر تنتشرون يعني
ذريته ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم ولم يجعلهن من الجن وقيل
من ضلع ادم وقيل من نطفة الرجال وجعل بينكم مودة ورحمة انّ في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون واخبرني الحسن بن محمد عن موسى بن محمد بن علي قال اخبرني ابو شعيب الحراني عن يحيى بن
عبد الله البابلتي عن صفوان بن عمرو عن المستحد ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

مصورة مخطوطة دمشق

... قوله في عقبه ... الجن والإنس سميا ثقلين لأنهما ثقل على الأرض أحياء وأمواتا قال الله عز

وجل وأخرجت الأرض أثقالها وقال بعض أهل المعاني كل شيء له وزن وقدر ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل

للنعام ثقل لأن واجده وصائده يفرح إذا ظفر به قال الشاعر

... ثقلا رئيدا بعد ما ألقت ذكاء يمينها في كافر وقال النبي صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم

الثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين إعظاما لقدرهما وقال جعفر الصادق سمي الجن

والإنس ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس إن استطعتم

ولم يقل إن استطعتما لأنهما فريقان في حال الجمع كقوله سبحانه فإذا هم فريقان يختصمون وقوله هذان

خصمان اختصموا في ربهم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض ... فانفذوا ومعنى الكلام إن

استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا وإنما يقال لهم هذا

يوم القيامة وقال الضحاك يعني إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا فأخبر أنه لا يجيرهم أحد من الموت ... المحيص لهم منه

وقيل ... أقطار السموات والأرض كانوا في سلطان الله وملكه وقال ابن عباس يعني إن استطعتم

أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان يعني البينة من الله عز وجل لا تنفذون إلا

بسلطان أي بحجة وقال ابن عباس ... عطاء الخراساني ... سلطان وقيل معناه إلا بسلطان ...

... وقال ... أبيتني ... أو حسنوا ... ملوكة ... قلت

في الحشر ... على الخلق الملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والإنس إن استطعتم ...

قوله عز وجل يرسل عليكما شواظ من نار ... ابن كثير ... بكسر الشين ... والباقون بضمها وهما لغتان

... وهو اللهب الذي لا دخان فيه قاله أكثر المفسرين وقال مجاهد هو اللهب

الأخضر المنقطع من النار قال حسان ... هجوتك فاختضعت لها بذل

... أجج كالشواظ وقال رؤبة ... وقال حرب ... الشواظ

وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب ونحاس والركة ... قرأ

بكسر السين عطفا على النار واختاره أبو حاتم وقرأ الباقون بالرفع عطفا على الشواظ ...

... النحاس الدخان وهو رواية ... عن ابن عباس وقال النابغة يضيء كضوء السراج السليط

لم يجعل الله فيه نحاسا قال الأصمعي ... السليط دهن السنام ولا دخان له وقال مجاهد ...

... الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهو رواية العوفي عن ابن عباس وقال ... خمسة أنهار من صفر مذاب

تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار ثلاثة أنهار على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار وقال عبد الله

... النحاس المهل ... [illegible] ... والذي لم ... [illegible]

مصورة مخطوطة دمشق

[illegible] قال ابن مسعود [illegible] ذلك الوادي حتى تخلع أوصالهم فيخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا
جديدا [illegible] النار [illegible] قوله يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
أي مقامه [illegible] بين يدي ربه وقيل [illegible] بيانه قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل قيام ربه عليه بيانه
قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت قال إبراهيم ومجاهد هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها
من مخافة الله تعالى [illegible] يؤمنه من كل خوف [illegible] وقال السدي [illegible]
[illegible] المغلوق [illegible] جنتان [illegible] من الناس [illegible]
[illegible] جنتان [illegible]
[illegible] جنة [illegible] وجنة [illegible] جنة عدن [illegible] قال أبو موسى الأشعري
جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين [illegible] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه هل
[illegible] ذواتا أفنان [illegible] فيهما عينان [illegible] تجريان [illegible]
[illegible] عن [illegible] المعاني [illegible] موسى [illegible]
[illegible] شعبة [illegible] الحجاج [illegible] عبد [illegible] عن [illegible] قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وإن زنى وإن سرق [illegible] وإن رغم أنف أبي الدرداء فبأي آلاء
ربكما تكذبان ذواتا أفنان قال ابن عباس ألوان واحدها فن [illegible] أفنن [illegible]
[illegible] وضروب [illegible] الألوان [illegible] مجاهد [illegible] عكرمة [illegible] الأغصان [illegible]
[illegible] ذواتا [illegible] الأغصان [illegible]
[illegible] بعضها بعضا [illegible] رواية العوفي عن ابن عباس [illegible] ذواتا [illegible]
ذواتا [illegible] فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة على أهل الجنة [illegible]
[illegible] التسنيم والأخرى السلسبيل [illegible]
[illegible] تجريان [illegible] فيهما عينان تجريان [illegible]
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة [illegible]
حتى الحنظل [illegible] فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق
وهو ما غلظ من الديباج وخشن [illegible] قال ابن مسعود [illegible] البطائن فما ظنكم با
لظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من إستبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم [illegible]
[illegible] البطائن [illegible] إستبرق [illegible] الظواهر [illegible] هو
[illegible] البطانة ظاهرة والظهارة بطانة [illegible]

مصورة مخطوطة دمشق

[illegible]

مصورة مخطوطة دمشق

مصورة مخطوطة دمشق

[illegible] وقيل المراد [illegible] الحكيم لا تأسف على ما فاتك ولا تفرح بما هو آت [illegible]

[illegible] بالعجب [illegible] بالحزن وقال الفضل في هذا المعنى [illegible]

[illegible] وقال الحسين بن الفضل [illegible]

[illegible] الطالبين جميعا وقال قتيبة بن سعيد دخلت [illegible]

[illegible] الابل [illegible]

[illegible] يا شيخ لمن كانت هذه الابل قال كانت باسمي [illegible]

[illegible] الذي [illegible] في ذلك شيئا [illegible]

لا والذي [illegible] والدهر [illegible] الرزق والحتف

[illegible] وما يجري في قضاء الله [illegible]

[illegible] الدنيا والاخرة [illegible] قال الرضا [illegible]

[illegible] فقال ما يجدي علي الحزن [illegible]

[illegible] الذين يبخلون [illegible]

[illegible] فان الله هو الغني الحميد [illegible]

[illegible] لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان يعني العدل

[illegible] ما يوزن به ليقوم الناس بالقسط ليعمل الناس بينهم بالعدل [illegible] قال ابن عباس [illegible] آدم

[illegible] خمسة اشياء [illegible] الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة [illegible] اهل المعاني يعني

اخرج لهم [illegible] المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقال قطرب [illegible]

[illegible] خلق لكم من الانعام ثمانية ازواج [illegible]

السلف من المفسرين [illegible]

[illegible]

[illegible] عن عبد الله [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] فيه باس شديد [illegible] السلاح والكراع [illegible] ومنافع

للناس [illegible]

[illegible] الناس [illegible]

[illegible] رسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم

[illegible]

[illegible] ابتغاء رضوان الله [illegible]

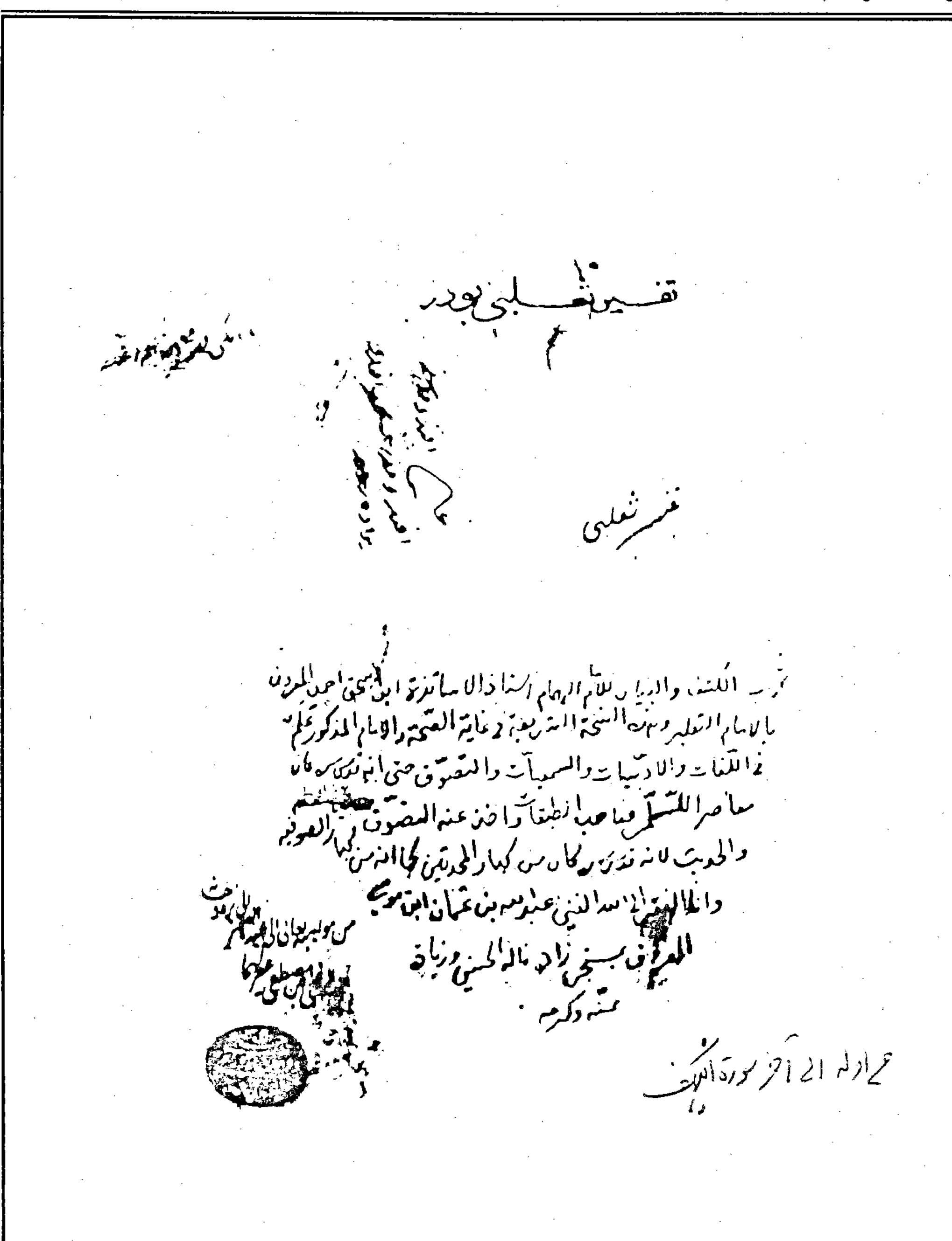
[illegible] فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم [illegible]

...ابتدعوها طلبا لرضا الله وكثير منهم فاسقون يعني الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها وكفروا
بدين عيسى وتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهب وأقام منهم أناس على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فآمنوا به وهم الذين قال الله فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين أقاموا على اليهودية والنصرانية
أخبرنا ... عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم
الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم
يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله
النبي الذي وعدنا عيسى يعنون محمدا فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم
من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلى فآتينا الذين آمنوا منهم يعني من ثبتوا عليها أجرهم
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة
والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع ... أبو عبد الله ... أحمد بن عبد الله ... عبد الله بن ...
... شيبان بن فروخ قال ... الصعق بن حزن عن عقيل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها اثنتان وهلك سائرهن
فرقة آزت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم فقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا
بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله تعالى ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن
بي فأولئك هم الهالكون وروى الضحاك عن ابن عباس قال كتب الله تعالى عليهم القتال قبل أن يبعث محمد
صلى الله عليه وسلم فلما استخرج أهل الإيمان ولم يبق منهم إلا القليل وكثر أهل الشرك وذهب الرسل وقهروا
اعتزلوا في الغيران فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم وتركوا أمر الله ودينه وأخذوا بالبدعة وبا...
النصرانية وباليهودية فلم يرعوها حق رعايتها وثبتت طائفة على دين عيسى حتى جاءهم البيان ...
... صلى الله عليه وسلم ... وهم كذلك ... يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله إلى قوله والله غفور رحيم
أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن جعفر قال حدثنا علي بن حرب قال حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم
إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه
فدعاهم ملكهم وجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة
والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون منا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة
ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الأرض
ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي

مصورة مخطوطة دمشق

حتى [illegible] النقل فلا نرد عليكم ولا نمن بكم وليس أحد منا [illegible] الا وله حميم
منهم فتعلوا ابهم ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب
فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا
كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله قال ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين
الذين جاؤوا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها وكثير منهم فاسقون الذين جاؤوا
من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من
سياحته وصاحب الدير من ديره وآمنوا به وصدقوه فقال عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته قال اجرين لايمانهم بعيسى والانجيل ولايمانهم بمحمد والقرآن ويجعل لكم
نورا تمشون به يعني القرآن لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بهم ان لا يقدرون على شيء من فضل
الله الى اخرها وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
وذلك انهم تركوا الحق واكلوا لحم الخنزير وشربوا الخمر ولم يتوضؤوا ولم يغتسلوا من جنابة وتركوا
الختان فما رعوها يعني الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم
هم اهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون هم اهل الرهبانية والبدعة والذي ذهب [illegible]
ويعني قوله الا ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وما امرناهم
[illegible] اولئك [illegible] بالزهبانية [illegible] الا ابتغاء رضوان الله [illegible] يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته [illegible] بالاول [illegible]
قال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة قال ابن جرير واصله ما يكتفل به الراكب
الثياب والمتاع يحبسه ويحفظه من السقوط يقول يحصنكم هذا الكفل من العذاب كما يحصن
الراكب الكفل من السقوط ومنه الكفالة لانها تحصن الحق ويجعل لكم نورا تمشون به في الناس وعلى
الصراط امنين وقال ابن عباس النور القرآن وقال مجاهد الهدى والبيان ويغفر لكم والله غفور رحيم قال
سعيد بن جبير بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعفر في ركب [illegible] الى النجاشي يدعوه فقدم عليه
فدعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن قد آمن به من اهل مملكته [illegible]
ائذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم به ونجذف بهم في البحر فانا اعلم بالبحر منهم فقدموا مع جعفر
على النبي صلى الله عليه وسلم وقد تهيأ النبي صلى الله عليه وسلم لوقعة احد فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدة الحال
استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان لنا اموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فان اذنت
لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها

مصورة مخطوطة دمشق



تفسير الثعلبي [illegible]

تفسير ثعلبي

كتاب الكشف والبيان للإمام الهمام الأستاذ أبي إسحق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي [illegible] السنة الشريفة في غاية الصحة والإمام المذكور [illegible] في اللغات والأدبيات والسمعيات والتصوف حتى [illegible] كان معاصر للقشيري صاحب الطبقات وأخذ عنه التصوف [illegible] والحديث [illegible] كان من كبار المحدثين [illegible] من كبار الصوفية [illegible] عبد [illegible] بن عثمان [illegible] المعروف [illegible] زاده [illegible] الحسنى وزيادة بمنه وكرمه

من أوله إلى آخر سورة الكهف

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

قال حدثني عمي قال حدثني ابي عن ابيه [illegible] عن ابن عباس | اني [illegible] التمهيد [illegible] اخبرنا [illegible]
الطوسي [illegible] عليه في داري سنة ثلثين [illegible] قال اخبرنا ابو القسم سليمن بن احمد بن احمد الطهراني قال اخبرنا [illegible]
قال حدثنا عبد العزيز بن سعيد البيهقي عن ابي محمد موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن عبد الملك بن جريج عن عطاء [illegible]
[illegible] عن عثمن بن سليمن عن [illegible] عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه [illegible] عكرمة [illegible] حدثنا [illegible]
بن محمد [illegible] الساعدي [illegible] قال حدثنا احمد بن محمد ابراهيم [illegible] المروزي قال حدثنا ابو العباس [illegible]
حدثنا ابو داود سليمن بن معبد [illegible] قال حدثني علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة [illegible] عن ابن عباس [illegible]
طريق محمد الفضل [illegible] حدثنا ابو القسم الحسن محمد بن جعفر قال اخبرنا ابو العباس محمد [illegible] قال حدثنا الحسن بن علي [illegible]
حدثنا حميد بن [illegible] عن محمد الفضيل عن محمد السايب الكلبي عن ابي صالح [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنه [illegible]
ابو القسم الحبيبي [illegible] حدثنا ابو محمد عبد الله بن محمد [illegible] قال اخبرنا ابو جعفر محمد بن معاذ المروزي [illegible]
[illegible] عن محمد [illegible] عن الكلبي عن ابي صالح [illegible] رضي الله عنه ● طريق [illegible] اخبرنا ابو محمد [illegible]
محمد [illegible] للمقري [illegible] قال اخبرنا [illegible] العراق [illegible] قال اخبرنا ابو نصر [illegible]
[illegible] لسناد [illegible] اخبرنا ابو محمد [illegible] قال اخبرنا ابو بكر [illegible] العلم [illegible]
وحدثنا ابو القسم الحسن محمد بن جعفر قال اخبرنا ابو علي الحسين بن محمد [illegible] قال اخبرنا احمد [illegible]
[illegible] السدي عن محمد بن السايب الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه ● طريق [illegible]
[illegible] حدثنا ابو [illegible] بن محمد [illegible] حدثنا محمد [illegible] عن [illegible]
[illegible] العبسري عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس [illegible] اخبرنا الشيخ ابو محمد [illegible]
[illegible] قال اخبرنا احمد [illegible] صالح بن محمد الترمذي [illegible] القران [illegible]
في سورة المجادلة الم تر الى الذين نهوا عن النجوى [illegible] الى آخر القرن ● اخبرنا [illegible] قال اخبرنا [illegible]
[illegible] قال حدثنا القسم بن عباد قال حدثنا صالح بن محمد [illegible] عن [illegible] عن ابي صالح عن ابن عباس
[illegible] اخبرنا علي محمد بن [illegible] الخطيب [illegible] قال حدثنا الامام ابو بكر محمد [illegible] الحسين [illegible]
ابو بكر محمد علي [illegible] حدثنا صالح بن محمد الترمذي [illegible] لم يبق الا حديث [illegible]
اخبرنا ابو محمد عبد الله [illegible] الاصبهاني [illegible] اخبرنا [illegible] طه [illegible]
حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن ابي نجيح عن مجاهد ● قال [illegible] القسم [illegible] حدثنا ابو [illegible]
عبد الله العبسي [illegible] اخبرنا [illegible] ابي نجيح عن مجاهد ● طريق [illegible]
ابن جريج ● اخبرنا القسم بن ابي بكر [illegible] اخبرنا ابو الحسن [illegible] حدثنا [illegible]
الرماح عن الحجاج بن محمد [illegible] عن ابن جريج عن مجاهد ● طريق [illegible]
سليمن بن منصور [illegible] جعفر [illegible] حدثنا [illegible] مجاهد [illegible]
[illegible] وهو الكتاب الكبير المبسوط ● اخبرنا الامام ابو القسم [illegible] ابو بكر احمد [illegible]
[illegible] ابرهيم بن عبد الرحمن [illegible] محمد بن ابان بن علي بن ابان [illegible] عبد الرحمن [illegible]
بن [illegible] عن جويبر عن الضحاك بن مزاحم الهلالي ● طريق ابن الحكم ● اخبرنا الشيخ [illegible]
[illegible] واخبرنا ابو بكر محمد عبد الله الجوزقي [illegible] عبد الله بن محمد [illegible] الحسن [illegible]
قال قرات على [illegible] الحكم عن الضحاك ● طريق [illegible] عبيد ● حدثنا ابو القسم [illegible] بن محمد السدوسي [illegible]
[illegible] جعفر [illegible] احمد [illegible] المروزي [illegible] عبيد بن [illegible] عن الضحاك ● طريق [illegible]
[illegible] بن [illegible] جعفر [illegible] ابو موسى عمران بن موسى بن الحصين [illegible] ابو [illegible]
[illegible] عن ابيه عن ابي روق عن الضحاك [illegible]
النيسابوري [illegible] ابو عبد الله احمد [illegible] والطبري وابو الفرج احمد محمد [illegible] قال اخبرنا [illegible]
سهل بن اسمعيل [illegible] عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابي محمد موسى بن عبد الرحمن [illegible] عن ابن جريج عن عطاء [illegible]
[illegible] الحسن بن محمد [illegible] ابو الحسن [illegible] الحسين بن محمد [illegible]
[illegible] العباس [illegible] محمد [illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible] أخبرنا أبو الحسن محمد بن [illegible] عبد الله [illegible] أبو يحيى [illegible]
[illegible] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت
العرش [illegible] أخبرنا أبو الحسن بن محمد [illegible] محمد بن محمود [illegible] أبو [illegible] محمد [illegible]
عبد الرحمن [illegible] عن عمرو بن شرحبيل قال إن أول ما نزل من القرآن الحمد لله رب العالمين وذلك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى خديجة رضي الله عنها فقال لقد خشيت [illegible] قال إني إذا خلوت [illegible]
قال فانطلق مع أبي بكر إلى ورقة بن نوفل فقال له [illegible] فقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
[illegible] عن ابن عباس [illegible] قال قام النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين [illegible] أخبرنا أبو القاسم [illegible]
[illegible] عن مجاهد قال فاتحة الكتاب
[illegible] بالمدينة [illegible]

[illegible]

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

المعرفة من جهة التشبيه فلم يقولوا بإعرابه [illegible] الأول [illegible] في هذا الاسم [illegible]
فيه واختلفوا فيه فقال الخليل بن أحمد وجماعة إن الله اسم علم موضوع غير مشتق [illegible]
[illegible] قال الله هل تعلم له سميا أي هل تعلم أحدا تسمى الله وهو موضوع لله تعالى لا يشركه فيه أحد [illegible]
[illegible] أن كل اسم لله تعالى يشرك فيه [illegible] على الجواز إلا هذا الاسم فإنه مختص به [illegible]
[illegible] إذا أسقطت منه الألف بقي لله [illegible] وإذا أسقطت من [illegible]
له اللام بقي هو [illegible] وإذا أطلق هذا الاسم [illegible] بالإضافة كما يقال [illegible] كما قال تعالى
[illegible] موسى [illegible] لنا إلها كما لهم آلهة وأما الله [illegible] وكان [illegible] بالسريانية [illegible]
[illegible] المسيح [illegible]
[illegible] العلماء على أنه مشتق واختلفوا في اشتقاقه [illegible]
[illegible]
[illegible] المعبود الذي يحق له العبادة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الرحمن الرحيم قال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الرحمن العاطف على جميع خلقه [illegible]
[illegible] وسعت كل شيء والرحيم بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق في الدنيا والجنة والرؤية في العقبى [illegible]
وكان بالمؤمنين رحيما [illegible] والرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم عام اللفظ خاص المعنى [illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع [illegible]
[illegible] المؤمنين [illegible] اللطف والتوفيق [illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

علي بن محمد قال حدثنا شعيب بن سنوات من حنظل بن خضاله عن علي بن [illegible] بن يوسف بن مهران عن ابن عباس [illegible]
قال كلمة شكر اهل الجنة ٠ واختلف القراء في قوله الحمد لله فقرأت العامة بضم الدال على الابتداء [illegible] وقيل على
التقديم والتأخير اي لله الحمد وقيل على الحكاية وقرأ هارون بن موسى الاعور ورؤبة بن العجاج بنصب الدال على المصدر اي
احمد الحمد لله [illegible] والحسن البصري بكسر الدال اتباع الكسرة الكسرة ٠ وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة بضم الدال
واللام اتباع الضمة الضمة **رب العالمين** وقرأ زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح وقال [illegible]
على معنى احمد رب العالمين وقرأ الباقون رب العالمين بكسر الباء اي خالق الخلق اجمعين ومبدعهم ومالكهم والقائم
والرب بمعنى السيد قال الله تعالى اذكرني عند ربك اي سيدك وقال الاعشى [illegible] وارتبط [illegible]
[illegible] ابن مسعود قال رب الشقرة يعني [illegible] ويكون بمعنى المالك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ارب ابل انت ام رب غنم فقال من كل قد اتاني الله فاكثر واطيب ٠ وقال صفوان [illegible]
وقال النابغة [illegible] ولا تحزنوا [illegible] ٠ وقال ابو ذويب [illegible]
[illegible] الكلاب [illegible] ويكون بمعنى المربي [illegible] رب يرب ربابة [illegible]
وقال الشاعر [illegible] اذا فعل المعروف زاد وتمما ٠ ويكون بمعنى الصاحب [illegible] قال الشاعر
[illegible] من ادم [illegible] وقال الحسين بن الفضل الرب اللازم من قولهم رب [illegible]
رب بالمكان وارب ولب والب اذا اقام وفي الحديث انه كان يتعوذ بالله من فقر مرب او ملب ٠ قال الشاعر [illegible] من [illegible]
وهو الاختيار لان المتكلمين اجمعوا على ان الله لم يزل ربا ٠ وسمعت ابا القسم بن حبيب يقول سمعت ابي يقول سئل ابو بكر محمد بن
موسى الواسطي عن الرب فقال هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفا بالالف واللام
وانما يقال على الاضافة هو رب كذا لانه لا يملك الكل غير الله والالف واللام تدلان على العموم والعالمون جمع عالم لا واحد
له من لفظه كالانام والرهط والجيش ونحوها واختلفوا في معناه ٠ حدثنا ابو القسم الحسن بن محمد [illegible]
بن الحسن بن سفيان [illegible] ابي [illegible] بن مقاتل عن ابي معاذ الفضل بن خالد [illegible]
الربيع بن انس عن شهر بن حوشب عن ابي بن كعب قال العالمون هم الملائكة وهم ثمانية عشر الف ملك [illegible]
[illegible] بالمشرق [illegible] بالمغرب [illegible] في الكتف الثالث من الدنيا [illegible]
بالكتف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الاعوان ما لا يعلم عددهم الا الله عز وجل [illegible]
[illegible] الا الله عز وجل [illegible] الملائكة [illegible] بالتسبيح والتهليل [illegible]
[illegible] منتهاها [illegible] العرش ٠ وقال ابو معاذ النحوي هم بنو ادم
وقال ابو الهيثم [illegible] الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وهو رواية عطية العوفي وسعيد بن جبير [illegible]
وقال الحسين بن الفضل العالمون الناس واحتج بقوله تعالى اتأتون الذكران من العالمين ٠ وقال [illegible]
وقال الفراء وابو عبيدة هو عبارة عمن يعقل وهم اربع امم الملائكة والجن والانس والشياطين [illegible]
من العلم ٠ قال الشاعر [illegible] العالمينا [illegible]
[illegible] عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هم المرتزقون ٠ وقال النضر بن شميل هم بنو ادم [illegible]
للعالمين من العذاب [illegible] ٠ وقال ابو عمرو بن العلاء هم الروحانيون [illegible]
وقال سفيان بن عيينة هو جمع للاشياء المختلفة ٠ وقال جعفر [illegible] والنار [illegible]
[illegible] من جميع المخلوقات [illegible] قال [illegible]
واشتقاقه [illegible] من العلم والعلامة [illegible] العالمين [illegible]
[illegible] لله الف عالم [illegible] وقال [illegible]
[illegible] ٠ وقال وهب لله تعالى ثمانية عشر الف عالم [illegible]
[illegible] ٠ وقال ابو سعيد الخدري ان لله اربعين الف عالم [illegible]
قال ابو القسم مقاتل بن حيان العالمون ثمانون الف عالم اربعون الف عالم في البر واربعون الف عالم في البحر ٠ وقال [illegible]
العالمين [illegible] ٠ وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين احد الا الله [illegible]
مالك يوم الدين اختلف القراء فيه من عشرة اوجه ملك الملك [illegible] وهو قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف [illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

إياك نعبد وإياك نستعين

[illegible]

وإياك نستعين

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

فأما التفسير

[illegible]

فصل في آمين

[illegible]

فصل في أسماء هذه السورة

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

القول في وجوب قراءة هذه السورة في الصلوات

ذكر وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام واختلاف الفقهاء فيه

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

وقال أيضا المتقي من إذا قال قال لله وإذا سكت سكت لله وإذا ذكر ذكر لله تعالى. وسئل [illegible] يكون الرجل من المتقين حتى يأمنه عدوه كما يأمنه صديقه. وقال سهل المتقي من تبرأ من حوله وقوته. وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك. وقيل هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم. وقيل هو أن تتقي بقلبك من الغفلات وبنفسك من الشهوات وبحلقك من اللذات وبجوارحك من السيئات فحينئذ يرجى لك الوصول إلى ملك الأرض والسموات. أبو القاسم الحكيم التقوى حسن الخلق. وقال بعضهم يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا بما قد نال وحسن الصبر على ما فات. وقال المدني [illegible] تابعة [illegible] وقال مالك حدثنا [illegible] أن [illegible] كتب إلى ابن الزبير أن لأهل التقوى علامات يعرفون بها الصبر عند البلاء والرضا بالقضاء والشكر عند النعمة والتذلل لأحكام القرآن. وقال ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر. وقال أبو تراب بين يدي التقوى عقبات من لا يجاوزها لا ينالها اختيار الشدة على النعمة [illegible] واختيار الجهد على الراحة واختيار الموت على الحياة. وقال بعض الحكماء لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق فيطاف به في السوق لم يستحي من شيء عليها. وقيل التقوى أن تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق. وقال أبو الدرداء:

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

الذين يؤمنون بالغيب — فصل في الإيمان

اعلم أن حقيقة الإيمان هي التصديق بالقلب لأن الخطاب الذي توجه علينا بلفظ آمنوا إنما هو بلسان العرب ولم يكن يعقل العرب الإيمان غير التصديق والنقل عن [illegible] لم يثبت فيه إذ لو وقع النقل عن اللغة لروي عن ذلك كما روي في الصلاة التي أصلها الدعاء إذ كان الأمر كذلك فوجب علينا أن نحمل الأمر على ما يقتضيه لسانهم قوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام وبنيه وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق لنا ولو كنا صادقين ويدل عليه من هذه الآية أنه لما ذكر الإيمان بالغيب [illegible] ثم أردفه بالذكر عن سائر الطاعات اللازمة للأبدان وفي الأموال فقال ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والدليل عليه أيضا أن الله تعالى حيث ما ذكر الإيمان أضافه إلى القلب فقال من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال وقلبه مطمئن بالإيمان وقال أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ونظائرها كثيرة فأما محل الإسلام من الإيمان كمحل الشمس من الضوء كل شمس ضوء وليس كل ضوء شمسا وكل مسك طيب وليس كل طيب مسكا كذلك كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا إذا لم يكن تصديقا لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع يدل عليه قول الله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا [illegible] وقول النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان [illegible] والإسلام علانية وقوله صلى الله عليه وسلم يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه [illegible] وكذلك [illegible] الإسلام [illegible] التصديق [illegible] شرائع الإيمان وهو ما روى أبو بريدة ويحيى بن يعمر قالا أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقنا أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوافق لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف فقال إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم [illegible] وأما [illegible] اللسان وأعمال الأبدان [illegible] الفرح [illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

سورة البقرة

فضلها

التفسير قوله تعالى الم

مصورة مخطوطة إرلاندا

وقال قتادة هي اسماء القرآن وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هي اسماء السور المفتتح بها وقال ابن عباس هي اقسام اقسم الله بها
وروي انه ثناء اثنى الله به على نفسه وقال ابو العالية ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من اسمائه [illegible] وليس منها حرف
الا وهو في الائه وبلائه وليس منها حرف الا وهو مدة قوم واجال اخرين وقال عبد العزيز بن يحيى معنى هذه الحروف ان الله ذكرها
فقال اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وكذلك تعلم الصبيان [illegible]
مقطعة مفردة ليعرفوها اذا وردت عليهم ثم اسمعهم مؤلفة فقال ابو روق انها [illegible] للكفار وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلها وكان المشركون يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فربما صفقوا وربما صفروا [illegible]
ليغلطوا النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته فلما راى رسول الله ذلك اسر في الظهر والعصر وجهر في سائرها وكانوا [illegible] فانزل الله
تعالى هذه الحروف المقطعة فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين فاشتغلوا بذلك عن اذاه وتغليطه فكان ذلك سببا لاستماعهم
وطريقا الى انتفاعهم وقال الاخفش انما اقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة
ومباني اسمائه الحسنى وصفاته العلى واصول كلام الامم بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه فكانه اقسم بهذه الحروف ان القرآن
كتابه وكلامه لا ريب فيه وقال القتيبي [illegible] التنبيه والاستئناف ليعلم ان الكلام الاول قد انقطع [illegible]
[illegible] واحسنها انها اظهر لاعجاز القرآن وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان كل [illegible]
والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله كقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون [illegible]
والسجود من الصلوة اذ كانا من اركانها وقال ذلك بما قدمت ايديكم اراد جميع ابدانكم [illegible]
[illegible] وقال الشاعر في [illegible] انما يحفظ القرآن [illegible]
[illegible]
[illegible] الحمد لله [illegible] وكذلك [illegible]
[illegible] بيان الله تعالى به العرب [illegible] الثمانية والعشرين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال الراجز
قلت لها قفي فقالت لي قاف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الم [illegible] اختلف العلماء في تفسيرها [illegible] ابن السائب [illegible] ابن عباس [illegible]
انا الله اعلم ابو روق عن الضحاك في قوله الم انا الله اعلم [illegible] مجاهد وقتادة الم اسم من اسماء القرآن [illegible] الربيع بن انس الالف [illegible]
الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه مجيد [illegible] عكرمة [illegible]
والميم [illegible] وفي بعض الروايات [illegible] ابن عباس [illegible]
[illegible] محمد [illegible]
[illegible]
[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

ولا تحملنا من الذنوب، وقيل واعف عنا من الأفعال واغفر لنا من الأقوال وارحمنا من العقود والأسباب، وقيل واعف عنا
الصغائر واغفر لنا الكبائر وارحمنا بتثقيل الميزان مع إفلاسنا، وقيل واعف عنا في سكرات الموت واغفر لنا في ظلمة
القبر وارحمنا في ظلمة الحشر. **أنت مولانا** أي ناصرنا وحافظنا ووليّنا ووالينا **فانصرنا على
القوم الكافرين** عطاء بن سعيد عن ابن عباس في قول الله تعالى آمن الرسول إلى قوله غفرانك ربنا
قال قد غفرت لكم، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال
لا أؤاخذكم، ربنا ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم، ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم، واعف عنا واغفر لنا و
ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين.
وروى سفيان عن أبي إسحاق عن رجل عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال آمين.

تتلوها سورة آل عمران

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خير الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين والطاهرين أجمعين وسلم

قال مسعر نعم كنز الصعلوك سورة البقرة وآل عمران يقرأ بهما من آخر الليل. وقال وهب بن منبه من قرأ
ليلة الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نور ما بين عجيبا إلى عجيبا، وعجيبا الأرض السابعة وعجيبا العرش.
وقال مسعر من قرأ سورة البقرة في ليلة توّج بها. وفي الحديث السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن.
سؤال: فإن قيل أيجوز أن يحمّل الله المسلمين [illegible] قال الزجاج قيل له إن أردت [illegible] منه
فهو محال، وإن أردت ما يثقل عليه فلله تعالى أن يفعل من ذلك ما شاء، لأن الذي كلفه بني إسرائيل من قتل أنفسهم
مثل هذا، ومثله كقولك ما أطيق كلام فلان، فليس المعنى ليس في قدرتك ولكن معناه أنه يثقل عليك. فإن قيل [illegible]
في العادل أن يكلف فوق الوسع؟ قيل هذا خبر عن سعة رحمته وعطفه على خلقه، كما نفى الظلم عن نفسه وإن كان جائزا
منهم منه الظلم تعالى. وقال قوم لو كلف فوق الوسع لكان له، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، لكنه أخبر أنه لا يفعله.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة آل عمران

وهي أربعة عشر ألف حرف وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفا، وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة، ومائتا آية. فضلها:
[illegible] عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة
صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس. زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم. حبيب بن أبي [illegible] عن سليم بن حنظلة قال قال عبد الله
بن مسعود من قرأ آل عمران فهو غني. يحيى بن [illegible] عن أبيه عن أبي أمامة [illegible] قال سمعت رسول الله
يقول تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما يأتيان يوم القيامة في صورة ملكين يشفعان لصاحبهما حتى
يدخلاه الجنة. إبراهيم بن أبي يحيى عن أبي الحويرث عن أبي عبد الله الشامي قال من قرأ سورة البقرة وآل عمران
في ليلة الجمعة يكون له يوم القيامة جناحان يطير بهما على الصراط. **التفسير**: قال محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن
جعفر بن الزبير ومحمد بن [illegible] والكلبي، وعبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس قالوا نزلت هذه
الآية في وفد نجران، وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم،
ثم من الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أميرهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه
عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم وإمامهم
وصاحب مدارسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرفوه و
موّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده، فقدموا على رسول الله المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب
الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بلحارث بن كعب، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا
مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله دعوهم فصلوا إلى المشرق،
فكلم السيد والعاقب رسول الله فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما، قالا قد أسلمنا قبلك، قال كذبتما منعكما من
الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، قالا إن لم يكن ولد الله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعا
في عيسى عليه السلام، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا بلى

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها

أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا

أو تأتي بالله والملائكة

أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء

حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه

قل سبحان ربي

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى

إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا

قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين

لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل

بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا

ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم

عميا وبكما وصما

ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا

أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض

لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا

خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا

تسع آيات بينات

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا



مقدمة المصنف

كتاب الكشف والبيان للإمام الهمّام استاذ الأساتذة أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي. وهذه النسخة الشريفة في غاية الصحة، والإمام المذكور علم في اللغات والأدبيّات والسمعيّات والتصوّف حتى إنّه (قدس سره) كان معاصراً للسلمي صاحب الطبقات وأخذ عنه التصوّف والحديث ؛ لأنّه (قدس سره)كان من كبار المحدّثين، كما أنّه من كبار الصوفيّة.

وأنا الفقير إلى الله الغني عبد الله بن عثمان بن موسى المعروف بمسنجر زاده ناله الحسنى وزاده بمنّه وكرمه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربِّ أعِن وتَمِّمْ

قال الإستاذ الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (رضي الله عنه): بحمد الله يفتتح الكلام، وبتوفيقه يُستنجز المطلب والمرام ، ونسأله أن يصلّي على محمد خير الأنام، وعلى آله الكرام وأصحابه نجم الظلام [بحقّ] الملك السلام.

أما بعد:

فإنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بكريم كتابه وأنعم علينا بعظيم [مطلبه] في القرآن، وجعله مهيمناً على الكتب والأديان، أمر فيه بالحكمة وزجر وأعذر الحجّة وأنذر. ثم لم يرضَ منا [نسخه] ولا إقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا تلاوته وقراءته دون تدبّر آياته والتفكر في بيناته، وتعلّم حقائقه ومعانيه، وتفهّم دقائقه ومبانيه فقيّض له رجالا موفقين حتّى صنّفوا فيه المصنّفات، وجمعوا علومه المتفرّعات.

وإني مذ فارقت المهد إلى أن بلغت الأشدّ اختلفت إلى ثقات الناس، واجتهدت في الإقتباس من هذا العلم الذي من الدين أساس والعلوم الشرعية الرأس . . .[1] الظلام بالضياء

---

(١) بياض في المخطوط.

والصباح . . . العزم . . . . . [١] حتّى رزقني الله تعالى ـ وله الحمد ـ من ذلك ما عرفت به الحقّ من الباطل، والمفضول من الفاضل، والصحيح من السقيم، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحجّة من الشبهة. فألفيت المصنّفين في هذا الباب فرقاً على طرق: فرقة منهم أهل البدع والأهواء وفرقة المسالك والآراء مثل البلخي والجبائي والأصفهاني والرماني، وقد أُمرنا بمجانبتهم وترك مخالطتهم، ونهينا عن الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم فاختاروا ممّن تأخذون دينكم، وفرقة ألّفوا وقد أحسنوا غير أنّهم خلطوا أباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين كما جمع بين . . . . . [٢] لاسفدوانية مثل أبي بكر القفال وأبي حامد المقري. وهما من الفقهاء الكبار، والعلماء الخيار، ولكن لم يكن التفسير حرفتهم، ولا علم التأويل صنعتهم؛ ولكل عمل رجال، ولكل مقام مقال.

وفرقة اقتصروا على الرواة والنقل دون الدراية والنقد مثل الشيخين أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأنماطي. وبياع الدواء محتاج إلى الأطبّاء.

وفرقة حرّموا الأسناد الذي هو الركن والعماد، وتملّكوا الصحف والدفاتر وجهدوا على ما هو بين الخواطر، وذكروا الغثّ والسمين، والركيك والمتين، وليسوا في عداد العلماء فصنت الكتاب عن فكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكابر. ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء.

وفرقة حازوا قصب السبق في عمدة التصنيف والحذق، غير أنّهم طوّلوا كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وحشوها بما منه بدّ، فقطعوا عنها طمع المسترشد مثل الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وشيخنا أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني. وازدحام العلوم مضلّة للفهوم.

وفرقة جرّدوا التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال من الحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايخ السلف الصالحين، والعلماء القدماء من التابعين وأتباعهم مثل مجاهد ومقاتل، والكلبي والسدّي، ولكل من أهل الحقّ فيه غرض محمود وسعي مشكور.

فلما لم أعثر في هذا الشأن على كتاب جامع مهذّب يُعتمد في علم القرآن عليه . . . . [٣]، ورأيت رغبة الناس عن هذا العلم ظاهرة، وهممهم عن البحث فيه قاصرة، وطباعهم عن النظر في البسائط نافرة، وانضاف إلى ذلك سؤال قوم من المبرزين، والعلماء المحصّلين، والرؤساء

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) بياض في المخطوط.

المحشمين، أردت إسعافهم . . . بهم ورعاية معرفتهم فصرنا إلى الله عزّ وجلّ. . .لبعض موجبات شكره، فإن شكر العلم نشره، وزكاته إنفاقه [فـ] استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب شامل كامل، مهذب ملخّص، مفهوم منظوم، مستخرج من [نيف و] مائة كتاب مجرّبات مسموعات، سوى ما التقطته من التطبيقات، والأجزاء المتفرّقات وتلقّفنه عن أقوام من المشايخ، وهم قريب من ثلاثمائة مستمع فسقته بأبلغ ما صرت عليه من . . . . .[١] والترتيب، وسعة الإثبات بغاية التنسيق والترتيب وسيبقى لكلّ مؤلّف كتاباً في فن قد سيق إليه أن لا يعدم كتابة بعض الخلال التي أنا ذاكرها ؛ إمّا استنباط شيء إن كان مقفلا أو جمعه إن كان متفرّقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم تأليفه، أو إسقاط شيء وتطويل.

وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرتها والله الموفِّق لما نويت وقصدت.

وخرّجت الكلام فيه على أربعة وعشرين نحواً: البسائط، والمقدّمات، والعدد، والترتيلات، والقصص، والروايات، والوجوه والقراءات، والعلل، والإحتجاجات، والعربية، واللغات، والإعراب، والموازنات، والتفسير، والتأويلات والمعاني، والجهات، والغوامض، والمشكلات، والأحكام، والفقهيات، والإشارات، والفضائل، والكرامات، والأخبار والمتعلقات أدرجتها في أثناء الكتاب، بحذف الأبواب، وسمّيته «كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، والله المستعان، وعليه التكلان.

وهذه أسماء الكتب التي عليها مباني كتابنا هذا [أذكرها][٢] لئلاّ نحتاج إلى تكرار الأسانيد وبالله التوفيق.

[تفسير ابن عباس]

التفسيران المنصوصان عن ابن عباس (رضي الله عنه) وهو الجفر والنقاب، والإمام والقدوة في علم الكتاب، وهو ترجمان القرآن، وحبر هذه الأمّة وربانيهم [وقد] دعا [له] رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم علّمه التأويل، وفقّهه في الدين»[٣] [١].

فأجاب الله تعالى فيه دعاءه حتى صار علماً في العلم (رضي الله عنه).

. . . .[٤] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الطيّب، وأبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو القاسم الحسن ابن محمد قالوا: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبدوس الطرائفي قال: حدّثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال: حدّثنا عبدالله بن صالح حدّثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس(رضي الله عنه). . . .

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) كذا الظاهر من المخطوط.
(٣) المعجم الكبير: ١٠ / ٢٣٨.
(٤) بياض في المخطوط.

أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بقراءته عليَّ قال: حدّثنا عبد الله بن محمد الثقفي قال: حدّثنا أبو جعفر المزني قال: حدّثنا محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطيّة بن سعد العوفي، قال: حدّثنا عمي الحسين بن الحسن بن عطيّة العوفي الكوفي عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وأخبرنا محمد بن نعيم إجازة قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل ببغداد، قال: حدّثنا محمد بن سعد العوفي، قال: حدثني عمّي، قال: حدثني أبي عن الحسن بن عطيّة عن ابن عباس (رضي الله عنه).

أخبرنا ابن فنجويه بقراءتي عليه في داري سنة ثمان وأربعمائة قال: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن محمد بن أحمد الطبراني قال: حدّثنا أبو محمّد عبدالله بن محمد قال: حدّثنا عبد العزيز بن سعيد البرقي عن أبي محمد موسى بن عبد الرَّحْمن الصنعاني عن عبد الملك بن جريح ابن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وعن موسى بن عبدالرَّحْمن عن مقاتل بن سليمان عن الضحّاك عن ابن عباس(رضي الله عنه).

تفسير عكرمة:

حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري لفظاً قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الصريمي المروزي قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن جعفر الصيرفي قال: حدّثنا أبو داود سليمان بن معبد المنجي قال: حدثني علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق محمد بن الفضل: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيّوب، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن زياد قال: حدّثنا عبيد بن يعيش عن محمد بن الفضيل عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح المؤذّن مولى أمّ هانىء عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وحدّثنا أبو القاسم الحسين قال: حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب البوشنجي قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن معاذ المروزي، قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن عيسى عن محمد بن فضيل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق يوسف بن بلال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد الشعبي المقري بقراءتي عليه قال: أخبرنا أبو الحسن بن محمد الورّاق سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد اللبّاد.

إسناد آخر: وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن الحسين المعلّم قال: حدّثنا أحمد بن محمد القصّار.

وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن هارون قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن اللبّاد قال: حدّثنا يوسف بن بلال السعدي قال: حدّثنا محمد بن مروان بن السدّي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق الحسن: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر المفسّر لفظاً: حدّثنا أبو سعيد نافع ابن محمد بن نافع بمرو الروذ، حدّثنا محمد بن عمران، حدّثنا محمّد بن المغيرة عن عمّار ابن عبد الجبار عن حيّان بن عليّ العبدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

تفسير الكلبي:

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتي عليه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان البلخي، حدّثنا حيويه بن محمد حدّثنا صالح بن محمد النهدي من أوّل القرآن إلى سورة المجادلة: ﴿**ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى**﴾[1]، ومنها إلى آخر القرآن.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي البلخي قال: حدّثنا القاسم بن عبّاد قال: حدّثنا صالح بن محمد بإسناده سواء عن محمد بن هارون عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

حدّثنا وأخبرنا علي بن محمد بن سعيد الخطيب كتابة قال: حدّثنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين السرخسي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، حدّثنا أبو بكر محمد بن علي المفسر المروزي، حدّثنا صالح بن محمد النهدي، وقد زاد فيه صالح أربعة آلاف حديث.

تفسير مجاهد:

طريق ابن أبي نجيح: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن طه، حدّثنا عبد الله بن زكريا، حدّثنا سعيد بن يحيى بن سعد الأموي، حدّثنا مسلم بن خالد الزنجي عن أبي نجيح عن مجاهد.

قال: وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر لفظاً: حدّثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري: حدّثنا محمد بن عبد السلام الورّاق: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ورقاء بن أبي نجيح عن مجاهد.

---

(١) سورة المجادلة: ٨.

طريق ابن جريج: أخبرنا القاسم بن أبي بكر المكتب، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد ابن محمّد البغدادي، حدّثنا المأمون بن أحمد، حدّثنا عبدالله بن الرماح عن الحجّاج بن محمد الجزري عن ابن جريج عن مجاهد.

طريق ليث: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا أبو جعفر محمد بن سليمان ابن منصور.

نا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، نا محمد بن حميد، نا جرير عن ليث عن مجاهد المكّي . . . . .[١].

طريق جويبر ـ وهو الكتاب الكبير المبسوط ـ: أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد ابن جعفر قراءة، أنا أبو بكر جعفر بن محمد الزعفراني، نا إبراهيم بن عبد المؤمن عن محمد بن أبان بن علي بن أبان عن عبد الرَّحْمن بن جابر ويحيى بن آدم الأحول عن نصر بن مساور إبن أخي مصلح عن جويبر عن الضحاك بن مزاحم الهلالي.

طريق ابن الحكم: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني قال: وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي قال: نا عبد الله بن محمد بن الحسين الشريفي، نا أبو الأزهري، نا وهب بن جرير حدّثني شعبة قال: قرأ عليّ علي بن الحكم عن الضحاك.

طريق عبيد: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي لفظاً، نا أبو عمر أحمد بن محمّد، بسرخس، نا جعفر بن محمد بن سوار، نا أحمد بن جميل المروزي، نا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحّاك.

طريق أبي روق: نا الحسن بن محمد بن جعفر، نا أبو موسى عمران بن موسى بن الحسين، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني، نا يوسف . . . .[٢]، أنا عمرو بن طلحة القناد عن أبيه عن أبي روق عن الضحّاك.

طريق عطاء بن أبي رباح قال: نا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري بقراءته عليه، أنا أبو عبد الله أحمد بن ياسين الجرّاح الطبري، وأبو الفرج أحمد بن محمد بن سنان النهاوندي قالا: أخبرنا بكر بن سهل بن إسماعيل الدمياطي، نا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى ابن عبد الرَّحْمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن السدي.

تفسير عطاء الخراساني: نا الحسين بن محمد بن الحسن، نا أبو الحسن محمد بن الحسين ابن نجد البغوي، نا أبو نعيم عبدالملك بن محمّد بن عديّ ببخارى، نا العباس بن الوليد بن

---

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

مزيد البيروني، نا محمد بن شعيب بن سابور، أخبرني عطاء بن أبي مسلم الخراساني.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبّي فيما أجاز لي روايته عنه، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البغدادي، أخبرنا يحيى بن عثمان بن صالح عن يحيى بن بكر عن عبد الله بن لهيعة عن عطاء بن دينار.

تفسير الحسن بن أبي الحسن: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله المكتّب، نا أبي، نا أبو الحسن بن أحمد بن الصلت المعروف بابن شنبود المقري، نا سعيد بن محمد، نا السهل بن واصل عن أبي صالح عن محمد بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

طريق خارجة: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، نا أبي، حدّثنا ابراهيم بن عليّ الذهلي، نا أبو خالد عن أبي صالح اليشكري عن أبي الحجّاج خارجة بن مصعب السرخسي عن سعيد بن عروبة عن قتادة بن دعامة السدوسي، وأخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبيد السرخسي الخطيب فيما كتب إليّ بخط يده: عبدالله بن محمد بن همام، نا أبو جعفر أحمد ابن محمد بن هاشم المروزي، نا المغيث بن بديل ابن أخت خارجة وختنه على ابنته، نا خارجة ابن مصعب، أنا سعيد بن عروبة عن قتادة، وزاد فيه خارجة: جهته مقدار ألف حديث.

طريق شيبان: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن حامد بن محمّد الأصفهاني بقراءتي عليه: أخبرنا أبو علي حامد بن محمد الهروي: حدّثنا أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن ميمون الحربي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد المرو الروذي، نا شيبان بن عبد الرَّحْمن النحوي عن قتادة.

طريق معمر: نا أبو القاسم الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا العنبري، نا جعفر بن محمد بن سواد نا محمّد بن نافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

تفسير أبي العالية والربيع: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسّر، نا أبو عمرو أحمد بن محمد بن أبي منصور [السرخسي] بسرخس، نا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن مزين، نا أبو علي الحسن بن محمد بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمذاني عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أنس عن أبي العالية الرياحي، أخبرنا عبد الله ابن حامد الوزّان، أخبرنا محمد بن جعفر السختياني، نا أبو العبّاس أحمد بن جعفر بن نصر الرازي، نا أحمد بن عبد الرَّحْمن، نا عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه.

تفسير القرظي: نا الحسن بن محمد بن حبيب، نا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي، نا رجاء بن عبد الله، أخبرنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.

تفسير مقاتل بن حيّان: أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان بقراءتي عليه، وأبو عبد الله محمد

ابن عبد الله الحافظ قالا: نا أحمد بن محمد بن عبدوس، نا إسماعيل بن قتيبة، وأبو خالد يزيد ابن صالح الفراء نا بكر بن معروف البلخي الأزدي: نا أبو معاذ عن مقاتل بن حيّان.

وحدّثنا أبو الحسن محمد بن جعفر لفظاً، نا عليّ بن محمد بن أحمد بن دلويه، نا أحمد ابن محمد بن يحيى الدهّان، نا محمد بن يزيد السلمي، نا حمّاد بن قيراط، وإبراهيم بن سليمان، وعمرو بن عبد الله بن رضين عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيّان.

تفسير مقاتل بن سليمان: أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهرجاني، أخبرنا أبو محمّد عبد الخالق بن محمد بن الحسين الثقفي المعروف بابن أبي روبه من كتابه، نا عبد الله بن ثابت ابن يعقوب المقرىء أبو محمد، نا أبي، نا الهذيل بن حبيب أبو صالح بن بديل عن مقاتل بن سليمان عن ثلاثين رجلا منهم إثنان من التابعين.

طريق التغلبي: أخبرنا أبو القاسم الجيلي، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن المأمون، نا أبو ياسين عمّار بن عبد المجيد [...][1]: نا إسحاق بن إبراهيم التغلبي عن مقاتل بن سليمان.

طريق أبي عصمة، نا أبو القاسم الحبيبي، نا عبد الله بن أحمد بن الصدّيق، أخبرنا ابن أبي روبه، نا أحمد بن جميل عن عليّ بن الحسين بن واقد عن أبي عصمة عن مقاتل بن سليمان.

طريق السدّي: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن المفسّر حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن المبارك الشجري، أنا أحمد بن محمد بن نصر اللّباد، نا عمرو بن طلحة القنّاد عن أسباط عن السدي عن مقاتل.

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ فيما أجاز لي لفظاً وخطّاً: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن العبّاس الخطيب [السوسقاني المروزي، حدّثنا أبو اسحاق إبراهيم][2] ابن هلال، نا علي بن الحسن بن شفيق عن الحسين بن واقد.

تفسير ابن جريج: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا محمد بن خلف الصنعاني، نا علي بن محمّد المبارك الصنعاني، نا زيد[3] بن المبارك الصنعاني عن محمد بن ثور الصنعاني عن ابن جريج.

تفسير سفيان: أخبرنا محمد بن حمرويه فيما أذن لي عنه، نا أبو بكر الشافعي، نا إسحاق ابن الحسن الحربي عن أبي حذيفة عن سفيان الثوري.

---

(١) بياض في المخطوط.

(٢) زيادة عن تاريخ بغداد: ٦ / ١٦٩ ترجمة ٣٢٢٤.

(٣) في نسخة أصفهان: يزيد.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزّان قراءة عليه، أخبرنا محمد بن علي الطوسي أبو الحسن، نا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديلي، نا أبو عبد الله سعد بن عبد الرَّحْمن المخزومي، نا سفيان ابن عيينة.

تفسير وكيع: أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد بقراءتي عليه، أخبرنا يحيى بن محمد بن عبد الله بن العنبري نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد بن خالد المروزي، نا أبو يعقوب يوسف بن عيسى المروزي مولى بني زهرة، نا وكيع بن الجرّاح.

تفسير هشام بن بشير: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن بطّة، نا عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصفهاني، نا زناد[1] بن أيّوب عن هشام بن بشير.

تفسير شبل: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا أبو سعد .....[2] بن مصعب الثقفي، نا الحسن بن المثنى، حدّثنا أبو حذيفة عن شبل بن عباد المكي.

تفسير ورقاء: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبّي، أخبرنا ......[3] أبو القاسم بن أحمد بهمدان، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم البلوي، نا آدم بن أبي إياس عن ورقاء بن عمر.

تفسير زيد بن أسلم: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن قراءة أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن سخبرة أنّ محمد بن جرير الطبريّ حدّثهم: نا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرنا عبدالرَّحْمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

تفسير روح بن عبادة: أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد بن شعيب البيهقي، وأبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتي عليه، حدّثنا أبو حاتم مكيّ بن عبدان بن محمد التميمي، نا أبو الأزهري الأزهر بن منيع العبدي، نا روح بن عبادة العنسي.

وأخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمري، أخبرنا أحمد بن محمد ابن الحسن الشرقي، نا أبو الأزهر روح بن عبادة.

تفسير الفراتي: أخبرنا أبو الحسن عبد الرَّحْمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه النيسابوري وعبد الله بن حامد بن محمد بقراءتي عليهما قالا: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين ابن الحسن بن الخليل القطّان، نا أحمد بن يوسف السلمي حمدان، نا محمد بن يوسف الفراتي.

---

(١) كذا الظاهر ولعلّه: زياد.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

تفسير قبيصة: أخبرنا أبو عمرو سعيد بن عبد الله بن سعد بن إسماعيل الحيري، وأبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني قراءة عليهما قالا: أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري: نا أبو أحمد محمد بن عبد الوهّاب العبدي، نا أبو عامر قبيصة بن عقبة الكوفي.

تفسير سعيد بن منصور: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، نا أحمد بن نجدة بن العريان، حدّثنا سعيد بن منصور.

تفسير النهدي: أخبرنا أبو محمّد عبدالله بن حامد الوزّان بقراءتي عليه في داره، أخبرنا محمد بن جعفر بن مضر [الميطري][1]: أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث أبو عبد الله الزيادي الجوهري بالبصرة، نا أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي.

تفسير ابن وهب: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن عبيد، نا عبدالله بن مسلم، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى عن عبد الله بن وهب القرشي.

تفسير عبد الحميد: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن، حدّثنا داود بن سليمان، نا عبد الحميد بن حميد إلى سورة (المطفّفين)، ومنها إلى آخر القرآن، قال: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن يوسف، حدّثنا عمر بن محمد ابن نجير، نا عبد الحميد بن حميد الكشي.

تفسير محمد بن أيوب: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا أبو عبد الله الخازن، نا محمد بن أيّوب الرازي.

تفسير ابن كيسان: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، أخبرنا أبو سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني الأنماري، حدّثنا عبيد الله بن محمد القاضي، حدّثنا الفضل بن عباس بن مهران عن علي بن مسلم الطوسي قال: قرأت على أصحاب عبد الرَّحْمن بن كيسان أبي بكر الأهتم، ثم عد تفسيره بالتمام.

تفسير أبي حمزة الثمالي: نا أبو أحمد محمد بن أحمد بن شاذان الرازي بقراءتي عليه في مرو سنتي ثمان وتسع وثمانين وثلاثمائة فأقرأنيه قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرَّحْمن بن أبي حاتم الرازي، حدّثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الكندي الأشج، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الثقفي بعض الكتاب بقراءتي عليه، فأجاز لي بالباقي لفظاً وخطّاً، حدّثنا محمد بن خلف ابن حيّان ببغداد، حدّثنا إسحاق بن محمد، حدثني أبي، حدّثنا إبراهيم بن عيسى، حدّثنا علي ابن خليّ عن أبي حمزة الثمالي.

تفسير المسيّب: قرأت على الحسين بن محمد بن الحسن بن عبد الله الدينوري بعض

---

(١) زيادة عن أسباب النزول للواحدي: ٦٤.

الكتاب وأجاز لي بالباقي لفظاً وخطّاً، حدّثنا محمد بن علي بن حريز، حدّثنا الحسين بن علوية القطّان، حدّثنا إسماعيل بن عيسى حدّثنا المسيب بن شريك.

مصنفات [علماء] العصر:

تفسير عبدالله بن حامد: قرأته عليه، تفسير أبي بكر بن فورك: أملاه علينا الى رأس خمسين آية من سورة البقرة في ثلاثة وأربعين جزءاً ما حزم دونه(رحمه الله).

تفسير أبي عمرو الفراتي الملقّب بالبستاني: أجاز لي بجميعه لفظاً وخطّاً.

تفسير أبي بكر ابن فورك: أملى علينا صدراً .....[١] من أوله الى آخره ثم استأنف ولحق واقتصر على الأسئلة والأجوبة حتى فرغ منه.

تفسير أبي القاسم بن حبيب: سمعته غير مرّة.

تفسير جبريل: قرأته كلّه على مصنفه.

تفسير النبي ﷺ: سمعت بعضه من مصنّفه وأجاز لي بالباقي، .....[٢] قرأته كلّه على مصنّفه، صنّفها جميعاً أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه [الصيدلاني].

كتاب [ابن المبارك][٣]: أخبرنا أبو حنيفة القزويني: أخبرنا أبو بكر محمد بن يعقوب الاستواني عن أبي محمد عبد الله بن المبارك الدينوري.

حقائق التفسير على لسان أهل الإمارة: قرأته كلّه على مصنفه أبي عبد الرَّحْمن محمد بن الحسن السلمي فأقرّ لي به.

كتاب عروة: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن علي، أخبرنا أبو يحيى عمّار بن محمد ابن مسعود، أخبرنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن الخليل، أخبرنا محمد بن هانىء، حدّثنا الحسين بن معين، حدّثنا الهذيل عن مقاتل بن سليمان بكتاب الوجوه، وأخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني بقراءتي عليه في مجلس واحد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحنبلي البغدادي، حدّثنا أبو يعلى محمد بن أحمد بن عبد الله بن مروان الأقطع[٤] بملطية: حدّثنا أبو عبد الرَّحْمن .....[٥] بن حسان الملطي: حدثني أبو صالح إسحاق بن نجيح عن جدّ السلم بن سامة الجشطيني[٦] عن عكرمة عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه).

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) كذا الظاهر.
(٤) في تاريخ دمشق (١٩ / ١١٥) عبيد الأقطع.
(٥) بياض في المخطوط.
(٦) في تاريخ بغداد (٦ / ٣١٩): حدث عن هشام بن حسان وعطاء الخراساني وابن جريج وأبي المنيب العتكي وعبدالعزيز بن أبي رواد.

كتاب مالك بن . . . .[1]: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، حدّثنا عبد الله ابن أحمد بن الصدّيق، أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي، أخبرنا المطهر بن الحكم الكرابيسي عن علي بن الحسين بن واقد.

كتب المعاني:

معاني الفرّاء: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزني، وأبو محمد عبد الله بن حامد الوزّان، وأبو القاسم الحسن بن محمد المفسّر، قالوا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأُموي، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن جهم بن هارون السمري، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء.

معاني الكسائي: سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن يقول: سمعت أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيد الله الطاهري يقول: سمعت علي بن أحمد المدبّر يقول: سمعت أبا عبيد يحدث عن علي بن حمزة الكسائي.

معاني عبيد: أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه هو أبي القاسم الحبيبي علينا قالا: أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكّي، أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام.

معاني الزجاج: قرأت على أبي عثمان سعد بن محمد بن إبراهيم الحيري ـ وأخبرنا بالجملة ـ: أخبرنا أبو علي الفسوي وابن مقسم قالا: أخبرنا الزجاج.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري بها يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن مسعود الفسوي بها يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السدّي الزجّاج.

كتاب النظم: قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه قال: قرأت على أبي نصر محمد بن محمد بن يوسف بطوس عن الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني.

كتاب الغرائب: سمعت أبا القاسم الحسن بن أحمد السدوسي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد الماداني يقول: سمعت أحمد بن محمد بن المغيرة يقول: سمعت أحمد بن سهل بن يحيى النيسابوري يقول: سمعت سلمة بن رفيع، أخبرنا غسان البصري عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى التيمي.

غريب الأخفش: سمعت أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر يقول: سمعت أبا سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني يقول: سمعت علي بن فارس الدينوري يقول: سمعت

---

(١) بياض في المخطوط.

شمر بن حمدويه والحسن بن سفيان، حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا الفضل بن دكين، حدّثنا بشير بن المهاجرة، حدّثنا عبد الله بن يزيد عن أبيه قال: كنت عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «إنّ القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينفلق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كلّ تاجر من وراء تجارته؛ فإنك اليوم من وراء كل تجارة»(١) [٢].

قال: «فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسي والديه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها. فهو في صعود ما دام يقرأ هذّاً كان أو ترتيلا»(٢) [٣].

وقال معاذ بن جبل: كنت في سفر مع النبيّ ﷺ، فقلت: يا رسول الله، حدّثنا بحديث ننتفع به، فقال: «إن أردت عيش السعداء، وميتة الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والأمن يوم الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور، والري يوم العطش والوزن يوم الخفّة والهدى يوم الضلالة، فادرس القرآن؛ فإنه ذكر الرَّحْمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان»(٣) [٤].

باب [علم القرآن] والترتيب فيه: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري لفظاً: حدّثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبدان بن حبلة، نا أبو فراس محمد بن جمعة، حدّثنا محمد بن زينون المكّي، حدّثنا حمّاد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرَّحْمن السلمي قال: حدثني الذين كانوا يقرؤوننا عن عثمان بن عفّان (رضي الله عنه)، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب أن النبيّ ﷺ كان يقرئهم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قال: فتعلّموا القرآن والعلم(٤) جميعاً(٥).

وحدّثنا الحسن بن محمد: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، أخبرنا محمد بن عبد السلام الورّاق، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدّثنا جرير عن الأشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: «ما من قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره إلاّ بمنزلة الأعرابي يقرأ ولا يدري ما هو».

وأخبرنا الحسن بن محمد، حدثني أبي: حدّثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدّثنا يزيد بن

---

(١) سنن الدارمي: ٢ / ٤٥١.
(٢) سنن الدارمي: ٢ / ٤٥١.
(٣) كنز العمال: ١ / ٥٤٥.
(٤) في المصادر: العلم والعمل.
(٥) الدر المنثور: ١ / ٣٤٩، ومسند أحمد: ٥ / ٤١٠.

صالح، أخبرنا خارجة عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: «والله، ما أنزل الله آية إلاّ وهو يحب أن نعلم فيم أنزلت، وما معناها».

وقال الحسن: «علم القرآن لم يعلمه إلاّ الذكور من الرجال».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت ابن أبي الجوزي يقول: حدّثنا أبو نصر سعيد الرملي قال: أتينا الفضيل بن العياض بمكّة، فسألناه أن يملي علينا فقال: «ضيّعتم كتاب الله وطلبتم كلام فضيل وابن عيينة؟! ولو تفرّغتم لكتاب الله تعالى لوجدتم فيه شفاءاً لما تريدون». قلنا: قد تعلّمنا القرآن! قال: «إن في تعلم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم وأولاد أولادكم»[١]. قلنا: كيف؟ قال: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه. فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾**»[٢].

وروى مؤمل بن إسماعيل عن سفيان الثوري أنه قال: «أفنينا عمرنا في الإيلاء والظهار ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا فماذا نقول لربّنا في المعاد؟».

[لغة] التفسير: سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسّر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال يقول: سمعت أبا بكر محمد بن الحسن البريدي يقول: [أمّا التفسير في اللغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة، وهي القليل][٣] من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسّر يكشف عن بيان موطنها وشأن الآية وقصصها، ومعناها والسبب الذي نزلت فيه».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا سعد محمد بن سعيد الفارسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن القاسم الأنباري يقول: سمعت أحمد بن محمد [الخارزنجي] يقول: هو من قول العرب: فسرت الفرس إذا ركّضتها مصورة لينطلق حصيرها، وهو يؤول إلى أنّما قد سمعته يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن محمد الخارزنجي يقول: من [علوت][٤] من سفر مثل جذب وحيد وبيت الماء وبصق ووسع لفحل الناقة وبغاها. تقول العرب: فسّرت الناقة، إذا سيّرتها حتى زال شعرها، وظهر جلدها. وأنشدوا فيه لبعض الهذليين:

---

(١) الخبر في تفسير القرطبي ١ / ٢٢، والمصنّف اختصره.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

(٣) زيادة من البرهان للزركشي لتقويم النص: ٢ / ١٤٧.

(٤) الموجود في الأصل: عادت.

. . . .[١]

فيكون معنى التفسير: كشف المنغلق من المراد بلفظه وإطلاق المحتبس عن فهمه. والتأويل: بكون الأول معنى مجمله موافق لما قبلها وما بعدها، وأصله من الأول، وهو من الرجوع، تقول العرب: أوّلته. قال: أي صرفته فانصرف.

وسمعت أبا القاسم بن أبي بكر السدوسي يقول: سمعت رافع بن عبد الله يقول: سمعت أبا حبيب زيد بن المهتدي يقول: سمعت الحسن بن محمد بن البصري يقول: . .[٢]. عن جدّه النضر أنه قال: «أصله من الإيالة، وهي السياسة، تقول العرب: قد أُلنا، وإيل علينا، أي سسنا، وساسنا غيرنا، فكأنّ المؤول للكلام [يسوى الكلام ويضع المعنى فيه موضعه][٣] القادر عليه، وواضعه موضعه. وإنما بنوهما على التفعيل؛ لأنه يدلّ على التكثير، وكأنه تتبع سورة بعد سورة وآية بعد آية، وأمّا الفرق بينهما:

قالت العلماء: التفسير: علم نزول الآية وشأنها وقصّتها، والأسباب التي نزلت فيها. فهذا وأضرابه [محظورة] على الناس القول إلاّ باستماع الأثر. فأما التأويل فالأمر فيه أسهل؛ لأنه صرف الآية إلى معنى يحتمله، وليس بمحظور على العلماء استنباطه والقول فيه وإنّما يكون مرآتنا الكتاب والسنّة.

(١) بياض في المخطوط.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) زيادة عن البرهان للزركشي: ٢ / ١٤٩.



تفسير فاتحة الكتاب

[أسماؤها]

أخبرنا عبد الرَّحْمن بن إبراهيم بن محمّد بن يحيى، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان، وأخبرنا محمد بن أحمد بن عبدوس، أخبرنا محمد بن المؤمّل بن الحسن بن عيسى، حدّثنا الفضل بن محمد بن المسيّب، حدّثنا خلف بن هشام، حدّثنا محمد بن حسان عن المعافى ابن عمران عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله ربّ العالمين، سبع آيات أوّلهنّ (بسم الله الرَّحْمن الرحيم)، وهي السبع المثاني، وهي أمّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب»[1] [٥].

نزولها:

واختلفوا في نزولها؛ أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قراءة، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله المروزي قال: حدّثنا عبد الله بن محمود السعدي، حدّثنا أبو يحيى القصريّ، حدّثنا مروان بن معاوية عن الولاء بن المسيّب عن الفضل بن عمرو عن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكّة من كنز تحت العرش»[2]. وعلى هذا أكثر العلماء.

يدلّ عليه ما أخبرنا الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا محمد بن محمود، حدّثنا أبو لبابة محمد بن مهدي، حدّثنا أبي عن صدقة بن عبد الرَّحْمن عن روح بن القاسم [العبري] عن عمر ابن شرحبيل قال: إن أوّل ما نزل من القرآن ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أسرّ إلى خديجة (رض) وقال: «لقد خشيت أن يكون خالطني شيء». فقالت: وما ذاك؟ قال: «إني إذا خلوت سمعت النداء فأفرّ». قال: فانطلق به أبو بكر إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: إذا أتاك فاجثُ له. فأتاه جبريل فقال له: «قل: ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين**﴾»[3] [٦].

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ١٠ بتفاوت.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ١١.

(٣) بتفاوت في أسباب النزول للواحدي: ١١.

وحدّثنا الحسن بن جعفر، حدّثنا محمد بن محمود، حدّثنا عمرو بن صالح عن ابن عباس، حدّثنا أبي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ بمكة فقال: ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين**﴾. فقالت قريش: دق[1] الله فاك.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب، حدّثنا أبو زيد، حدّثنا أبو حاتم بن محبوب الشامي، أخبرنا عبد الجبار العلاء عن معن عن منصور عن مجاهد قال: «فاتحة الكتاب أنزلت في المدينة».

وقال الحسن بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه منكرة من مجاهد لأنه تفرّد بها، والعلماء على خلافه. وصح الخبر عن النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب أنها من: «أوّل ما نزل من القرآن»[2] [٧] وأنها: «السبع المثاني»[3] [٨]، وسورة الحجر مكيّة بلا اختلاف. ومعلوم أن الله تعالى لم يمتنّ عليه بإتيانه السبع المثاني وهو بمكة، ثم أنزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله ﷺ كان بمكة يصلي عشر [سنوات][4] بلا فاتحة الكتاب، هذا ممّا لا تقبله العقول.

قال الأستاذ: وقلت: قال بعض العلماء وقد لفق بين هذين القولين: أنها مكية ومدنية، نزل بها جبرئيل مرتين مرّة بمكة ومرّة بالمدينة حين حلّها رسول الله ﷺ تعظيماً وتفضيلا لهذه السورة على ما سواها ولذلك سميت مثاني، والله أعلم.

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفرات، أخبرنا أبو موسى عمران بن موسى، حدّثنا جعفر ابن محمد بن سوار، أخبرنا أحمد بن نصر، أخبرنا سعيد بن منصور، حدّثنا سلام عن زيد العمّي عن ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «فاتحة الكتاب شفاء من السمّ»[5] [٩].

وأخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أيّوب، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن صاحب، حدّثنا المأمون بن أحمد، حدّثنا أحمد بن عبد الله، حدّثنا أبو معاوية الضرير عن أبي مالك الأشجعي عن ابن حمران عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضيّاً فيقرأ صبيّ من صبيانهم في الكتاب: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ فيسمعه الله عزّ وجلّ فيرفع عنهم ذلك العذاب أربعين سنة»[6] [١٠].

---

(١) في الأصل موجود فوقها: رق.
(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١١٧.
(٣) سنن الدارمي: ٢ / ٤٤٥.
(٤) في المخطوط: سنة.
(٥) الجامع الصغير: ٢ / ٢٠٧.
(٦) كشف الخفاء: ١ / ٢٢١.

وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هاني، حدّثنا الحسين بن الفضل، حدّثنا عفان بن مسلم الصفّار عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: أنزل الله عزّ وجلّ مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصّل، ثم أودع علوم المفصّل فاتحة الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

في فضل التسمية:

حدّثنا أبو عبد الله محمد بن علي، حدّثنا أحمد بن سعيد، حدّثنا جعفر بن محمد بن صالح، وحدّثنا محمد بن القاسم الفارسي، حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن أحمد الشيباني، أخبرنا أحمد بن كامل بن خلف، حدّثنا علي بن حماد بن السكن، أخبرنا أحمد بن عبد الله الهروي حسام بن سليمان المخزومي عن أبي مليكة عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلّمون؛ فكلما خلق الدين جدّدوه. أعطوهم ولا تستأجروهم، فتحرجوهم فإن المعلّم إذا قال للصبي: قل: ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾، فقال الصبي: ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ كتب الله براءة للصبي، وبراءة لأبويه وبراءة للمعلّم من النار»[١] [١١].

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل المولى، أخبرنا أبو عليّ الاسفرائيني الحافظ، حدّثنا ابن الحسن البصري، حدّثنا محمد بن مروان أبو جعفر، حدّثنا أبي، حدّثنا عمر بن ذر، عن عطاء عن جابر قال: (لما نزلت ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله بعزته أن لا يسمّى اسمه على شيء إلاّ شفاه ولا يسمّى اسمه على شيء إلاّ بارك عليه، ومن قرأ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ دخل الجنة)[٢].

وأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن، حدّثنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا الحسن ابن علي بن نصر، حدّثنا عبدالله بن هاشم، أخبرنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: (من أراد أن يُنجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ فإنّها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كلّ واحد)[٣] [١٢].

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٣٣٦.
(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ١٩ بتفاوت.
(٣) تفسير ابن كثير: ١ / ١٩.

التفسير وبالله التوفيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

قوله: ﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾.

إعلم أنّ هذه الباء زائدة، وهي تسمّى باء التضمين أو باء الإلصاق، كقولك: كتبت بالقلم، فالكتابة لاصقة بالقلم. وهي مكسورة أبداً؛ والعلة في ذلك أن الباء حرف ناقص ممال. والإمالة من دلائل الكسر، قال سيبويه: لما لم يكن للباء عمل إلاّ الكسر كسرت.

وقال المبرّد: العلّة في كسرها ردّها إلى الأصل، ألاترى أنك إذا أخبرت عن نفسك فإنك قلت: بَيْبَيْت، فرددتها إلى الياء والياء أُخت الكسرة كما أن الواو أُخت الضمة والألف أُخت الفتحة، وهي خافضة لما بعدها فلذلك كسرت ميم الاسم.

وطوّلت هاهنا وشبهت بالألف واللام؛ لأنهم لم يريدوا أن يفتتحوا كتاب الله إلاّ بحرف مفخّم معظّم. قاله القيسي.

قال: وكان عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يقول لكتّابه: (طوّلوا الباء، وأظهروا السين، وفرّجوا بينهما، ودوّروا الميم تعظيماً لكلام الله تعالى).

وقال أبو ......[1] خالد بن يزيد المرادي: العلّة فيها إسقاط الألف من الاسم، فلما أسقطوا الألف ردّوا طول الألف الى الباء ليكون دالاً على سقوط الألف منها. ألاترى أنهم لمّا كتبوا: ﴿اقرأ باسم ربّك﴾[2] بالألف ردّوا الباء إلى صيغتها، فإنما حذفوا الألف من (اسم) هنا فالكثرة دورها على الألسن عملا بالخفّة، ولمّا لم يكثر أضرابها كثرتها أثبتوا الألف بها.

وفي الكلام إضمار واختصار تقديره: قل، أو ابدأ بسم الله.

وقال آدم: الاسم فيه صلة، مجازهُ:[3] بالله الرَّحْمن الرحيم هو، واحتجوا بقول لبيد:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مضرْ[4]

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذرْ[5]

---

(١) بياض في المخطوط.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) أو معناه. (هامش المخطوط).

(٤) شرح الرضي على الكافية: ٢ / ٢٤٢.

(٥) الصحاح: ٢ / ٧٣٨.

أي ثم السلام عليكما.

ومعناه: بالله تكوّنت الموجودات، وبه قامت المخلوقات. وأدخلوا الاسم فيه ليكون فرقاً بين المتيمِّن والمتيمَّن به. فأمّا معنى الاسم، فهو المسمى وحقيقة الموجود، وذات الشيء وعينه ونفسه واسمه، وكلها تفيد معنىً واحداً. والدليل على أن الاسم عين المسمّى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى**﴾(١)، فأخبر أنّ اسمه يحيى، ثمّ نادى الاسم وخاطبه فقال: ﴿**يا يحيى**﴾(٢). فيحيى هو الاسم، والإسم هو يحيى.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوها**﴾(٣) وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسمّيات.

وقوله تعالى: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾(٤)، و ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**﴾(٥).

وقوله ﷺ: «لَتَضْرِبَنَّ مُضَرُ عِبادَ اللهِ حتّى لا يُعبَد له إسمٌ»(٦) [١٣] أي حتى لا يعبد هو.

ثم يقال: رأينا للتسمية اسم، واستعمالها في التسمية أشهر وأكثر من استعمالها في المسمّى، ولعل الاسم أشهر، وجمعه: أسماء، مثل قنو وأقناء، وحنو وأحناء، فحذفت الواو للاستثقال، ونقلت حركة الواو إلى الميم فأُعربت الميم، ونقل سكون الميم إلى السين فسكنت، ثم أُدخلت ألف مهموزة لسكون السين؛ لأجل الابتداء يدلّك عليه التصغير والتصريف يقال: سُميّ وسميّة؛ لأن كل ما سقط في التصغير والتصريف فهو غير أصلي. واشتقاقه من (سما) (يسمو)، فكأن المخبر عنه بأنه معدوم ما دام معدوماً فهو في درجة يرتفع عنها إذ وجد، ويعلو بدرجة وجوده على درجة عدمه. والإسم الذي هو العبارة والتسمية للمخبر والصفة للمنظر. وأصل الصفة ظهور الشيء وبروزه، والله أعلم.

فأمّا ما ورد في تفسيرها بتفصيلها فكثير، ذكرت جلّ أقاويلها في حديث وحكاية.

أخبرنا الأستاذ أبو القاسم بن محمد بن الحسن المفسّر، حدّثنا أبو الطيّب محمد بن أحمد ابن حمدون المذكر، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، حدّثنا أحمد بن هشام الأنطاكي، حدّثنا الحكم بن نافع عن إسماعيل بن عبّاس عن إسماعيل عن يحيى عن أبي مليكة عن مسعود بن عطيّة العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى بن

---

(١) سورة مريم: ٧.
(٢) سورة مريم: ١٣.
(٣) سورة يوسف: ٤٨.
(٤) الأعلى: ١.
(٥) الرَّحْمن: ٧٨.
(٦) مجمع الزوائد: ٧ / ٣١٣.

مريم أسلمته أمّه إلى الكُتّاب ليتعلّم، فقال له المعلّم: قل[١] باسم الله. قال عيسى: وما باسم الله؟ فقال له المعلّم: ما أدري. قال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مملكة الله»[٢] [١٤].

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا إسحاق بن ميثم بن محمد بن يزيد النسفي بمرو يقول: سمعت أبا عبد الله ختن أبي بكر الوراق يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الورّاق يقول في ﴿**بسم الله**﴾: إنها روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدة:

فالباء على ستة أوجه:

بارىء خلقه من العَرش الى الثرى، ببيان قوله:

﴿**إنه هو البرّ الرحيم**﴾[٣].

بصير بعباده من العرش الى الثرى، بيانه: ﴿**إنه على كل شيء بصير**﴾[٤].

باسط الرزق من العرش الى الثرى، بيانه: ﴿**الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾[٥].

وباق بعد فناء خلقه من العرش إلى الثرى: بيانه: ﴿**كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[٦].

باعث الخلق بعد الموت للثواب والعقاب، بيانه: ﴿**وأن الله يبعث من في القبور**﴾[٧].

بارّ بالمؤمنين من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿**أنه هو البرّ الرحيم**﴾[٨].

والسين على خمسة أوجه:

سميع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله تعالى: ﴿**أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون**﴾[٩].

سيّد قد بلغ سؤدده من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**الله الصمد**﴾[١٠].

سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**والله سريع الحساب**﴾[١١].

سلم خلقه من ظلمه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**السلام المؤمن**﴾[١٢].

---

(١) في المصدر: أُكتب.
(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٨١.
(٣) سورة الطور: ٢٨.
(٤) سورة الملك: ١٩.
(٥) سورة الرعد: ٢٦.
(٦) سورة الرّحْمن: ٢٦.
(٧) سورة الحج: ٧.
(٨) سورة الطور: ٢٨.
(٩) سورة الزخرف: ٨٨.
(١٠) سورة الإخلاص: ٢.
(١١) سورة البقرة: ٢٠٢.
(١٢) سورة الحشر: ٢٤.

غافر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى، بيانه: قوله: ﴿**غافر الذنب وقابل التوب**﴾[(١)].

والميم على اثني عشر وجهاً:

ملك الخلق من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**الملك القدوس**﴾[(٢)].

مالك خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**قل اللهم مالك الملك**﴾[(٣)].

منّان على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**بل الله يمنّ عليكم**﴾[(٤)].

مجيد على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**ذو العرش المجيد**﴾[(٥)].

مؤمّن آمن خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿**وآمنهم من خوف**﴾[(٦)].

مهيمن اطّلع على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**المؤمن المهيمن**﴾[(٧)].

مقتدر على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾[(٨)].

مقيت على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**وكان الله على كل شيء مقيتا**﴾[(٩)].

متكرّم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**ولقد كرّمنا بني آدم**﴾[(١٠)].

منعم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾[(١١)].

متفضّل على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**ولكنّ الله ذو فضل على العالمين**﴾[(١٢)].

مصوّر خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿**الخالق البارىء المصوّر**﴾[(١٣)].

وقال أهل الحقائق: .....[(١٤)] في ﴿**بسم الله**﴾ التيمّن والتبرّك وحثّ الناس على الابتداء في أقوالهم وأفعالهم بـ ﴿**بسم الله**﴾ لمّا افتتح الله عزّ وجلّ كتابه به، والله أعلم.

﴿**الله**﴾، اعلم أن أصل هذه الكلمة (إله) في قول أهل الكوفة، فأُدخلت الألف واللام فيها تفخيماً وتعظيماً لما كان اسم الله عزّ وجلّ، فصار (الإله)، فحذفت الهمزة استثقالا لكثرة جريانها على الألسن، وحوّلت هويتها إلى لام التعظيم فالتقى لامان، فأُدغمت الأولى في الثانية، فقالوا (الله).

---

(١) سورة غافر: ٣.
(٢) سورة الحشر: ٢٣.
(٣) سورة آل عمران: ٢٦.
(٤) سورة الحجرات: ١٧.
(٥) سورة البروج: ١٥.
(٦) سورة قريش: ٤.
(٧) سورة الحشر: ٢٣.
(٨) سورة القمر: ٥٥.
(٩) سورة النساء: ٨٥.
(١٠) سورة الإسراء: ٧٠.
(١١) سورة لقمان: ٢٠.
(١٢) سورة البقرة: ٢٥١.
(١٣) سورة الحشر: ٢٤.
(١٤) بياض في المخطوط.

وقال أهل البصرة: أصلها (لاه)، فأُلحقت بها الألف واللام، فقالوا: (الله). وأنشدوا:

كحلفة من أبي رباح يسمعها الآهه الكبار[١]

فأخرجه على الأصل.

وقال بعضهم: أُدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة المحذوفة في (إله)، فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة لو أُجريت على الأصل، ولهذا لم يدخل عليه في النداء ما يدخل على الأسماء المعرّفة من حروف التشبيه، فلم يقولوا: يا أيها الله.

دفع أقاويل أهل التأويل في هذا الاسم مبنيّة على هذين القولين . .[٢]. ثمة، واختلفوا فيه؛ فقال الخليل بن أحمد وجماعة: (الله) اسم علم موضوع غير مشتق بوجه، ولو كان مشتقّاً من صفة كما لو كان موصوفاً بتلك الصفة أو بعضها، قال الله: ﴿**هل تعلم له سميّاً**﴾[٣].

(الله): اسم موضوع لله تعالى لا يشركه فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿**هل تعلم له سميّاً**﴾، يعني: أن كل اسم مشترك بينه وبين غيره؛ له على الحقيقة ولغيره على المجاز إلاّ هذا الاسم فإنه مختص به لأنّ فيه معنى الربوبيّة. والمعاني كلها تحته، ألاترى أنك إذا أسقطت منه الألف بقي لله، وإذا أسقطت من لله اللام الأولى بقي (له)، وإذا أسقطت من (له) اللام بقي هو.

قالوا: وإذا أُطلق هذا الاسم على غير الله فإنما يقال بالإضافة كما يقال: لاه كذا أو ينكر فيقال: لله كما قال تعالى إخباراً عن قوم موسى عليه السلام: ﴿**اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**﴾[٤]. وأما (الله)، و (الإله) فمخصوصان لله تعالى.

وقال قوم: أصله (لاها) بالسريانية، وذلك أن في آخر أسمائهم مدّة، كقولهم للروح: (روحا)، وللقدس: (قدسا)، وللمسيح: (مسيحا)، وللابن: (ابنا)، فلما طرحوا المدّة بقي (لاه)، فعرّبه العرب وأقرّوه.

ولا اشتقاق له، وأكثر العلماء على أنه مشتق؛ واختلفوا في اشتقاقه، فقال النضر بن إسماعيل: هو من التألّه، وهو التنسّك والتعبّد، قال رؤبة:

لله در الغانيات المدّهِ سبحن واسترجعن من تألهي[٥]

ويقال: أله إلاهة، كما يقال: عبد عبادة. وقرأ ابن عباس: (ويذرك وإلهتك) أي عبادتك؛ فمعناه عبادتك المعبود الذي تحقّ له العبادة.

---

(١) الصحاح: ٦٧ / ٢٢٤٨.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) سورة مريم: ٦٥.

(٤) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٥) الصحاح: ٦ / ٢٢٤٩.

وقال قوم هو من (الإله)، وهو الاعتماد، يقال: ألهت إلى فلان، آلَهُ إلهاً، أي فزعت إليه واعتمدت عليه، قال الشاعر:

ألـهـت إلـيـهـا والـركـائـب وقّـف[1]

ومعناه: أن الخلق يفزعون ويتضرعون إليه في الحوادث والحوائج، فهو يألههم، أي يجيرهم، فسمي إلهاً، كما يقال: إمام للذي يؤتم به، ولحاف ورداء وإزار وكساء للثوب الذي يلتحف به، ويرتدى به[2]، وهذا معنى قول ابن عباس والضحّاك.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو من (ألهت في الشيء)[3] إذا تحيّرت فيه فلم تهتدِ إليه، قال زهير:

..... [4] يـألـه الـعـيـن وسـطـهـا

مخفّفة

وقال الأخطل:

ونحن قسمنا الأرض نصفين نصفها لنا ونرامي أن تكون لنا معا
بتسعين ألفاً تأله العين وسطها متى ترَها عين الطرامة تدمعا[5]

ومعناه: أن العقول تتحيّر في كنه صفته وعظمته والإحاطة بكيفيته، فهو إله كما قيل للمكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب[6].

وقال المبرّد: هو من قول العرب: (ألهت إلى فلان) أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألهت إليها والحوادث جمّة

فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، قال الله تعالى: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[7].

وسمعت أبا القاسم الحسن: سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحيم القناد يقول: أصله من (الوله)، وهو ذهاب العقل لفقدان من يعزّ عليك. وأصله (أله) - بالهمزة - فأُبدل من الألف واو فقيل الوله، مثل (إشاح، ووشاح) و (وكاف، وإكاف) و (أرّخت الكتاب، وورّخته) و(ووقّت، وأُقّتت). قال الكميت:

---

(١) لسان العرب: ١٣ / ٤٦٩.
(٢) كذا في المخطوط.
(٣) يكون مشتق من: الوله، وهو التحيّر.
(٤) بياض في المخطوط.
(٥) غريب الحديث: ٢ / ٣٤٧.
(٦) لسان العرب: ١٣ / ٤٦٩.
(٧) سورة الرعد: ٢٨.

ولهت نفسي الطروب إليهم ولها حال دون طعم الطعام[١]

فكأنه سمّي بذلك؛ لأن القلوب تولّه لمحبّته وتضطرب وتشتاق عند ذكره.

وقيل: معناه: محتجب؛ لأن العرب إذا عرفت شيئاً، ثم حجب عن أبصارها سمّته إلهاً، قال: لاهت العروس تلوه لوهاً، إذ حجُبت.

قال الشاعر:

لاهت فما عرفت يوماً بخارجة يا ليتها خرجت حتّى رأيناها[٢]

والله تعالى هو الظاهر بالربوبيّة [بالدلائل والأعلام] وهو المحتجب من جهة الكيفيّة عن الأوهام.

وقيل: معناه المتعالي، يقال: (لاه) أي ارتفع.

وقد قيل: من [إلا هتك]، فهو كما قال الشاعر:

تروّحنا من اللعباء قصراً[٣] وأعجلنا الألاهة أن تؤوبا[٤]

وقيل: هو مأخوذ من قول العرب: ألهت بالمكان، إذا أقمت فيه، قال الشاعر:

ألهنا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليدِ[٥]

فكأن معناه: الدائم الثابت الباقي.

وقال قوم: [ان يقال][٦] ذاته وهي قدرته على الإخضاع.

وقال الحارث بن أسد المجلسي، أبو عبد الله البغدادي: الله من (ألههم) أي أحوجهم، فالعباد مولوهون إلى بارئهم أي محتاجون إليه في المنافع والمضارّ، كالواله المضطرّ المغلوب.

وقال شهر بن حوشب: الله خالق كل شيء، وقال أبو بكر الوراق: هو.

وغلّظ بعض بقراءة اللام من قوله: (الله) حتى طبقوا اللسان به الحنك لفخامة ذكره، وليصرف عند الابتداء بذكره وهو الرب.

﴿الرَّحْمن الرحيم﴾، قال قوم: هما بمعنىً واحد مثل (ندمان، ونديم) و (سلمان،

---

(١) لسان العرب: ١٣ / ٥٦١.
(٢) تفسير القرطبي: ١٧ / ١٠١.
(٣) في اللسان: عصراً.
(٤) تفسير الطبري: ٩ / ٣٥ ، ولسان العرب: ١ / ٢١٩.
(٥) تاج العروس: ٩ / ٣٧٥.
(٦) كذا في المخطوط.

وسليم)، وهوان وهوين. ومعناهما: ذو الرحمة، والرحمة: إرادة الله الخير بأهله، وهي على هذا القول صفة ذات. وقيل: هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة، [وفعل] الخير إلى من لم يستحق، وعلى هذا القول صفة فعل، يجمع بينهما للاتّساع، كقول العرب: جاد مجد. قال طرفة:

فما لي أراني وابن عمي مالكاً ... متى أدنُ منه ينأ عني ويبعدِ[1]

وقال آخر:

وألفى قولها كذباً ومينا[2]

وفرّق الآخرون بينهما فقال: بعضهم الرَّحْمن على زنة فعلان، وهو لا يقع إلاّ على مبالغة القول. وقولك: رجل غضبان للممتلىء غضباً، وسكران لمن غلب عليه الشراب. فمعنى (الرَّحْمن): الذي وسعت رحمته كل شيء.

وقال بعضهم: (الرَّحْمن) العاطف على جميع خلقه؛ كافرهم ومؤمنهم، برّهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم، قال الله تعالى: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾[3]، و(الرحيم) بالمؤمنين خاصّة بالهداية والتوفيق في الدنيا، والجنة والرؤية في العقبى، قال تعالى: ﴿**وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾[4]. فـ (الرَّحْمن) خاصّ اللفظ عامّ المعنى، و (الرحيم) عامّ اللفظ خاصّ المعنى. و (الرَّحْمن) خاص من حيث إنه لا يجوز أن يسمى به أحد إلاّ الله تعالى، عامّ من حيث إنه يشمل الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع. و (الرحيم) عامّ من حيث اشتراك المخلوقين في المسمّى به، خاص من طريق المعنى؛ لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق. وهذا قول جعفر بن محمد الصادق (رضي الله عنه).

الرَّحْمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة، وقول ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسّر، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الدّقاق، حدّثنا الحسن بن محمد بن جابر، حدّثنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال: الرَّحْمن بأهل الدنيا، والرحيم بأهل الآخرة. وجاء في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

وقال الضحّاك: الرَّحْمن بأهل السماء حين أسكنهم السماوات، وطوّقهم الطاعات،

(١) الفروق اللغوية: ١١٨.
(٢) الصحاح: ٦ / ٢٢١٠.
(٣) سورة الأعراف: ١٥٦.
(٤) سورة الأحزاب: ٤٣.

وجنّبهم الآفات، وقطع عنهم المطاعم واللذات. والرحيم بأهل الأرض حين أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وأعذر إليهم في النصيحة وصرف عنهم البلايا.

وقال عكرمة: الرَّحْمن برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول النبي ﷺ الذي حدّثناه أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي بمرو، حدّثنا أبو هريرة وأحمد بن محمد بن شاردة الكشي، حدّثنا جارود ابن معاذ، أخبرنا عمير بن مروان عن عبد الملك أبي سليمان عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وأخّر تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة»(١) [١٥].

وفي رواية أخرى: «إن الله تعالى قابض هذه إلى تلك فمكملها مائة يوم القيامة، يرحم بها عباده»(٢) [١٦].

وقال ابن المبارك: (الرَّحْمن: الذي إذا سُئل أعطى، والرحيم إذا لم يُسأل غضب. يدلّ عليه ما حدّثنا أبو القاسم المفسّر، حدّثنا أبو يوسف رافع بن عبد الله بمرو الروذ، حدّثنا خلف ابن موسى: حدّثنا محمود بن خداش، حدّثنا هارون بن معاوية، حدّثنا أبو الملج وليس الرقّي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: من لم يسأل الله يغضب عليه(٣)، نضمه الشاعر فقال:

إن الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنيُّ آدمَ حين يُسأل يغضب(٤) [١٧]

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت إبراهيم بن محمد النسفي يقول: سمعت أبا عبد الله ـ وهو ختن أبي بكر الوراق ـ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الورّاق يقول: (الرَّحْمن: بالنعماء وهي ما أعطي وحبا، والرحيم بالآلاء وهي ما صرف وزوى).

وقال محمد بن علي المزيدي: الرَّحْمن بالإنقاذ من النيران، وبيانه قوله تعالى: ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾(٥)، والرحيم بإدخالهم الجنان، بيانه: ﴿**ادخلوها بسلام آمنين**﴾(٦).

وقال المحاسبي: (الرَّحْمن: برحمة النفوس، والرحيم برحمة القلوب).

---

(١) صحيح مسلم: ٨ / ٩٦، سنن ابن ماجة: ٢ / ١٤٣٥ بتفاوت.
(٢) المستدرك: ٤ / ٢٤٨، بتفاوت.
(٣) فتح الباري: ١١ / ٧٩.
(٤) تفسير القرطبي: ٥ / ١٦٤.
(٥) سورة الحجر: ٤٦.
(٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

وقال السريّ بن مغلس: (الرَّحْمن بكشف الكروب، والرحيم بغفران الذنوب).

وقال عبد الله بن الجرّاح: (الرَّحْمن بـ. . . . .[١] الطريق، والرحيم بالعصمة والتوفيق).

وقال مطهر بن الوراق: (الرَّحْمن بغفران السيّئات وإن كن عظيمات، والرحيم بقبول الطاعات وإن كنّ [قليلات][٢]).

وقال يحيى بن معاذ الرازي: (الرَّحْمن بمصالح معاشهم، والرحيم بمصالح معادهم).

وقال الحسين بن الفضل: (الرَّحْمن الذي يرحم العبد على كشف الضر ودفع الشر، والرحيم الذي يرقّ وربما لا يقدر على الكشف).

وقال أبو بكر الوراق أيضاً: (الرَّحْمن بمن جحده والرحيم بمن وحّده، والرَّحْمن بمن كفر والرحيم بمن شكر، والرَّحْمن بمن قال ندّاً والرحيم بمن قال فردا).

في أن التسمية من الفاتحة أو لا؟

واختلف الناس في أنّ التسمية؛ هل هي من الفاتحة؟ فقال قرّاء المدينة والبصرة وقرّاء الكوفة: إنها افتتاح التيمّن والتبرّك بذكره، وليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور، ولا تجب قراءتها وأن الآية السادسة قوله تعالى: ﴿**أنعمت عليهم**﴾. وهو قول مالك بن أنس والأوزاعي وأبي حنيفة ـ رحمهم الله ـ ورووا ذلك عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن النيسابوري، حدّثنا أبو الحسن محمد بن الحسن الكابلي، أخبرنا علي بن عبد العزيز الحلّي، حدّثنا أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، حدّثنا الحجاج عن أبي سعيد الهذلي عن . . . . .[٣] عن أبي هريرة قال (أنعمت عليهم) الآية السادسة، فزعمت فرقة أنها آية من أمّ القرآن، وفي سائر السور فصل، فليست هاهنا أنها يجب قراءتها.

[وقال قوم: إنها آية من فاتحة الكتاب][٤] رووا ذلك عن سعيد بن المسيب، وبه قال قرّاء مكة والكوفة وأكثر قرّاء الحجاز، ولم يعدّوا ﴿**أنعمت عليهم**﴾ آية.

وقال الشافعي والشعبي وهو رأي عبد الله أنها نزلت في الآية الأُولى من فاتحة الكتاب،

---

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط، وما ذكرناه هو الظاهر.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) كلام غير مقروء والظاهر ما أثبتناه.

وهي من كل سورة آية إلاّ التوبة. والدليل عليه الكتاب والسنة؛ أمّا الكتاب سمعت أبا عثمان بن أبي بكر الزعفراني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن موسى يقول: سمعت الحسن بن المفضّل يقول: رأيت الناس ....[١] في النمل أن **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** فيها من القرآن فوجدتها بخطها ولو أنها مكرّرات في القرآن، فعرفنا أماكنها منه بل حتى **﴿فبأي آلاء ربكما تكذّبان﴾**[٢]، **﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾**[٣] لما كانا في القرآن كانت مكرّراتهما من القرآن.

وبلغنا أن رسول الله ﷺ كتب في بدء الأمر على رسم قريش: «باسمك اللهم» حتى نزلت: **﴿وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها﴾**[٤] فكتب: **﴿بسم الله﴾** حتى نزلت: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرَّحْمن﴾**[٥]، فكتب: «بسم الله الرَّحْمن»، حتى نزلت: **﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾**[٦]، فكتب مثلها فلمّا كانت ...... هذه .... وحيث أن يكون....[٧] منه ثم افتخر النبي ﷺ بهذه الآية، وحقّ له ذلك.

حدّثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوراق: أخبرنا أبو بكر أحمد بن اسحاق الفقيه حدّثنا محمد ابن يحيى بن سهل، حدّثنا آدم بن أبي إياس، حدّثنا سلمة بن الأحمر عن يزيد بن أبي خالد عن عبد الكريم بن أمية عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري؟». فقلت: بلى. قال: «بأي شيء تفتتح إذا افتتحت القرآن؟». قلت: **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** فقال: «هي هي»[٨] [١٨].

وفي هذا الحديث دلّ دليل على كون التسمية آية تامّة من الفاتحة وفواتح السور؛ لأن النبي ﷺ حين لفظ الآية كلها، والتي في سورة النمل ليست بآية وإنما هي بعض الآية، وبالله التوفيق.

وأمّا الأخبار الواردة فيه، فأخبرنا أبو القاسم السدوسي، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري، حدّثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدّثنا أبو سفيان المعمري عن إبراهيم بن يزيد قال: قلت لعمرو بن دينار: إن الفضل الرقاشي زعم أن **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** ليس من القرآن؟ قال: سبحان الله ! ما أجرأ هذا الرجل ! سمعت سعيد بن جبير يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت آية **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** علم أن السورة قد ختمت وفتح غيرها.

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) سورة الرَّحْمن: ١٣.
(٣) سورة المرسلات: ١٥.
(٤) سورة هود: ٤١.
(٥) سورة الإسراء: ١١٠.
(٦) سورة النمل: ٣١.
(٧) بياض في المخطوط.
(٨) مجمع الزوائد: ٢ / ١٠٩ بتفاوت.

وحدّثنا الحسن بن محمد: حدّثنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي: حدّثنا أبو محمد إسماعيل ابن عيسى الواسطي: حدّثنا عبد الله بن نافع عن جهم بن عثمان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة؟» [١٩] قال: أقول: الحمد لله رب العالمين. قال: «قل: ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾»(١).

وحدّثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو الحسين. . .(٢)، حدّثنا علي بن عبد العزيز، حدّثنا أبو عبيد، حدّثنا عمر بن هارون البلخي عن أبي صالح عن أبي مليكة عن مسلمة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرَّحْمن الرحيم * مالك يوم الدين**﴾ يعني يقطّعها آية آية حتّى عدّ سبع آيات عدّ الأعراب.

أخبرنا أبو الحسين محمّد بن أحمد، حدّثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، حدّثنا محمد ابن جعفر، حدّثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدّثنا الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) أنه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾، وكان يقول: «من ترك قراءتها فقد نقص». وكان يقول: «هي تمام السبع المثاني والقرآن العظيم».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن جعفر، حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدّثنا جعفر بن حيّان عن عبد الملك بن جريح عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني**﴾(٣) قال: فاتحة الكتاب.

وقيل لابن عباس: أين السابعة؟ قال: ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ وعدّها في يديه ثم قال: أُخرجها لكم، وما أجد فيها أمركم.

أخبرنا [محمّد بن الحسين] حدّثنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدّثنا يزيد بن سنان، حدّثنا أبو بكر الحنفي، حدّثنا نوح بن أبي بلال قال: سمعت المقبري عن أبي هريرة أنه قال: إذا قرأتم أمّ القرآن فلا تبرحوا ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ فإنها إحدى آياتها وإنها السبع المثاني.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، حدّثنا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، حدّثنا أحمد بن نصر، حدّثنا آدم بن إياس عن أبي سمعان عن العلا، عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يقول الله: قسمت الصلاة

---

(١) تاريخ جرجان: ٤٩١.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) سورة الحجر: ٨٧.

بيني وبين عبادي نصفين؛ فإذا قال العبد: **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** قال الله: مجّدني عبدي، وإذا قال العبد **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: **﴿الرَّحْمن الرحيم﴾** قال: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: **﴿مالك يوم الدين﴾** قال الله: فوّض إليّ أمره عبدي، وإذا قال: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** قال الله: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»[١] [٢٠].

وأخبرنا علي بن محمد بن الحسن المقري، أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد القصّار، حدّثنا محمد بن بكر البصري، حدّثنا محمد بن علي الجوهري، حدّثنا...[٢] حدثني أبو إسماعيل بن يحيى ...[٣]، حدّثنا سفيان الثوري عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كنت مع النبي ﷺ، والنبي ﷺ يحدّث أصحابه؛ إذ دخل رجل يصلّي، وافتتح الصلاة، وتعوّذ، ثم قال: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**. فسمع النبي ﷺ فقال: «يا رجل، قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أن **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية منه فقد قطعت عليه صلاته»[٤]. لا تكون الصلاة إلاّ بفاتحة الكتاب، ومن ترك آية فقد بطلت صلاته [٢١].

وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد الجرجاني، حدّثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، حدّثنا أبو بكر محمد بن عمر بن هشام، أخبرنا محمد بن يحيى، حدّثنا حكيم بن الحسين، حدّثنا سليمان بن مسلم المكّي عن نافع عن أبي مليكة عن طلحة بن عبيدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** فقد ترك آية من كتاب الله»[٥] [٢٢].

وقد عدّها علي عليه السلام فيما عدّ من أمّ الكتاب.

وأما الإجماع، فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الورّاق، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الضبعي، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا محمد بن يحيى، حدّثنا علي بن المديني، حدّثنا عبدالوهّاب بن فليح، عن عبدالله بن ميمون عن عبيد بن رفاعة أن معاوية بن أبي سفيان قدم المدينة فصلّى بالناس صلاة يجهر فيها، ولمّا قرأ أم القرآن ولم يقرأ **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** وقضى صلاته، ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية: أنسيت ! أين **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** حين استفتحت القرآن؟ فأعادها لهم معاوية فقرأ **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾**.

---

(١) السنن الكبرى: ١ / ٣١٦، أحكام القرآن: ١ / ٨، تفسير ابن كثير: ١ / ١٢، بتفاوت.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) بياض في المخطوط.
(٤) الدر المنثور: ١ / ٧، عن الثعلبي.
(٥) الدر المنثور: ١ / ٧.

الكلام في جزئية البسملة من باقي السور

هذا في الفاتحة، فأما في غيرها من السور، فأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، أن أبا بكر بن حفص بن عاصم قال: صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة، وقرأ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ لأم القرآن ولم يقرأ للسورة التي بعدها حتى قضى صلاته، فلمّا سلّم ناداه المهاجرون من كل مكان: يا معاوية، أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فصلى بهم صلاة أخرى وقرأ فيها للسورة التي بعدها.

وما . . .[١] النظر بآيات [السور][٢] مقاطع القرآن على ضربين متقاربة ومتشاكلة. والمتشاكلة نحو ما في سورة القمر والرَّحْمن وأمثالهما، والمتقاربة قيل: في سورة ﴿**ق * والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب**﴾[٣]، وما ضاهاها. ثم نظرنا في قوله: ﴿**قبلهم**﴾، فلم يكن من المتشاكلة ولا من المتقاربة، ووجدنا أواخر آي القرآن على حرفين: ميم ونون أو حرف صحيح قبلها نا مكسورة فأوّلها، أو واو مضموم ما قبلها، أو ألف مفتوح ما قبلها، ووجدنا سبيلهم هو هو مخالف لنظم الكتاب.

هذا ولم نرَ غير مبتدأ آية في كتاب الله . . . .[٤] إذ يقول أيضاً: إن التسمية لا [تخلو][٥]؛ إما أن تكون مكتوبة للفصل بين السور، أو في آخر السور، أو في أوائلها أو حين نزلت كتبت، وحيث لم تنزل لم تكتب، فلو كتبت للفصل لكتبت . . .[٦] وتراخ، ولو كتبت في الابتدا لكتبت في (براءة)، ولو كتبت في الانتهاء لكتبت في آخر ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾[٧]. فلمّا أبطلت هذه الوجوه علمنا أنها كتبت حيث نزلت، وحيث لم تنزل لم تكتب.

يقول أيضاً: إنا وجدناهم كتبوا ما كان غير قرآن من الآي والأخرى، أو خضرة، وكتبوا التسمية بالسواد فعلمنا أنها قرآن، وبالله التوفيق.

حكم الجهر بالبسملة في الصلاة

ثم الجهر بها في الصلاة سنّة لقول الله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربّك**﴾[٨] [فأمر][٩] رسوله أن يقرأ القرآن بالتسمية، وقال: ﴿**قد أفلح من تزكّى * وذكر اسم ربه فصلّى**﴾[١٠] فأوجب الفلاح لمن صلّى بالتسمية.

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) بياض في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.
(٣) سورة ق: ١ ـ ٢.
(٤) بياض في المخطوط.
(٥) بياض في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.
(٦) بياض في المخطوط.
(٧) سورة الناس: ١.
(٨) سورة العلق: ٢.
(٩) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.
(١٠) سورة الأعلى: ١٤ و ١٥.

وأخبرنا أبو القاسم [الحسن بن محمّد بن جعفر] حدّثنا أبو صخر محمد بن مالك السعدي بمرو، حدّثنا عبد الصمد بن الفضل الآملي، حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي بغوطة [دمشق][١] قال: صليت خلف المهديّ أمير المؤمنين فجهر بـ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾، فقلت: ما هذه القراءة يا أمير المؤمنين؟ [فقال:] حدثني أبي عن أبيه عن عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ جهر بـ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾، قلت: أآثرها عنك؟ قال: نعم[٢].

وحدّثنا الحسن بن محمد بن الحسن قال: حدّثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن حابس بمرو الروذ إملاءً، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدّيري، حدّثنا عبد الرزاق عن عمر بن دينار، أن ابن عمر وابن عباس كانا يجهران بـ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ .

وحدّثنا الحسن بن محمد بن زكريا العنبري، حدّثنا محمد بن عبد السلام، حدّثنا إسحاق ابن إبراهيم، أخبرنا خَيْثَمة بن سليمان قال: سمعت ليثاً قال: كان عطاء وطاووس ومجاهد يجهرون بـ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾.

وحدّثنا الحسن بن محمد: حدّثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرَّحْمن المروزي، حدّثنا الحسن ابن علي بن نصير الطوسي، حدّثنا أبو ميثم سهل بن محمد، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزاعي، عن عمّار بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، أن العبادلة كانوا يستفتحون القراءة بـ بسم ﴿**الله الرَّحْمن الرحيم**﴾ يجهرون بها: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن صفوان.

وحدّثنا الحسن بن محمد، حدّثنا أبو نصر منصور بن عبد الله الاصفهاني، حدّثنا أبو القاسم الاسكندراني، حدّثنا أبو جعفر الملطي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه قال: «اجتمع آل محمد على الجهر بـ ﴿**بسم الله الرَّحْمن الرحيم**﴾، وعلى أن يقضوا ما فاتهم من صلاة الليل بالنهار، وعلى أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن القول وفي صاحبهما».

وبهذا الإسناد قال: سئل الصادق عن الجهر بالتسمية، فقال: «الحق الجهر به، وهي التي التي ذكر الله عزّ وجلّ: ﴿**وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً**﴾[٣]».

وحدّثنا الحسن، حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب العدل، حدّثنا الحسين ابن أحمد بن الليث، حدّثنا محمد بن المعلّى المرادي، حدّثنا أبو نعيم عن خالد بن

---

(١) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(٢) البداية والنهاية: ١٠ / ١٦٢.

(٣) سورة الإسراء: ٤٦.

إياس عن سعيد ابن أبي سعيد المقرىء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فعلمني الصلاة»[١] [٢٣]، ثم قام رسول الله ﷺ وكبّر فجهر بـ **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** .

وحدّثنا الحسن بن محمد، حدّثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدون، حدّثنا الشرقي، حدّثنا محمد بن يحيى، حدّثنا ابن أبي مريم عن يحيى بن أيوب ونافع بن أيوب قالا: حدّثنا عقيل عن الزهري قال: من سنّة الصلاة أن تقرأ **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** في فاتحة الكتاب [فإن] لم يقرأ **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** لم يقرأ السورة. وقال: إن أوّل من ترك **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** عمرو ابن سعيد بن العاص بالمدينة، واحتجّ من أنّ إتيان التسمية أنها من الفاتحة، والجهر بها في الصلاة بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل النيسابوري القطّان، حدّثنا محمد بن إبراهيم الجرجاني، حدّثنا إبراهيم بن عمّار عن سعيد بن أبي عروبة عن الحجاج بن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك قال: صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** .

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن إسماعيل العماريّ، حدّثنا يزيد بن أحمد بن يزيد، حدّثنا أبو عمرو، حدّثنا محمد بن عثمان، حدّثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن أنس، أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يجهرون، ويخفون **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** .

فعلم بهذا الحديث أنه لم ينفِ كون هذه الآية من جملة السورة، لكنه تعرّض لترك الجهر فقط، على أنه أراد بقوله: (لا يجهرون): أنهم لا يتكلفون في رفع الصوت ولم يرد الإسراء والتخافت أو تركها أصلا.

ويدل عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، حدّثنا محمد بن عبد السلام الوراق وعبد الله بن محمد بن عبد الرَّحْمن قالا: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا شريك، عن ياسر، عن سالم الأفطس، عن ابن أبي ليلى، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بـ **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾** جهر بها صوته، فكان المشركون يهزؤون بمكّة ويقولون: يذكر إله اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، ويسمونه الرَّحْمن، فأنزل الله: **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾** فيسمع المشركون فيهزؤون، **﴿ولا تخافت﴾** عن أمتك ولا تسمعهم **﴿وابتغِ بين ذلك سبيلا﴾**[٢] .

واحتجّوا أيضاً بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، حدّثنا بشر

---

(١) كنز العمّال: ٧ / ٤٤١.

(٢) سورة الإسراء: ١١٠.

ابن مطر [عن سفيان عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة] عن أبيه عن قتادة عن أنس أنّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون القراءة بـ ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾، وإنما عنى بها أنهم كانوا يستفتحون الصلاة بسورة (الحمد)، فعبّر بهذه الآية عن جميع السورة كما يقول: قرأت ﴿**الحمد لله**﴾ و (البقرة)، أي سورة ﴿**الحمد لله**﴾ وسورة (البقرة) . . .[١] أي رويناها نحكم على هذين الحديثين وأمثالهما وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿**الحمد لله**﴾

. . .[٢] على نفسه، نعيماً منه على خلقه. ولفظه خبر ومعناه أمر، تقريره: قولوا: الحمد لله. قال ابن عباس: يعني: الشكر منه، وهو من الحمد . . . .[٣] والحمد لله نقيض الذم. وقال ابن الأنباري: هو مقلوب عن المدح كقوله: جبل وجلب، و: بض وضبّ.

واختلف العلماء في الفرق بين الحمد والشكر، فقال بعضهم: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من الخصال الحميدة، تقول: حمدت الرجل، إذا أثنيت عليه بكرم أو [حلم] أو شجاعة أو سخاوة، ونحو ذلك. والشكر له: الثناء عليه أو لآله.

فالحمد: الثناء عليه بما هو به، والشكر: الثناء عليه بما هو منه.

وقد يوضع الحمد موضع الشكر، فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرته، ولا يوضع الشكر موضع الحمد، [فـ] لا يقال: شكرته على علمه وحلمه.

والحمد أعمّ من الشكر؛ لذلك ذكره الله فأمر به، فمعنى الآية: الحمد لله على صفاته العليا وأسمائه الحسنى، وعلى جميع صنعه وإحسانه إلى خلقه.

وقيل: الحمد باللسان قولاً، قال الله: ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً**﴾[٤]، وقال: ﴿**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى**﴾[٥] والشكر بالأركان فعلاً، قال الله تعالى: ﴿**اعملوا آل داود شكراً**﴾[٦].

وقيل: الحمد لله على ما حبا وهو النعماء، والشكر على ما زوى وهو اللأواء.

وقيل: الحمد لله على النعماء الظاهرة، والشكر على النعماء الباطنة، قال الله تعالى: ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾[٧].

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) بياض في المخطوط.
(٤) سورة الإسراء: ١١١.
(٥) سورة النمل: ٥٩.
(٦) سورة سبأ: ١٣.
(٧) سورة لقمان: ٢٠.

وقيل: الحمد ابتداء والشكر . .[١] . .

حدّثنا الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي، حدّثنا محمد بن علي الترمذي، حدّثنا عبدالله بن العباس الهاشمي، حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو [بن العاص] قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده»[٢] [٢٤].

وحدّثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه، حدّثنا عبد الله بن محمود السعدي، حدّثنا علي بن حجر، حدّثنا شعيب بن صفوان عن مفضّل بن فضالة عن علي بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن ﴿**الحمد لله**﴾ قال: كلمة شكر أهل الجنة.

في إعراب ﴿الحمد لله﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾

وقد اختلف القرّاء في قوله: ﴿**الحمد لله**﴾، فقرأت العامّة بضمّ الدال على الابتداء، وخبره فيما بعده. وقيل: على التقديم والتأخير، أي لله الحمد.

وقيل: على الحكاية. وقرأ هارون بن موسى الأعور ورؤبة بن العجاج بنصب الدال على الإضمار، أي أحمد الحمد؛ لأن الحمد مصدر لا يثنّى ولا يجمع. وقرأ الحسن البصري بكسر الدال، أتبع الكسرة الكسرة. وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الشامي بضم الدال واللام، أتبع الضمة الضمّة.

﴿**رب العالمين**﴾ قرأ زيد بن علي: ﴿**رب العالمين**﴾ بالنصب على المدح، وقال أبو سعيد ابن أوس الأنصاري: على معنى أحمد ربّ العالمين. وقرأ الباقون ﴿**ربِّ العالمين**﴾ بكسر الباء، أي خالق الخلق أجمعين ومبدئهم ومالكهم والقائم بأمورهم، والرب بمعنى السيّد، قال الله تعالى: ﴿**اذكرني عند ربّك**﴾[٣] أي سيّدك، قال الأعشى[٤]:

واهلكن يوماً ربّ كندة وابنه ... وربّ معبين خبت وعرعر[٥]

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) المصنّف لعبد الرزّاق: ١٠ / ٤٢٤، ح ١٩٥٧٤.
(٣) سورة يوسف: ٤٢.
(٤) في المصدر نسبه إلى لبيد بن ربيعة.
(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٩٣.

وربّ عـمـر والـرومـي مـن رأس حـضـيـة وأنـزلـن بـالأسـبـاب رب الـمـشـقـرة

يعني: رئيسها وسيّدها.

ويكون بمعنى المالك، قال النبي ﷺ: «أربُّ إبل أنت أم رب غنم؟»[1] [٢٥]. فقال: من كل قد آتاني الله فأكثر وأطنب وقال طرفة:

كـقـنـطـرة الـرومـي أقـسـم ربـهـا لـتـكـتـنـفـنّ حتـى تـشـاد بـقـرمـد[2]

وقال النابغة:

وإن يـك ربّ أذواد فـحـسـبـي أصـابـوا مـن لـقـائـك مـا أصـابـوا[3]

ويكون بمعنى الصاحب، قال أبو ذؤيب:

فـدنـا لـه رب الـكـلاب بـكـفّـه بـيـض رهـاب ريـشـهـن مـقـزع[4]

ويكون بمعنى المرعى، يقول: ربّ يربّ ربابة وربوباً، فهو ربّ، مثل برّ وطب، قال الشاعر:

يـربّ الـذي يـأتـي مـن الـعـرف إنـه إذا سـئـل الـمـعـروف زاد وتـمّـمـا[5]

ويكون بمعنى المصلح للشيء، قال الشاعر:

كـانـوا كـسـالـئـة حـمـقـاء إذحـقـنـت سـلاءهـا فـي أديـم غـيـر مـربـوب[6]

أي غير مصلح.

وقال الحسين بن الفضل: الرب: اللبث من غير إثبات أحد، يقال: ربّ بالمكان وأربّ، ولبث وألبث إذا أقام وفي الحديث أنه كان يتعوّذ بالله من فقر ضرب أو قلب قال الشاعر:

ربّ بأرض تخطّاها الغنم لب بأرض ما تخطاها الغنم[7]

وهو الاختيار؛ لأن المتكلمين أجمعوا على أنّ الله لم يزل ربّاً وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو بكر محمد بن موسى الواسطي عن الرب، فقال: هو الخالق ابتداءً، والمربي غذاءً، والغافر انتهاءً. ولا يقال للمخلوق: هو الرب، معرّفاً بالألف

---

(١) مسند الحميدي: ٢ / ٣٩٠، غريب الحديث: ١ / ١٦٦.
(٢) لسان العرب: ٥ / ١١٨، والقرمد: الحجارة.
(٣) التبيان: ٦ / ١٤٤.
(٤) لسان العرب: ١ / ٤٣٨.
(٥) تاج العروس: ١ / ٢٦١.
(٦) الصحاح: ١ / ٥٥.
(٧) لسان العرب: ١ / ٧٣١.

واللام، وإنما يقال على الإضافة: هو رب كذا؛ لأنه لا يملك الكل غير الله، والألف واللام تدلّان على العموم. وأمّا العالمون فهم جمع عالَم، ولا واحد له من لفظه[(١)]، كالأنام والرهط والجيش ونحوها.

واختلفوا في معناه، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو إسحاق بن أسعد بن الحسن بن سفيان عن جدّه عن أبي نصر ليث بن مقاتل عن أبي معاذ الفضل بن خالد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الربيع بن أنس عن شهر بن حوشب عن أبي بن كعب قال: العالمون هم الملائكة، وهم ثمانية عشر ألف ملكاً منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالكهف الثالث من الدنيا، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك في الكهف الرابع من الدنيا، مع كل ملك من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلاّ الله عزّ وجلّ ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام . . . .[(٢)] مسير الشمس أربعين يوماً، طولها لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته فهم العالمون، منتهاهم إلى حملة العرش.

وقال أبو معاذ [النحوي]: هم بنو آدم.

وقال أبو هيثم خالد بن يزيد: هم الجن والإنس؛ لقوله تعالى: **﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾**[(٣)]، وهي رواية عطية العوفي وسعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال الحسين بن الفضل: العالمون: الناس، واحتجّ بقوله تعالى: **﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾**[(٤)].

وقال العجاج: بخلاف هذا العالم.

وقال الفراء وأبو عبيدة: هو عبارة عمن يعقل، وهم أربع أمم: الملائكة، والجن، والإنس، والشياطين، لا يقال للبهائم: عالم. وهو مشتق من العلم، قال الشاعر:

ما إن سمعت بمثلهم في العالمينا

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: هم أهل التنزيه من الخلق. وقال عبد الرَّحْمن بن زيد ابن أسلم: هم المرتزقون. وقال الخضر بن إسماعيل: هو اسم الجمع الكثير، قال ابن الزبعري:

---

(١) أي من لفظ العالم.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) سورة الشعراء: ١٦٥.

إنـي وجـدتـك يـا مـحـمـد عـصـمـة للـعـالـمـين مـن الـعـذاب الـكـارث[١]

وقال أبو عمرو بن العلاء: هم الروحانيون. وهو معنى قول ابن عباس: كل ذي روح دبّ على وجه الأرض. وقال سفيان بن عيينة: هو جمع للأشياء المختلفة.

وقال جعفر بن محمد الصادق: «العالمون: أهل الجنة وأهل النار». وقال الحسن وقتادة ومجاهد: هو عبارة عن جميع المخلوقات، واحتجوا بقوله: **﴿قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السماوات والأرض وما بينهما﴾**[٢].

واشتقاقه على هذا القول من (العلم) و (العلامة)؛ لظهورهم ولظهور أثر الصنعة فيهم ثم اختلفوا في مبلغ العالمين وكيفيتهم، فقال سعيد بن المسيب: لله ألف عالم؛ منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وقال الضحاك: فمنهم ثلاثمائة وستون عالماً حفاة عراة لا يعرفون مَن خالقهم، وستون عالماً يلبسون الثياب. وقال وهب: لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا عالم منها، وما العمارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء. وقال أبو سعيد الخدري: إن لله أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد. وقال أبو القاسم مقاتل بن حيان: العالمون ثمانون ألف عالم؛ أربعون ألفاً في البرّ وأربعون ألفاً في البحر. وقال مقاتل بن سليمان: لو فسّرت **﴿العالمين﴾**، لاحتجت إلى ألف جلد كل جلد ألف ورقة. وقال كعب الأحبار: لا يحصي عدد العالمين إلاّ الله، قال الله: **﴿وما يعلم جنود ربك إلاّ هو﴾**[٣].

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

﴿مالك يوم الدين﴾[٤].

اختلف القراء فيه من عشرة أوجه:

الوجه الأول: مالك ـ بالألف وكسر الكاف ـ على النعت، وهو قراءة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرَّحْمن بن عوف وابن مسعود وأُبي بن كعب و معاذ بن جبل وابن عباس وأبي ذر وأبي هريرة وأنس ومعاوية، ومن التابعين وأتباعهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهري ومسلمة بن زيد والأسود بن يزيد وأبو عبد الرَّحْمن السلمي وسعيد بن جبير وأبو رزين وإبراهيم وطلحة بن عوف وعاصم بن أبي النجود و . . .[٥] بن عمر

---

(١) لم نجده في المصادر نعم هو في مناقب ابن شهر آشوب (١ / ١٤٤) وفيه: العذاب الواصب.

(٢) سورة الشعراء: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) سورة المدّثر: ٣١.

(٤) سورة الفاتحة: ٤.

(٥) بياض في المخطوط.

الهمذاني وشيبان ابن عبد الرَّحْمن وعلي بن صالح بن حي وابن أبي ليلى وعبد الله بن إدريس وعلي بن حمزة الكسائي وخلف بن هشام والحسين بن أبي الحسن البصري من أهل البصرة وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله المزني وقتادة بن دعامة السدوسي ويحيى بن يعمر . . . .[١] وعيسى بن عمر النفعي وسلام بن سليمان أبو المنذر ويعقوب بن أعين الحضرمي وأيوب بن المتوكل وأبو عبيدة و . . . .[٢] وسعيد بن مسعدة الأخفش وخالد بن معدان والضحاك بن مزاحم.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن علي، حدّثنا محمد بن يحيى، حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب وأخبرنا أبو العباس الأصمّ، أخبرنا ابن عبد الحكم: حدّثنا . . . .[٣] بن سويد الحميري عن يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرؤون: ﴿**مالك يوم الدين**﴾.

وأخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن محمد بن خلف العطار، حدّثنا المنذر بن المنذر الفارسي، حدّثنا هارون بن حاتم، حدّثنا إسحاق بن منصور الأسدي عن أبي إسحاق . . . .[٤] عن مالك بن دينار عن أنس قال: سمعت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً يقرؤون: ﴿**مالك يوم الدين**﴾، وأوّل من قرأها: (ملك يوم الدين) مروان بن الحكم.

والوجه الثاني: ملك، بغير ألف وكسر الكاف على التفسير أيضاً، وهو قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وشعيب بن يزيد والمسور بن المخرمة ومن التابعين وأتباعهم عروة بن الزبير وأبو بكر بن عمر بن حزم ومروان بن الحكم و . . . .[٥] وعبد الرَّحْمن بن هرمز الأعرج وأبان بن عثمان وأبو جعفر يزيد بن المفضل ونسيبة بن نصّاح ونافع بن نعيم ومجاهد وابن كثير وابن محسن وحميد بن معين ويحيى بن وثاب وحمزة بن حبيب ومحمد بن سيرين وعبد الله بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعمرو بن . . . .[٦] وعبد الله بن عامر النصيبي.

وروي ذلك أيضاً عن رسول الله ﷺ وعن عثمان وعلي عليه السلام.

أخبرنا ابن حمدويه، أخبرنا أبن أيوب [المنقري]: أخبرنا ابن حامد[٧] وابن . . . .[٨] قالا: أخبرنا حامد بن محمّد، حدّثنا وأخبرنا ابن عمر، حدّثنا الرفاء، قالوا: حدّثنا علي بن عبد العزيز، حدّثنا أبو عبيد، حدّثنا يحيى بن سعيد القطّان، حدّثنا عبد الملك بن جريج عن عبد الله

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) بياض في المخطوط.
(٤) بياض في المخطوط.
(٥) بياض في المخطوط.
(٦) بياض في المخطوط.
(٧) وهو الوزان.
(٨) بياض في المخطوط.

ابن أبي مليكة عن أمّ سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطّع قراءة: **﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرَّحْمن الرحيم * ملك يوم الدين﴾**.

والوجه الثالث: ملْك ـ بجزم اللام ـ على النعت، وهو رواية الحسن بن عليّ الجعفي وعبد الوارث بن سعيد، وروي عن ابن عمر.

والوجه الرابع: أنّ مالكَ ـ بالألف ونصب الكاف ـ على النداء، وهي قراءة الأعمش ومحمد بن [السميقع] وعبد الملك قاضي الجند، وروي ذلك عن الرسول ﷺ قال في بعض غزواته: «يا مالكَ يوم الدين»[1] [٢٦].

والوجه الخامس: ملَك ـ بنصب الكاف من غير ألف ـ على النداء أيضاً، وهي قراءة عطية ....[2]

والوجه السادس: مالك ـ بالألف ورفع الكاف ـ على معنى: هو مالك، وهي قراءة عزير العقيلي.

والوجه السابع: ملك ـ برفع الكاف من غير ألف ـ وهي قراءة أبي حمزة وابن سيرين.

والوجه الثامن: مالك، بالإمالة والإضجاع البليغ. روي ذلك عن يحيى بن يعمر. وعن أيوب السختياني بين الإمالة والتفخيم ....[3] عن ....[4] عن الكلبي.

والوجه التاسع: (ملك يوم الدين) على الفعل، وهي قراءة الحسن ويحيى بن يعمر وأبي حمزة وأبي حنيفة.

الفرق بين ملك ومالك

[أما] الفرق بين مالك وملك فقال قوم: هما لغتان بمعنى واحد، مثل (فرهين) و (فارهين) و (حذرين) و (حاذرين) و (فكهين) و (فاكهين) ....[5] بينهما، فقال أبو عبيدة والأصمعي وأبو سالم والأخفش وأبو الهيثم: مالك أجمع وأوسع وأمدح، ألاترى أنه يقال: الله مالك الطير والدواب والوحش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، وإنما يقال: ملك الناس؟ قالوا: ولا يكون مالك الشيء إلاّ هو يملكه ويكون ملك الشيء وهو لا يملكه، كقولهم: ملك العرب والعجم والروم.

---

(١) مجمع الزوائد: ٥ / ٣٢٨.
(٢) بياض في المخطوط.
(٣) بياض في المخطوط.
(٤) بياض في المخطوط.
(٥) بياض في المخطوط.

وقالوا أيضاً: إن (المالك) يجمع الفعل والاسم.

وقال بعضهم: في (مالك) ....[١] ومالك قوله ﷺ: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات»[٢] [٢٧].

وقال أبو عبيد: الذي نختار ملك ....[٣] مروياً عن النبي ﷺ أثبت. ومن قرأ بها من أهل العلم أكثر. وهي مع هذا في المعنى أصحّ لقوله تعالى: **﴿فتعالى الله الملك الحق﴾**[٤]، و: **﴿الملك القدوس﴾**[٥]، و: **﴿ملك الناس﴾**[٦]، و: **﴿لمن الملك اليوم﴾**[٧]، ولم يقل: لمن الملك اليوم؟

والملك مصدر الملك وغيرهُ، وملك يصلح للمالك والمليك، يقال: ملك الشيء يملكه ملكاً، فهو مالك ومليك، و: ملكه يملكه ملكاً فهو ملك لا غير. وهما بعد الناس، ومعناهما الربّ؛ لأن العرب تقول: رب الدار والعبد والضيعة بمعنى أنه مالكها، ولا يفرّقون بين قولهم: ربّها ومالكها ومن ....[٨] قال: إن المالك والملك هو القادر على استخراج الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر في الحقيقة على إخراجها إلاّ الله المالك، قال النبي ﷺ: «لا ملك إلاّ الله»[٩] [٢٨]. فأما غيره، فيسمى مالكاً وملكاً على المجاز.

والمراد بذلك: أنه مأذون له في التصرّف فيه.

وقال عبد العزيز بن يحيى: المالك يمكن بما يملكه، منفرد به عن أبناء جنسه، تعود منافعه إليه، والمالك الثاني الذي بيده الشيء، ويستولي عليه، ويصرفه فيما يريده. تقول العرب: ملّكك زمام البعير، وملكت العجين إذا شددته، وأملكت المرأة إملاكاً، قال الشاعر:

وجبرئيل أمين الله أملكها

معنى قوله: **﴿الدين﴾**

وأما معنى قوله: **﴿مالك يوم الدين﴾**، فقال ابن عباس والسدي ومقاتل: قاضي يوم الحساب. ودليله قوله عزّ وجلّ: **﴿ذلك الدين القيّم﴾**[١٠]، أي الحساب المستقيم.

الضحاك وقتادة: الدين: الجزاء، يعني: يوم يدين الله العباد بأعمالهم. دليله قوله: **﴿أئنّا لمدينون﴾**[١١]، أي مجرّبون. قال لبيد:

---

(١) بياض في المخطوط.
(٢) البرهان: ١ / ٤٤٥.
(٣) بياض في المخطوط.
(٤) سورة طه: ١١٤.
(٥) سورة الحشر: ٢٣.
(٦) سورة الناس: ٢.
(٧) سورة غافر: ١٦.
(٨) بياض في المخطوط.
(٩) مجمع الزوائد: ١٠ / ٤٤.
(١٠) سورة التوبة: ٣٦.
(١١) سورة الصافّات: ٥٣.

حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان الفتى يوماً كما هو دائن[١]

وقال عثمان بن زيات: يوم القهر والغلبة، تقول العرب: مدان فدان، أي قهرته فخضع وذلّ. وقال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهو الدين دراكا بغزوة وارتحال

ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الأقوال[٢]

وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد الأديب يقول: سمعت أبا المضر محمد بن أحمد ابن منصور يقول: سمعت أبا عمر غلام ثعلب يقول: كان الرجل إذا أطاع ودان إذا عصى، ودان إذا عزّ وكان إذا ذلّ، ودان إذا قهر.

وقال الحسن بن الفضل: يوم الإطاعة، قال زهير:

لئن حللت بواد في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك[٣]

أي في طاعة، وكل ما أطيع الله فيه فهو دين.

وقال بعضهم: يوم العمل، قال الفراء: دين الرجل خلقه وعمله وعادته، وقال المثقب العبدي:

تقول إذا درأت وضيني لها أهذا دينه أبداً وديني[٤]

وقال محمد بن كعب القرضي: ﴿**مالك يوم**﴾ لا ينفع فيه إلاّ ﴿**الدين**﴾، وهذه من قول الله تعالى: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلاّ من أتى الله بقلب سليم**﴾[٥]، وقوله: ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً**﴾[٦].

وإنما خصّ يوم الدين بكونه مالكاً له؛ لأن الأملاك في ذلك اليوم زائلة [فينفرد تعالى بذلك][٧]، وهي باطلة والأملاك خاصة. وقيل: خص يوم الدين بالمالك فيه؛ لأن ملك الدنيا قد اندرج في قوله: ﴿**ربّ العالمين**﴾[٨]، فأثبت أنه مالك الآخرة بقوله: ﴿**مالك يوم الدين**﴾؛ ليعلم أن الملك له في الدارين. وقيل: إنما خصّ يوم الدين بالذكر؛ تهويلا وتعظيماً لشأنه كما قال تعالى: ﴿**يوم هم بارزون * لا يخفى على الله منهم شيء**﴾[٩]، ولا خفاء بهم في كل الأوقات عن الله عزّ وجلّ.

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١٤٤.
(٢) الصحاح: ٥ / ٢١١٨.
(٣) لسان العرب: ١٠ / ٤٧٣.
(٤) الصحاح: ٥ / ٢١١٨.
(٥) سورة الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.
(٦) سورة سبأ: ٣٧.
(٧) زيادة لتقويم النص.
(٨) سورة الحمد: ٢.
(٩) سورة غافر: ١٦.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ رجع من الخبر الى الخطاب على التلوين. وقيل فيه إضمار، أي قولوا: ﴿إياك﴾. و ﴿إيا﴾ كلمة ضمير، لكنه لا يكون إلاّ في موضع النصب، والكاف في محلّ الخفض بإضافة إيا إليها، وخصّ بالإضافة إلى الضمير؛ لأنه يضاف إلى الاسم المضمر ألا يقول الشاعر:

فدعني وإيا خالد لأقطعن عُرْيَ نياطه[1]

وحكى الخليل عن العرب: إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإياكم.

ويستعمل مقدّماً على الفعل مثل (إياك أعني) و (إياك أسأل)، ولا يستعمل مؤخّراً على الفعل إلاّ أنّ .....[2] به حين الفعل، فيقال: ما عبدت إلاّ إياك ونحوها. وقال أبو ميثم سهل ابن محمد: إياك ضمير منفصل، والضمير ثلاثة أقسام:

ضمير متّصل نحو الكاف والهاء والياء في قولك: أكرمك، وأكرمه، وأكرمني. سمي بذلك لاتصاله بالفعل.

وضمير منفصل نحو إياك وإياه وإياي. سمي بذلك لانفصاله عن الفعل.

وضمير مستكن، كالضمير في قولك: قعد وقام. سمي بذلك لأنه استكن في الفعل ولم يُستبَقَ في اللفظ ويعمّ أن فيه ضمير الفاعل؛ لأن الفعل لا يقوم إلاّ بفاعل ظاهر أو مضمر.

وقال أبو زيد: إنما هما ياءان: الأولى للنسبة والثانية للنداء، تقديرها: (أي يا)، فأُدغمت وكسرت الهمزة لسكون الياء. وقال أبو عبيد: أصله (أو ياك)، فقلبت الواو ياءً فأدغموه، وأصله من (آوى، يؤوي، إيواء) كأن فيه معنى الانقطاع والقصد. وقرأ الفضل الرقاشي (أياك) بفتح الألف وهي لغة.

وإنما لم يقل: نعبدك [لأنه] يصحّ في العبارة، وأحسن الإشارة؛ لأنهم إذا قالوا: إياك نعبد، كان نظرهم منه إلى العبادة لا من العبادة إليه. وقوله: ﴿نعبد﴾ أي نوحد ونخلص ونطيع ونخضع، والعبادة رياضة النفس على حمل المشاق في الطاعة. وأصلها الخضوع والانقياد والطاعة والذلة، يقال: طريق معبّد إذا كان مذللا موطوءاً بالأقدام. قال طرفة:

تبارى عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبّد[3]

---

(١) لسان العرب: ١٤ / ٦٠.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) الصحاح: ٢ / ٨٢٠.

وبعير معبد إذا كان مطلياً بالقطران، قال طرفة:

إلى أن تحامتني العشيرة كلّها وأفردت إفراد البعير المعبّد[١]

وسمّي العبد عبداً لذلّته وانقياده لمولاه.

﴿وإياك نستعين﴾: نستوفي ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلّها، يقال: استعنته واستعنت به، وقرأ يحيى بن رئاب: (نستعين) بكسر النون. قال الفرّاء: تميم وقيس وأسد وربيعة يكسرون علامات المستقبل إلاّ الياء، فيقولون إستعين ونِستعين ونحوها، ويفتحون الياء لأنها أخت الكسرة. وقريش وكنانة يفتحونها كلّها وهي الأفصح والأشهر.

وإنّما كرّر ﴿إياك﴾ ؛ ليكون أدلّ على الإخلاص والاختصاص والتأكيد لقول الله تعالى خبراً عن موسى: ﴿كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾[٢]، ولم يقل: كي نسبحك ونذكرك كثيراً.

وقال الشاعر:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا[٣]

ولم يقل بين النهار والليل. وقال الآخر:

بين الأشجّ وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود[٤]

وقال أبو بكر الورّاق: إياك نعبد لأنك خلقتنا، وإياك نستعين لأنك هديتنا وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرَّحْمن الفرّان، وقد سئل عن الآية فقال: ﴿إياك نعبد﴾ لأنك الصانع، و ﴿إياك نستعين﴾ لأن المصنوع لا غنى به عن الصانع، ﴿إياك نعبد﴾ لتدخلنا الجنان، و ﴿إياك نستعين﴾ لتنقذنا من النيران، ﴿إياك نعبد﴾ لأنّا عبيد و ﴿إياك ستعين﴾ لأنك كريم مجيد، ﴿إياك نعبد﴾ لأنك المعبود بالحقيقة و ﴿إياك نستعين﴾ لأننا العباد بالوثيقة.

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

﴿إهدنا﴾، قال علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) وأبيّ بن كعب: أرشدتنا فهذا كما يقال للرجل الذي يأكل: كل، والذي يقرأ: إقرأ، وللقائم: قم لي حتّى أعود لك أي دُم على ما أنت

(١) لسان العرب: ٣ / ٢٧٤.
(٢) سورة طه: ٣٣ ـ ٣٤.
(٣) ترتيب إصلاح المنطق: ٣٥٥.
(٤) الصحاح: ١ / ٤١٨.

عليه. وقال السدّي ومقاتل: أرشدنا، يقال: هديته للدّين وهديته الى الدين هدىً وهدايةً، قال الحسن بن الفضل: الهدى في القرآن على وجهين:

الوجه الأول: هدى دعاء وبيان كقوله: **﴿وإنك لتهدي الى صراط مستقيم﴾**(١)، وقوله: **﴿ولكل قوم هاد﴾**(٢) و **﴿وأمّا ثمود فهديناهم﴾**(٣).

الوجه الثاني: هدى توفيق وتسديد كقوله: **﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾**(٤)، وقوله: **﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾**(٥).

و**﴿ الصراط المستقيم﴾** الطريق الواضح المستوي، قال عامر بن الطفيل:

خشونا أرضهم بالخيل حتّى تركناهم أذل من الصراط(٦)

وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوجّ الموارد مستقيم(٧)

الإختلاف في قراءة الصراط

وفي الصراط خمس قراءات: بالسين وهو الأصل، سمّي الطريق سِراطاً لأنّه يسترط المارّة. أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن حمدويه، حدّثنا محمود بن آدم، حدّثنا سفيان عن عمر عن ثابت قال: سمعت ابن عباس قرأ السِراط بالسين، وبه قرأ ابن كثير [من] طريق . . . .(٨) ويعقوب [من] طريق . . . .(٩).

وبإشمام السين وهي رواية أبي حمدون عن الكسائي، وبالزاي وهي رواية أبي حمدون عن سليم عن حمزة.

وبإشمام الزاي وهي قراءة حمزة في أكثر الروايات والكسائي في رواية نهشل والشيرازي.

وبالصاد قراءة الباقين من القرّاء.

وكلّها لغات فصيحة صحيحة إلاّ إن الاختيار الصاد؛ لموافقة المصحف لأنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد. ولأن آخرتها بالطاء لأنهما موافقتان في الاطباق والاستعلاء.

واختلف المفسّرون في **﴿الصراط المستقيم﴾** فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو

---

(١) سورة الشورى: ٥٢.
(٢) سورة الرعد: ٧.
(٣) سورة فصّلت: ١٧.
(٤) سورة النحل: ٩٣.
(٥) سورة القصص: ٥٦.
(٦) الفروق اللغوية: ٣١٣.
(٧) الصحاح: ٢ / ٥٥٠.
(٨) بياض في المخطوط.
(٩) بياض في المخطوط.

القاسم الحسن بن محمد النيسابوري قالا: أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدّثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، حدّثنا الحسين بن علي عن حمزة الزيّات عن أبي المختار الطائي عن [ابن] أبي أخ الحرث الأعسر عن الحرث عن علي قال: سمعت النبي ﷺ [يقول]: «الصراط المستقيم كتاب الله عزّ وجلّ»(١) [٢٩].

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا حامد بن محمد، حدّثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدّثنا زكريا بن عديّ عن مقتضي عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: الصراط المستقيم كتاب الله عزّ وجلّ.

وأخبرنا عبد الله، أخبرنا عبد الرَّحْمن بن محمد، حدّثنا ليث، حدّثنا عقبة بن سليمان، حدّثنا الحسين بن صالح عن أبي عقيل عن جابر قال: الصراط المستقيم الإسلام، وهو أوسع مما بين السماء والأرض [وإنما كان] الصراط المستقيم الإسلام لأن كل دين وطريق [غير] الإسلام فليس بمستقيم.

وروى عاصم الأحول عن أبي العالية الرياحي: هو طريق النبي ﷺ وصاحباه(٢).

قال عاصم: فذكرت ذلك للحسن فقال: صدق أبو العالية ونصح.

وقال بكر بن عبد الله المزني: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فسألته عن الصراط المستقيم، فقال: سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.

وقال سعيد بن جبير: يعني طريق [الحق].

وقال السدّي: أرشدنا إلى دين يدخل صاحبه به الجنة ولا يعذب في النار أبداً، ويكون خروجه من قبره إلى الجنة.

وقال محمد بن الحنفية: هو دين [الله] الذي لا يقبل من عباده غيره.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله العايني، حدّثنا أبو الحسين محمد بن عثمان النصيبي ببغداد، حدّثنا أبو القاسم [. . . .](٣) ابن نهار، حدّثنا أبو حفص المستملي، حدّثنا أبي، حدّثنا حامد بن سهل، حدّثنا عبد الله بن محمد العجلي، حدّثنا إبراهيم بن جابر عن مسلم بن حيان عن أبي بريدة في قول الله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قال: صراط محمد ﷺ وآله (عليهم السلام)(٤).

---

(١) معاني القرآن: ١ / ٧٦، وتفسير القرطبي: ٨ / ٣٢٩.
(٢) الكامل لابن عدي: ٣ / ١٦٣.
(٣) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.
(٤) تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٦٧ ، وشواهد التنزيل: ١ / ٧٤ ح ٨٦ ، ونهج الايمان لابن جبر عن كتاب ابن شاهين: ٥٤.

وقال عبد العزيز بن يحيى: يعني طريق السواد الأعظم. [وقال] أبو بكر الورّاق: يعني صراطاً لا تزيغ به الأهواء يميناً وشمالا. وقال محمد بن علي النهدي: يعني طريق الخوف والرجاء. وقال أبو عثمان الداراني: [يعني] طريق العبودية.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله بهرات يقول: سمعت أبا الحسن عمر بن واصل العنبري يقول: سمعت [سهل] بن عبد الله التستري يقول: طريق السنّة والجماعة لأن البدعة لا تكون مستقيمة.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسّر: حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب الأصم: حدّثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي: أخبرنا أبو بكر بن عيّاش عن عاصم عن زر عن أبي وائل عن عبد الله قال: خطّ رسول الله ﷺ خطّين، خطّاً عن يمينه وخطّاً عن شماله ثم قال: «هذه السُبُل، وعلى كلّ سبيل منهما شيطان يدعو إليه، وهذا سبيل الله» [٣٠](١) ، ثم قرأ **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**(٢).

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدّثنا معمّر بن سفيان الصغير، حدّثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدّثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدّثنا معاوية بن صالح أن عبد الرَّحْمن بن جبير بن نصر حدّثه عن أبيه جبير عن نواس بن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلا (صراطاً مستقيماً) وعلى جانبي الصراط ستور مرخاة فيها أبواب مفتّحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه بالصراط: الإسلام. والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على الصراط كتاب الله عزّ وجلّ، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم» [٣١](٣).

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

﴿صراط﴾ بدل من الأول **﴿الذين أنعمت عليهم﴾** يعني: طريق الذين أنعمت عليهم بالتوفيق والرعاية، والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾**(٤).

---

(١) مسند أحمد: ١ / ٤٦٥، السنن الكبرى: ٦ / ٣٤٣ بتفاوت.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) مسند أحمد: ٤ / ١٨٢، المستدرك: ١ / ٧٣ بتفاوت يسير.

(٤) سورة النساء: ٦٩.

قال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى من قبل أن يغيّروا نعم الله عليهم.

وقال شهر بن حوشب هم أصحاب الرسول صلى الله عليه ورضي عنهم وأهل بيته(عليهم السلام) . وقال عكرمة: ﴿أنعمت ليهم﴾)بالثبات على الإيمان والإستقامة.

وقال علي بن الحسين بن داود: ﴿أنعمت عليهم﴾ بالشكر على السرّاء والصبر على الضرّاء. وقال ....[١] بن ....[٢]: بما قد سنّه محمد ﷺ. وقال الحسين بن الفضل: يعني أتممت عليهم النعمة فكم من منعم عليه ....[٣].

وأصل النعمة المبالغة والزيادة، يقال: دققت الدواء فأنعمت دقّه أي بالغت في دقه، ومنه قول العرب النبي ﷺ «إن أهل الجنة يتراءون الغرفة منها كما يتراءون الكوكب الدرّي الشرقي أو الغربي في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[٤] [٣٢].

أي زادا عليه. وقال أبو عمرو: بالغاً في الخير.

وقرأ الصادق: (صراط من أنعمت عليهم)، وبه قرأ عمرو بن الزبير وعلي ، حرف اللام يجر ما بعده. وفي ﴿عليهم﴾ سبع قراءات:

الأولى: عليهم ـ بكسر الهاء وجزم الميم ـ وهي قراءة العامّة.

والثانية: عليهم ـ بضم الهاء وجزم الميم ـ وهي قراءة الأعمش وحمزة. وروي ذلك عن النبي ﷺ وعمر (رضي الله عنه).

والثالثة: عليهم ـ بضم الهاء والميم وإلحاق الواو ـ وهي قراءة عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق.

والرابعة: عليهمو ـ بكسر الهاء وضم الميم وإلحاق الواو ـ وهي قراءة ابن كثير والأعرج.

والخامسة: عليهم ـ بكسر الهاء والميم وإلحاق الياء ـ وهي قراءة الحسن.

والسادسة: عليهم ـ بكسر الهاء وضم الميم مضمومة مختلسة ـ وهي رواية عبد الله بن عطاء الخفّاف عن أبي عمرو.

والسابعة: عليهم ـ بكسر الهاء والميم ـ وهي قراءة عمرو بن حامد.

---

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) الجامع الصغير: ٢ / ٢٠٣.

فمن ضمّ الهاء ردّه إلى الأصل لأنه لو أفرد كان مضموماً عند الابتداء به، ومن كسره فلأجل الياء الساكنة. ومن كسر الهاء وجزم الميم فإنه يستثقل الضمّ مع مجاورة الياء الساكنة، والياء أخت الكسرة والخروج من الضم إلى الكسر ثقيل. ومن ضمّ الهاء والميم أتبع فيه الضمّة. ومن كسر الهاء وضمّ الميم فإنه كسر الهاء لأجل الياء وضمّ الميم على الأصل، والاختلاس للاستخفاف، وإلحاق الواو والياء للإتباع والله أعلم. قال الشاعر في الميم المختلسة:

والله لولا شعبة من الكرم وسطة في الحي من خال وعم[1]

لكنت فيهم رجلا بلا قدم

﴿غير المغضوب﴾ غير: صفة الذين. والذين معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف إلاّ إن الذين ليس بمعرفة موقتة ولكنّه بمنزلة قولك: إني لأمرُّ بالصادق غير الكاذب، كأنك قلت: من يصدق لا من يكذب. ولا يجوز: مررت بعبد الله غير الظريف.

ومعنى كلامه: غير صراط الذين غضبت ﴿عليهم﴾.

في معنى الغضب

واختلفوا في معنى الغضب من الله عزّ وجلّ، فقال قوم: هو إرادة الانتقام من العصاة. وقيل: هو جنس من العقاب يضادّ والرضا. وقيل: هو ذم العصاة على قبح أفعالهم.

ولا يلحق غضب الله تعالى العصاة من المؤمنين بل يلحق الكافرين.

﴿ولا الضالين﴾ عن الهدى.

وأصل الضلال الهلاك، يقال ضلَّ الماء في اللبن إذا خفي وذهب، و: رجل ضالّ إذا أخطأ الطريق، و: مضلِّل إذا لم يتوجّه لخير، قال الشاعر:

ألم تسأل فتخبرك الديار عن الحي المضلل أين ساروا[2]

قال الزجاج وغيره: وإنما جاز أن يعطف بـ (لا) على غير؛ لأن غير متضمِّن معنى النفي؛ فهو بمعنى لا، مجازه: غير المغضوب عليهم وغير الضالين كما تقول: فلان غير محسن ولا مجمل. فإذا كان (غير) بمعنى سوى لم يجز أن يعطف عليها بـ (لا)؛ لأنه لا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد. وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير: ﴿غيرَ المغضوب﴾ نصباً.

وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ: (وغير الضالين)، وقرأ السختياني (ولأ الضائين) بالهمزة؛ لالتقاء الساكنين، والله أعلم.

---

(١) كتاب المنمق للبغدادي: ١٣٠.

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ١٥٠.

فأما التفسير:

فأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، حدّثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، أخبرنا أحمد بن حنبل ومحمد بن دينار قالا: حدّثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سماك قال: سمعت عباد بن حبيش عن عديّ بن حاتم عن النبي ﷺ: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ قال: «اليهود» ، ﴿**ولا الضالين**﴾ قال: «النصارى»(١) [٣٣].

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا العنبري، حدّثنا محمد بن عبد الله الوراق، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ، وهو بوادي القرى على فرسه فسأله رجل من القيْن، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين يقاتلونك؟ قال: «المغضوب عليهم» ، وأشار إلى اليهود. فقال: من هؤلاء الطائفة الأخرى؟ فقال: «الضالون»، وأشار إلى النصارى(٢) [٣٤].

وتصديق هذا الحديث حكم الله تعالى بالغضب على اليهود في قوله: ﴿**هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه**﴾(٣)، وحكم الضلال على النصارى في قوله: ﴿**ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا**﴾(٤).

وقال الواقدي: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ بالمخالفة والعصيان، ﴿**ولا الضالين**﴾ عن الدين والإيمان.

وقال التستري: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ البدعة، ﴿**ولا الضالين**﴾ عن السنة.

فصل في آمين

والسنّة المستحبة أن يقول القارئ بعد فراغه من قراءة فاتحة الكتاب: آمين؛ سواء كان في الصلاة أو غير الصلاة؛ لما أخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني، أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، حدّثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، حدّثنا أبو داود عن سفيان، وأخبرنا عبد الله قال: وأخبرنا عبدوس بن الحسين، حدّثنا أبو حاتم الرازي، حدّثنا ابن كثير، أخبرنا سفيان عن سلمة عن حجر أبي العنبس الحضرمي عن أبي قايل بن حجر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ: ﴿**ولا الضالين**﴾، قال: «آمين»، ورفع بها صوته(٥) [٣٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٢ بتفاوت يسير.

(٣) سورة المائد: ٦٠.

(٤) سورة المائدة: ٧٧.

(٥) مسند أحمد: ٤ / ٣١٦.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «لقّنني جبرائيل ﵇ آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب» [٣٦].

وقال «إنّه كالخاتم على الكتاب»[١] وفيه لغتان: أمين بقصر الألف، وأنشد:

تباعد منّي فعطل إذ سألته ... أمين فزاد الله ما بيننا بعداً

وآمين بمد الألف وأنشد:

يا ربّ لا تسلبني حبّها أبداً ... ويرحم الله عبداً قال آمينا[٢]

وهو مبني على الفتح مثل أين.

واختلفوا في تفسيره فأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، أخبرنا أبو العباس محمد ابن إسحاق بن أيوب، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد، حدّثنا عبيد بن يعيش عن محمد ابن الفضل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن معنى «آمين» قال: «ربِّ افعل» [٣٧][٣].

وقال ابن عباس وقتادة: معناه: كذلك يكون.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزّان، أخبرنا مكي بن عبدان، حدّثنا عبد الله بن حاتم، حدّثنا عبد الله بن نمير، أخبرنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قال: آمين اسم من أسماء الله تعالى، و[بذلك][٤] قال مجاهد.

وقال سهل بن عبد الله: معناه: لا يقدر على هذا أحد سواك. وقال محمد بن علي النهدي: معناه لا تخيّب رجانا.

وقال عطية العوفي: آمين كلمة ليست بعربية، إنما هي عبرية أو سريانية ثمّ تكلمت به العرب فصار لغة لها. وقال عبد الرَّحْمن بن زيد: آمين كنز من كنوز العرش لا يعلم تأويله أحد إلاّ الله عزّ وجلّ.

وقال أبو بكر الورّاق: آمين قوة للدعاء واستنزال للرحمة.

وقال الضحّاك بن مزاحم: آمين أربعة أحرف مقتطعة من أسماء الله تعالى، وهو خاتم رب العالمين يختم به براءة أهل الجنة وبراءة أهل النار، وهي الجائزة التي منها يجوزون إلى الجنة والنار[٥].

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١٢٧ ـ ١٢٨.
(٢) زاد المسير: ١ / ١٢، تفسير القرطبي: ١ / ١٢٨.
(٣) الدرّ المنثور: ١ / ١٧، فتح القدير: ١ / ٢٦.
(٤) في المخطوط: ذلك.
(٥) فيض القدير: ١ / ٨٠، ح ٢٠.

يدلّ عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله، حدّثنا محمد بن علي الحافظ، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، حدّثنا سعيد بن جبير، حدّثنا المؤمل بن عبد الرَّحْمن بن عياش الثقفي، عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين» [٣٨][١].

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بن الفضل بقراءتي عليه في صفر سنة ثمان وأربعمائة أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين بن الشرقي، حدّثنا محمد بن يحيى وعبد الرَّحْمن بن بِشْر وأحمد بن يوسف قالوا: حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمّر عن همّام بن منبّه قال: حدّثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافق إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه» [٣٩][٢].

وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمّد بن جعفر، أخبرنا محمّد أبو الحسن محمد بن الحسن بهراة، حدّثنا رجاء بن عبد الله، حدّثنا مالك بن سليم، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج عن عطاء قال: آمين دعاء [وعنه عن] النبي ﷺ قال: «ما حسدكم اليهود على شيء، كما حسدوكم على آمين، وتسليم بعضكم على بعض» [٤٠][٣].

وقال وهب بن منبه: آمين على أربع أحرف، يخلق الله تعالى من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر لمن قال: آمين.

فصل في أسماء هذه السورة

هي عشرة، وكثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى:

الأول: فاتحة الكتاب، سمّيت بذلك لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة، وهي مفتتحة بالآية التي تفتتح بها الامور تيمّناً وتبرّكاً وهي التسمية. وقيل: سمّيت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن. وقال الحسين بن الفضل: لأنها أول سورة نزلت من السماء.

والثاني: سورة الحمد، لأن فيها ذكر الحمد، كما قيل: سورة (الأعراف) و(الأنفال) و(التوبة) ونحوها.

والثالث: أُمّ الكتاب والقرآن؛ سمّيت بذلك لأنها أوّل القرآن والكتب المنزلة، فجميع ما

---

(١) كتاب الدعاء للطبراني: ٨٩، كنز العمّال: ١ / ٥٥٩، ح ٢٥١٢.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٣١٢.

(٣) المصنّف لعبدالرزّاق: ٢ / ٩٨، ح ٢٦٤٩.

أودعها من العلوم مجموع في هذه السورة؛ فهي أصل لها كالأم للطفل، وقيل: سمّيت بذلك؛ لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة سميت أُم القرى لأنها أشرف البلدان. وقيل: سمّيت بذلك لأنها مقدّمة على سور القرآن، فهي أصل وإمام لما يتلوها من السور، كما أن أُم القرى أصل جميع البلدان دحيت الأرض من تحتها. وقيل: سمّيت بذلك لأنها مجمع العلوم والخيرات، كما أن الدماغ يسمى أُمّ الرأس؛ لأنها مجمع الحواس والمنافع.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمّد المفسّر يقول: سمعت أبا بكر القفّال يقول: سمعت أبا بكر البريدي يقول: الأُم في كلام العرب: الراية ينصبها العسكر.

قال قيس بن الخطيم:

نصَبنا أُمّنا حتى ابذعرّوا وصاروا بعد إلفتهم شلالا

فسمّيت أُم القرآن؛ لأن مفزع أهل الإيمان إليها كمفزع العسكر إلى الراية. والعرب تسمي الأرض أُمّاً؛ لأنّ معاد الخلق إليها في حياتهم وبعد مماتهم، قال أُمية بن أبي الصلت:

والأرض معقلنا وكانت أُمّنا فيها مقابرنا وفيها نولد[١]

وأنشدني أبو القاسم قال: أنشدنا أبو الحسين المظفّر محمد بن غالب الهمداني قال: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال: أنشدنا أبي قال: أنشدني أحمد بن عبيدة:

نأوي إلى أمّ لنا تعتصب كما وَلِها أنف عزيز وذنب

وحاجب ما إن نواريها الغضب من السحاب ترتدي وتنتقب[٢]

يعني: نصبه كما وصف لها. وسميت الفاتحة أُمّاً لهذه المعاني. وقال الحسين بن الفضل: سميت بذلك؛ لأنها إمام لجميع القرآن تقرأ في كل [صلاة و][٣] تقدم على كل سورة، كما أن أُمّ القرى إمام لأهل الإسلام. وقال ابن كيسان: سميت بذلك؛ لأنها تامة في الفضل.

والرابع: السبع المثاني، وسيأتي تفسيره في موضعه إن شاء الله.

والخامس: الوافية، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، حدّثنا أبي عن أمّه عن محمد بن نافع السنجري، حدّثنا أبو يزيد محبوب الشامي، حدّثنا عبدالجبار بن العلاء قال: كان يسمي سفيان بن عُيينة فاتحة الكتاب: الوافية، وتفسيرها لأنها لا تنصف ولا تحتمل الاجتزاء إلاّ أن كل سورة من سور القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة كان جائزاً، ولو نصفت الفاتحة وقرئت في ركعتين كان غير جائز.

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١١٢.

(٢) لسان العرب: ١٥ / ١٦٨ باختصار.

(٣) بياض في مصوّرة المخطوط، والأقرب ما أثبتناه.

والسادس: الكافية، أخبرنا أبو القاسم السدوسي، أخبرنا أبو جعفر محمد بن مالك المسوري، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن عمران قال: حدّثنا سهيل بن [محمّد][١]، حدّثنا عفيف بن سالم قال: سألت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام فقال: عن الكافية تسأل؟

قلت: وما الكافية؟ قال: أما علمت أنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها. إياك أن تصلي إلاّ بها.

وتصديق هذا الحديث ما حدّثنا الحسن بن محمد بن جعفر المفسر، حدّثنا عبد الرَّحْمن بن عمر ابن مالك الجوهري بمرو، حدّثنا أبي، حدّثنا أحمد بن يسار، عن محمد بن عباد الاسكندراني عن أشهب بن عبد العزيز، عن ابن عيينة، عن الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أمّ القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضاً»[٢] [٤١].

والسابع: الأساس، حدّثنا أبو القاسم الحسين بن محمد المذكر، حدّثنا أبو عمرو بن المعبّر محمد بن الفضل القاضي بمرو، حدّثنا أبو هريرة مزاحم بن محمد بن شاردة الكشي، حدّثنا جارود بن معاد، أخبرنا وكيع قال: إن رجلا أتى الشعبي فشكا إليه وجع الخاصرة، فقال: عليك بأساس القرآن. قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب. قال الشعبي: سمعت عبد الله بن عباس غير مرّة يقول: إن لكل شيء أساساً وأساس العمارة مكة؛ لأنها منها دُحيت الأرض وأساس السماوات غريباً[٣]، وهي السماء السابعة، وأساس الأرض عجيباً، وهي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان جنة عدن، وهي سرّة الجنان، وعليها أُسّست الجنان، وأساس النار جهنم، وهي الدركة السابعة السفلى وعليها أُسست الدركات، وأساس الخلق آدم عليه السلام، وأساس الأنبياء نوح عليه السلام، وأساس بني اسرائيل يعقوب، وأساس الكتب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بسم الله الرَّحْمن الرحيم﴾. فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى.

والثامن: الشفاء، حدّثنا أبو القاسم بن أبي بكر المكتّب لفظاً، حدّثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الرقّاء، أخبرنا محمد بن أيوب الواقدي، حدّثنا أبو عمرو بن العلاء، حدّثنا سلام الطويل، عن زيد العمي، عن محمد بن سيرين، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ «فاتحة الكتاب شفاء من كل سمّ»[٤] [٤٢].

وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه، حدّثنا أبو الحسين محمّد بن الحسن الصفار الفقيه،

(١) كذا الظاهر.
(٢) كنز العمّال: ١ / ٥٥٨، إرواء الغليل: ٢ / ١١.
(٣) في تفسير القرطبي (١ / ١١٣) عريباً.
(٤) تفسير القرطبي: ١ / ١١٢.

حدّثنا أبو العباس السرّاج، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا معاوية بن صالح، عن أبي سليمان قال: مرّ أصحاب رسول الله ﷺ في بعض غزواتهم على رجل مقعد متربّع فقرأ بعضهم في أذنه شيئاً من القرآن فبرئ، فقال رسول الله ﷺ: «هي أُمّ القرآن، وهي شفاء من كل داء»[1] [٤٣].

أخبرنا أحمد بن أُبيّ الخوجاني، أخبرنا الهيثم بن كليب الشامي، حدّثنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا سعيد بن الحجاج، عن عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي عن خارجة بن الصلت التميمي، عن عمّه قال: جاء عمي من عند رسول الله ﷺ، فمرّوا بحيّ من الأعراب، فقالوا: انّا نراكم قد جئتم من عند هذا الرسول، إنّ عندنا رجلا مجنوناً مخبولا، فهل عندكم من دواء أو رقية؟ فقال عمّي: نعم. فجيىء به، فجعل عمي يقرأ أُمّ القرآن وبزاقه فإذا فرغ منها بزق فجعل ذلك ثلاثة أيام، فكأنّما أهبط من جبال، قال عمي: فأعطوني عليه جعلا، فقلت: لا نأكله حتى نسأل رسول الله ﷺ. فسأله، فقال: «كُلهُ، فمن الحلّ تُرقيه بذلك. لقد أكلت بِرُقية حق»[2].

والتاسع: الصلاة، قد تواترت الأخبار بأن الله تعالى سمّى هذه السورة، وهو ما يعرف انّه لا صلاة إلاّ بها.

أخبرنا عبد الله بن حامد وأحمد بن يوسف بقراءتي عليهما قالا: أخبرنا مكي بن عبدالله، حدّثنا محمد بن يحيى قال: وفيما قرأته على ابن نافع، وحدّثنا مطرف عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرَّحْمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزّ وجلّ: قسمت الصلاة - يعني هذه السورة - بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي، فإذا قرأ العبد: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ يقول الله: حمدني عبدي. وإذا قال العبد: ﴿**الرَّحْمن الرحيم**﴾ يقول الله تعالى: أثنى عليّ عبدي. وإذا قال العبد: ﴿**مالك يوم الدين**﴾ يقول الله: مجّدني عبدي. وإذا قال العبد: ﴿**اياك نعبد واياك نستعين**﴾ قال الله: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ إلى آخرها قال: هذه لعبدي ولعبدي ما سأل[3] [٤٤].

والعاشر: سورة تعلم المسألة؛ لأن الله تعالى علّم فيه عباده آداب السؤال، فبدأ بالثناء ثم الدعاء، وذلك سبب النجاح والفلاح.

القول في وجوب قراءة هذه السورة في الصلاة.

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن جعفر الطبري، حدّثنا بشر بن مطير، حدّثنا

---

(١) سنن الدارمي: ٢ / ٤٤٥، بتفاوت.

(٢) بتفاوت في سنن أبي داود: ٢ / ١٢٩، ح ٣٤٢١.

(٣) تفسير القرطبي: ١ / ١٢١، مسند أحمد: ٢ / ٢٨٥، بتفاوت.

سفيان، حدّثنا العلاء بن عبد الرَّحْمن عن أبيه أنه سمع أبا هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صلّى صلاة فلم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب[(١)] فهي خداج ـ ثلاث مرات ـ غير تمام»[(٢)] [٤٥].

وأخبرنا عبد الله قال: أخبرنا ابن عباس، حدّثنا عبد الرَّحْمن بن بشر، حدّثنا ابن عيينة عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب»[(٣)] [٤٦].

أخبرنا عبد الله، أخبرنا عبدوس بن الحسين، حدّثنا أبو حاتم الرازي، حدّثنا أبو قبيصة، حدّثنا سفيان عن جعفر بن علي بيّاع الأنماط عن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي: «لا صلاة إلاّ بقراءة فاتحة الكتاب»[(٤)] [٤٧].

وأخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، أخبرنا أبو المثنى، حدّثنا مسدِّد، حدّثنا عبدالوارث بن حنظلة السدوسي قال: قلت لعكرمة: إنّي ربّما قرأت في المغرب ﴿**قل أعوذ بربّ الفلق**﴾ و﴿**قل أعوذ بربّ الناس**﴾ وأنّ الناس يعيبون عليَّ ذلك، فقال: سبحان الله إقرأ بهما فإنّهما من القرآن، ثمّ قال: حدّثنا ابن عبّاس أنّ النبي ﷺ خرج فصلّى ركعتين لم يقرأ فيهما إلاّ بفاتحة الكتاب لم يزد على ذلك غيره.

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حدّثنا أبو العبّاس الأصمّ، أخبرنا الربيع بن سليمان، حدّثنا الشافعي، حدّثنا سفيان عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب»[(٥)] واحتجّ من أجاز الصلاة بغيرها بقوله: ﴿**فاقرأوا ما تيسّر من القرآن**﴾.

وأخبرنا أبو محمّد عبدالله بن حامد بقراءتي عليه أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا أبو المثنّى حدّثنا مسدّد، حدّثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عمر قال: حدّثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل وصلّى ثم جاء فسلّم على رسول الله ﷺ فقال: «ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ» حتى فعل ذلك ثلاث مرات. قال الرجل: والذي بعثك بالحق نبياً ما أحسن غير هذا، فعلِّمني. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبّر ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن ثم اركع» [٤٨][(٦)].

وهذه اللفظة يحتمل أنه أراد أن كل ما وقع عليه اسم قرآن وجهل إنما يراد سورة بعينها،

---

(١) في المصدر: بأمّ القرآن.
(٢) شرح مسلم: ٤ / ١٠١، تفسير القرطبي: ١ / ١١٩.
(٣) كتاب المسند: ٣٦، مسند أحمد: ٥ / ٣١٤.
(٤) مسند أحمد: ٢ / ٤٢٨.
(٥) مسند أحمد: ٥ / ٣١٤، وكتاب المسند للشافعي: ٣٦.
(٦) مسند أحمد: ٢ / ٤٣٧.

فلمّا احتمل الوجهين نظرنا فوجدنا النبي ﷺ صلى بفاتحة الكتاب وأمر بها [وشدّد على][١] من تركها، فصار هذا الخبر مجملاً، والأخبار التي رويناها مفسرة، والمجمل يدل على المفسر، وهذا كقوله: ﴿**فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي**﴾[٢] ثم لم يجز أحد [ترك الهدي][٣] بل ثبتها رسول الله ﷺ بالصفة أن لا يكون أعور ولا أعرج ولا معيوباً، فكذلك أراد بقوله عزّ وجلّ وقول رسول الله ﷺ ما فسّر بالصفة التي بينها أن تكون سورة الحمد إذا أحسنها، وقدرها إذا لم يحسنها. فبالعلة التي أوجبوا قراءة آية تامة مع قوله: «ما تيسّر» له وجه ظاهره العلم، والله أعلم.

ذكر وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام واختلاف الفقهاء فيه:

قال مالك بن أنس: يجب عليه قراءتها إذا خَافَتَ الإمام، فأمّا إذا جهر فليس عليه [شيء]. وبه قال الشافعي في القديم وقال في الجديد: يلزمه القراءة أسرَّ الإمام أو جَهَر. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يلزمه القراءة خافت أو جهر.

واتّفق المسلمون على أن صلاته [صحيحة] إذا قرأ خلف الإمام[٤].

والدليل على وجوب القراءة على المأموم كوجوبها على الإمام ما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا مكي بن عبد الله، حدّثنا أبو الأزهر، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدّثنا أبي عن أبي إسحاق، حدّثنا مكحول، وأخبرنا عبد الله، أخبرنا أحمد بن عبد الرَّحْمن بن سهل، حدّثنا سهل بن عمار، حدّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود ابن الربيع عن عبادة ابن الصامت قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فثقلت عليه القراءة فلمّا انصرف رسول الله ﷺ من صلاته أقبل علينا بوجهه وقال: «إني لأراكم تقرؤون خلفي؟»[٥]. قلنا: أجل والله يا رسول الله هذا. قال: «فلا تفعلوا إلاّ بأُمّ الكتاب فإنّه لا صلاة لمن لم يقرأ بها»[٦] [٤٩].

وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن عباس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وهشام بن عامر ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وعائشة وأبي هريرة وجماعة كبيرة من التابعين وأئمة المسلمين روي عنهم جميعاً أنهم رأوا القراءة خلف الإمام واجبة.

---

(١) سقط في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.
(٢) سورة البقرة: ١٩٦.
(٣) كذا الظاهر.
(٤) راجع الشرح الكبير لابن قدّامة: ٢ / ١٢.
(٥) في المصدر: وراء إمامكم.
(٦) صحيح ابن خزيمة: ٣ / ٣٦.

ووجه القول القديم ما روى سفيان عن عاصم بن أبي النجود، عن ذكوان، عن أبي هريرة وعائشة أنهما كانا يأمران بالقراءة وراء الإمام إذا لم يجهر. واحتج أبو حنيفة وأصحابه بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا الوليد ابن حمّاد اللؤلؤي: حدّثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي: حدّثنا أبو حنيفة عن الحسن عن عبد الله بن شدّاد بن الماد عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «من صلّى خلف امام فإنّ قراءة الإمام له قراءة» [٥٠][١].

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا محمد بن أيوب، أخبرنا أحمد بن يونس، حدّثنا الحسن بن صالح، عن جابر الجعفي، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من كان له إمام فقراءته له قراءة» [٥١][٢].

فأمّا حديث عبد الله بن شدّاد فهو مرسل، رواه شعبة وزائدة وابن عينية وأبو عوانة وإسرائيل وقيس وجرير وأبو الأحوص مرسلا، والمرسل لا تقوم به حجّة، والوليد بن حماد والحسن لا يدرى من هما. وأما خبر جابر الجعفي فهو ساقط، قال زائدة: جابر كذاب، وقال أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر. وقال ابن عينية: كان جابر لا يوقن بالرجعة.

وقال شعبة: قال لي جابر: دخلت إلى محمد بن علي فسقاني شربة وحفظت عشرين ألف حديث. ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه.

وقد روي عن جابر بن عبد الله ما خالف هذه الأخبار، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر ابن إسحاق، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا محمد بن يحيى، أخبرنا سعد بن عامر، عن شعبة، عن مسعر عن يزيد بن الفقير، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام، ومحال أن يروي جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أن قراءة الإمام قراءة المأموم ثم يقرأ خلف الإمام ويأمر به مخالفة للنبي ﷺ.

واحتجوا أيضاً بما روي عن عاصم بن عبد العزيز عن أبي سهيل عن عوان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يكفيك قراءة الإمام جَهَرَ أو لم يجهر» [٥٢][٣].

وهذا الحديث أيضاً لا يثبته أهل المعرفة بالحديث؛ لأنه غير متن الحديث، وإنما الخبر الصحيح فيه عن أبي هريرة ما أخبرنا أبو عمرو الفراتي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدّثنا العباس ابن محمد الدوري، حدّثنا بشر بن كلب، حدّثنا شعبة، عن العلاء بن عبد الرَّحمٰن، عن أبيه،

---

(١) نصب الراية: ٢ / ١٦.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٣٩.

(٣) نصب الراية: ٢ / ١٨، سنن الدارقطني: ١ / ٣٢٧، بتفاوت.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج غير تمام»(١). قال: فقلت له: إذا كان خلف الإمام؟ قال: فأخذ بذراعي وقال: «يا فارسي ـ أو قال: يا بن الفارسي ـ اقرأ بها في نفسك» [٥٣](٢).

واحتجوا أيضاً بما روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلف النبي ﷺ فقال: «خلطتم عليّ القرآن»(٣).

وهذا الخبر فيه نظر، ولو صحّ لكان المنع من القراءة كما رواه النضر بن شميل.

أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال لقوم يقرؤون القرآن ويجهرون به: «خلطتم عليّ القرآن» [٥٤](٤)، فليس في نهيه عن القراءة خلف الإمام جهراً ما يمنع عن القراءة سرّاً. ونحن لا نجيز الجهر بالقراءة خلف الإمام؛ لما فيه من سوء الأدب والضرر الظاهر. وقد روى يحيى بن عبد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي حازم، عن البياضي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلّي، فإنه يناجي ربّه، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن» [٥٥](٥).

ودليل هذا التأويل حديث عبد الله بن زياد الأشعري قال: صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود خلف الإمام فسمعته يقرأ في الظهر والعصر. وكذلك الجواب عن إحتجاجهم بخبر عمران بن الحصين قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر والعصر فلما انصرف قال: أيّكم قرأ (سبح اسم ربك الأعلى)(٦)، قال رجل: أنا ولم أرد به إلاّ الخير. فقال رسول الله ﷺ: «قد عرفت أن بعضكم خالجنيها» [٥٦](٧).

واحتجّوا أيضاً بحديث أبي هريرة: فإذا قرأ فأنصتوا، وليس الانصات بالسكوت فقط إنّما الإنصات أن تحسن استماع الشيء ثم يؤدى كما سمع، يدل عليه قوله تعالى في قصّة الجن: **﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا﴾**(٨).

وقد يسمى الرجل منصتاً وهو قارىء مسبّح إذا لم يكن جاهراً به، ألا ترى أن النبي ﷺ

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ١٣٢.
(٢) مسند الحميدي: ٢ / ٤٣٠.
(٣) مجمع الزوائد: ٢ / ١١٠.
(٤) مجمع الزوائد: ٢ / ١١٠.
(٥) مسند أحمد: ٢ / ١٢٩، مجمع الزوائد: ٢ / ٢٦٥، بتفاوت.
(٦) سورة الأعلى: ١.
(٧) مسند أحمد: ٤ / ٤٢٦.
(٨) سورة الإحقاف: ٢٩ ـ ٣٠.

قال: «من أتى الجمعة فأنصت ولم يلغ حتى يصلي الإمام كان له كذا وكذا» [٥٧][١].

فسمّاه منصتاً وإن كان مصليّاً ذاكراً، وقيل للنبيّ ﷺ: ما تقول أيضاً؟ قال: «أقول اللّهمّ اغسلني من خطاياي» فدلّ أنّ الإنصات وهو ترك الجهر بالقراءة دون المخافتة بها، يدل عليه ما أخبرنا به أبو القاسم الحسين، حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا أبو الدرداء هاشم بن محمد، حدّثنا عبيد بن السكن، حدّثنا إسماعيل بن عباس، أخبرنا محمد بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاةً مكتوبة أو سبحة فليقرأ بأُمّ القرآن»[٢].

قال: قلت: يا رسول الله، إني ربما أكون وراء الإمام.

قال ﷺ: «اقرأ إذا سكت إنما جعل الإمام ليؤتمّ به» [٥٨][٣].

قد رواه الثقات الأثبات عن أبي هريرة مثل الأعرج وهمام بن منبّه وقيس بن أبي حازم وأبي صالح وسعيد المقبري والقاسم بن محمد وأبي سلمة، ولم يذكروا: (وإذا قرأ فأنصتوا).

وأمّا احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**﴾[٤]، فسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

آخر السورة، وبالله التوفيق.

---

(١) مسند أحمد: ٤ / ١٠، سنن الدارمي: ١ / ٣٦٣، بتفاوت.

(٢) المصنّف لعبدالرزّاق: ٢ / ١٣٣، وكنز العمّال: ٧ / ٤٤٢، ح ١٩٦٨٨.

(٣) مسند أحمد: ٢ / ٣١٤، وسنن الدارمي: ١ / ٢٨٧، وصحيح البخاري: ١ / ١٠٠.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠٤.

سورة البقرة

مدنية: وهي مائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي وهي سند أمير المؤمنين علي عليه السلام وهي خمسة وعشرون ألف [حرف] وخمسمائة حرف، وستّة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة

أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا يعقوب ابن سفيان الصغير، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدثنا هشام بن عمّار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن زرين عن عطاء الخراساني، عن عكرمة، قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة.

*** فضلها:**

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها، أخبرنا دعلج بن أحمد الشجري ببغداد، حدثنا محمد بن أحمد بن هارون، حدثنا خندف عن علي، حدثنا حسّان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن شعيب المزني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكل شيء سناماً، وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخل في بيته شيطان ثلاثة أيام»[1] [٥٩].

وأخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد المرتّب بقراءتي عليه، حدثنا أبو عمرو بن مطرف، حدثنا أبو عبد الله محمد بن المسيب، حدثنا عبد الله بن الحسين، حدثنا يوسف بن الأسباط، حدثنا حسن بن المهاجر عن عبد الله بن يزيد عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»[2] [٦٠].

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسن المقري، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن علي الحافظ، أخبرنا محمد بن يحيى بن مندة، حدثنا أبو مصعب، حدثنا عمران بن طلحة الليثي عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: بعث النبي ﷺ بعثاً ثم تتبعهم يستقرئهم، فجاء إنسان منهم

---

(١) كنز العمّال: ١ / ٥٦٥، ح ٢٥٤٩.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ٣٥٢.

فقال: «ماذا معك من القرآن؟» حتى أتى على آخرهم، وهو أحدثهم سنّاً، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «اخرجوا وهذا عليكم أمين»، قالوا: يا رسول الله هو أحدثنا سنّاً، قال: «معه سورة البقرة»[1] [٦١].

التفسير:

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿ألم﴾: اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور، فذهب كثير منهم إلى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل إلى الله تأويلها.

قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): في كل كتاب سر، وسر القرآن أوائل السور.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إنّ لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي.

وفسّره الآخرون، فقال سعيد بن جبير: هي أسماء الله مقطّعة، لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنّك تقول: ﴿الر﴾[2] وتقول: ﴿حم﴾[3] وتقول: ﴿ن﴾[4] فيكون الرحمن، وكذلك سائرها على هذا الوجه، إلاّ أنّا لا نقدر على وصلها والجمع بينها.

وقال قتادة: هي أسماء القرآن.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي أسماء للسور المفتتحة بها.

وقال ابن عباس: هي أقسام أقسم الله بها، وروي أنّه ثناء أثنى الله به على نفسه.

وقال أبو العالية: ليس منها حرف إلاّ وهو[5] مفتاح لإسم من أسماء الله عز وجل، وليس منها حرف إلاّ وهو في الآية وبلائه[6]، وليس منها حرف إلاّ في مدّة قوم وآجال آخرين.

---

(١) سنن الترمذي: ٤ / ٢٣٤، بتفاوت. (٢) سورة الحِجر: ١.
(٣) سورة الدُخَان: ١.
(٤) سورة القلم: ١.
(٥) في المخطوط: وهي.
(٦) هكذا في المخطوط.

وقال عبد العزيز بن يحيى: معنى هذه الحروف أنّ الله ذكرها، فقال: اسمعوها مقطعة، حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك، وكذلك تعلم الصبيان أولا مقطعة، وكان الله أسمعهم مقطعة مفردة، ليعرفوها إذا وردت عليهم، ثم أسمعهم مؤلّفة.

وقال أبو روق: إنّها تكتب للكفار، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلّها، وكان المشركون يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون.

فربما صفّقوا وربما صفّروا وربما لفظوا ليغلّطوا النبي ﷺ، فلمّا رأى رسول الله ذلك أسرَّ في الظهر والعصر وجهر في سائرها، وكانوا يضايقونه ويؤذونه، فأنزل الله تعالى هذه الحروف المقطعة، فلمّا سمعوها بقوا متحيرين متفكّرين، فاشتغلوا بذلك عن إيذائه وتغليطه، فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم.

وقال الأخفش: إنّما أقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها، ولأنّها مباني كتبه المنزلة بالألسن المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأصول كلام الأُمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحّدونه، وكأنّه أقسم بهذه الحروف إنّ القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه.

وقال النقيب: هي النبهة والاستئناف ليعلم أنّ الكلام الأول قد انقطع، كقولك: ولا إنّ زيداً ذهب.

وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها أنّها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد ﷺ؛ وذلك أنّ كل حرف من هذه الحروف الثمانية والعشرين.

والعرب تعبّر ببعض الشيء عن كلّه كقوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون**﴾[1] أي صلّوا لا يصلّون، وقوله: ﴿**واسجد واقترب**﴾[2] فعبر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها، وقال: ﴿**ذلك بما قدّمت أيديكم**﴾[3] أراد جميع أبدانكم.

وقال: ﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾ أي الأنف فعبّر باليد عن الجسد، وبالأنف عن الوجه.

وقال الشاعر في امرأته:

لما رأيت امرها في خطي ... وفنكت في كذب ولط
أخذت منها بقرون شمط ... فلم يزل ضربي بها ومعطي[4]

---

(١) سورة المرسلات: ٤٨.
(٢) سورة العلق: ١٩.
(٣) سورة آل عمران: ١٨٢.
(٤) تفسير الطبري: ١ / ١٣٢ ، ولسان العرب: ١٠ / ٤٨٠.

فعبّر بلفظة «خطي» عن جملة حروف أبجد.

ويقول القائل: (أ ب ت ث) وهو لا يريد هذه الأربعة الأحرف دون غيرها، بل يريد جميعها وقرأت الحمد لله، وهو يريد جميع السورة، ونحوها كثير، وكذلك عبّر الله بهذه الحروف عن جملة حروف التهجّي، والإشارة فيه أنّ الله تعالى نبّه العرب وتحدّاهم، فقال: إنّي قد نزّلت هذا الكتاب من جملة الثمانية والعشرين التي هي لغتكم ولسانكم، وعليها مباني كلامكم، فإن كان محمد هو النبي يقوله من تلقاء نفسه، فأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فلمّا عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنّه معجزة.

هذا قول المبرّد وجماعة من أهل المعاني، فإن قيل: فهل يكون حرفاً واحداً عوداً للمعنى؟ وهل تجدون في كلام العرب أنْ يقال: الم زيد قائم؟ وحم عمرو ذاهب؟ قلنا: نعم، هذا عادة العرب يشيرون بلفظ واحد إلى جميع الحروف ويعبّرون به عنه.

قال الراجز:

قلت لها قفي فقالت قاف ... لا تحسبي أنّا نسينا الإيجاف[1]

أي قف أنت.

وأنشد سيبويه لغيلان:

نادوهم ألا الجموا ألا تا ... قالوا جميعاً كلّهم ألا فا[2]

أي لا تركبون فقالوا: ألا فاركبوا.

وأنشد قطرب في جارية:

قد وعدتني أم عمرو أن تا ... تدهن رأسي وتفليني تا

أراد أن تأتي وتمسح[3]

وأنشد الزجّاج:

بالخير خيرات وإن شرّاً فا ... ولا أريد الشرّ إلاّ أن تا[4]

أراد بقوله (فا): وإن شراً فشر له، وبقوله: تا إلا أن تشاء.

قال الأخفش: هذه الحروف ساكنة لأنّ حروف الهجاء لا تعرب، بل توقف على كلّ حرف على نيّة السكت، ولابدّ أن تفصل بالعدد في قولهم واحد ـ اثنان ـ ثلاثة ـ أربعة.

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٤ / ٢٦٤، والبيت الأوّل موجود في تفسير القرطبي: ١ / ١٥٥.

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ١٥٦.

(٣) لسان العرب: ١ / ١٦٤ وفيه: تفليني وا.

(٤) لسان العرب: ١٥ / ٢٨٨.

قال أبو النجم:

أقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف[١]

تكتبان في الطريق لام الألف

فإذا أدخلت حرفاً من حروف العطف حركتها.

وأنشد أبو عبيدة:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياء هاج بينهم جدال[٢]

وهذه الحروف تُذكّر على اللفظ وتؤنّث على توهم الكلمة.

قال كعب الأحبار: خلق الله العلم من نور أخضر، ثم أنطقه ثمانية وعشرين حرفاً من أصل الكلام، وهيّأها بالصوت الذي سمع وينطق به، فنطق بها العلم فكان أوّل ذلك كلّه [. . . . .][٣] فنظرت إلى بعضها فتصاغرت وتواضعت لربّها تعالى، وتمايلت هيبة له، فسجدت فصارت همزة، فلمّا رأى الله تعالى تواضعها مدّها وطوّلها وفضّلها، فصارت ألفاً، فتلفظه بها، ثم جعل القلم ينطق حرفاً حرفاً[٤] إلى ثمانية وعشرين حرفاً، فجعلها مدار الكلام والكتب والأصوات واللغات والعبادات كلّها إلى يوم القيامة، وجميعها كلّها في أبجد.

وجعل الألف لتواضعها مفتاح أول أسمائه، ومقدّماً على الحروف كلّها، فأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿**ألم**﴾ فقد اختلف العلماء في تفسيرها.

عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿**ألم**﴾ قال: أنا الله أعلم.

أبو روق عن الضحاك في قوله ﴿**ألم**﴾: أنا الله أعلم.

مجاهد وقتادة: ﴿**ألم**﴾ اسم من أسماء القرآن.

الربيع بن أنس: (ألف) مفتاح اسم الله، و(لام) مفتاح اسمه لطيف، و(ميم) مفتاح اسمه مجيد.

خالد عن عكرمة قال: ﴿**ألم**﴾ قسم.

محمد بن كعب: (الألف) آلاء الله، و(اللام) لطفه، و(الميم) ملكه.

---

(١) لسان العرب: ٦٩٨.

(٢) شرح الرضي على الكافية: ١ / ٦٨.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) في الأصل: حرف حرف.

وفي بعض الروايات عن ابن عباس: (الألف) الله، و(اللام) جبرئيل، أقسم الله بهم إنّ هذا الكتاب لا ريب فيه، ويحتمل أن يكون معناه على هذا التأويل: أنزل الله هذا الكتاب على لسان جبريل إلى محمد ﷺ.

وقال أهل الإشارة: (ألف): أنا، (لام): لي، (ميم): منّي.

وعن علي بن موسى الرضا عن جعفر الصادق، وقد سئل عن قوله: ﴿الٓمٓ﴾ فقال: في الألف ست صفات من صفات الله: الابتداء؛ لأنّ الله تعالى ابتدأ جميع الخلق، و(الألف). إبتداء الحروف، والاستواء: فهو عادل غير جائر، و(الألف) مستو في ذاته، والانفراد: والله فرد والألف فرد، وإتصال الخلق بالله، والله لا يتصل بالخلق، فهم يحتاجون إليه وله غنيّ عنهم.

وكذلك الألف لا يتصل بحرف، فالحروف متصلة: وهو منقطع عن غيره، والله باينَ بجميع صفاته من خلقه، ومعناه من الإلفة، فكما أنّ الله سبب إلفة الخلق، فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب إلفتها.

وقالت الحكماء: عجز عقول الخلق في ابتداء خطابه، وهو محل الفهم، ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلاّ بعلمهم، فالعجز عن معرفة الله حقيقة خطابه.

وأما محل ﴿الٓمٓ﴾ من الإعراب فرفع بالابتداء وخبره فيما بعده.

وقيل: ﴿الٓمٓ﴾ ابتداء، و ﴿ذلك﴾ ابتداء آخر و ﴿الكتاب﴾ خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول.

﴿ذلك﴾: قرأت العامة ﴿ذلك﴾ بفتح الذال، وكذلك هذه وهاتان، وأجاز أبو عمرو الإمالة في هذه، (ذ) للاسم، واللام عماد، والكاف خطاب، وهو إشارة إلى الغائب.

و ﴿الكتاب﴾: بمعنى المكتوب كالحساب والعماد.

قال الشاعر:

بشرت عيالي إذ رأيت صحيفةً أتتك من الحجج تتلى كتابها[1]

أو مكتوبها، فوضع المصدر موضع الاسم، كما يقال للمخلوق خلق، وللمصور تصوير، وقال: دراهم من ضرب الأمير، أي هي مضروبة، وأصله من الكتب، وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض، مأخوذ من قولهم: كتب الخرز، إذا خرزته قسمين، ويقال للخرز كتبة وجمعها كتب.

قال ذو المرّجة:

---

(١) جامع البيان للطبري: ٣ / ٣٤١.

وفـراء غـرفـيـة أثـاي خـوارزهـا مـشـلـشـل ضـيـعـتـه فـبـيـنـهـا الـكـتـب[١]

ويقال: كتبت البغل، إذا حرمت من سفرتها الخلقة، ومنه قيل للجند كتيبة، وجمعها كتائب.

قال الشاعر:

وكـتـيـبـة جـاءوا تـرفـل فـي الـحـديـد لـهـا ذخـرٌ

واختلفوا في هذا ﴿**الكتاب**﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل: هو القرآن، وعلى هذا القول يكون (ذلك) بمعنى (هذا) كقول الله تعالى: ﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم**﴾[٢] أي هذه.

وقال خفاف بن ندبه السلمي:

إن تـك خـيـلـي قـد أُصـيـب صـمـيـمـهـا فـعـمـداً عـلـى عـيـن تـيـمـمـت مـالـكـا[٣]

أقـول لـه الـرمـح يـأطـر مـتـنـه تـأمـل خـفـافـاً إنـنـي أنـا ذالـكـا[٤]

يريد [هذا].

وروى أبو الضحى عن ابن عباس قال: معناه ذلك الكتاب الذي أخبرتك أن أوجّه إليك.

وقال عطاء بن السائب: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ الذي وعدتكم يوم الميثاق.

وقال يمان بن رئاب: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ الذي ذكرته في التوراة والإنجيل.

وقال سعيد بن جبير: هو اللوح المحفوظ.

عكرمة: هو التوراة والإنجيل والكتب المتقدمّة.

وقال الفراء: إنّ الله تعالى وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يَخْلَق على كثرة الردّ، فلمّا أنزل القرآن قال: هو الكتاب الذي وعدتك.

وقال ابن كيسان: تأويله أنّ الله تعالى أنزل قبل البقرة بضع عشرة سورة[٥] كذّب بكلهّا المشركون ثم أنزل سورة البقرة بعدها فقال: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ يعني ما تقدم البقرة من القرآن.

وقيل: ذلك الكتاب الذي كذب به مالك بن الصيف اليهودي.

---

(١) الصحاح: ١ / ٢٠٨.
(٢) سورة الأنعام: ٨٣.
(٣) لسان العرب: ٣ / ٣٠٢.
(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٣.
(٥) في المخطوط: سورا.

﴿لا ريب فيه﴾: لا شكّ فيه، إنّه من عند الله.

قال: **﴿هدىً﴾**: أي هو هدىً، وتم الكلام عند قوله فيه، وقيل: «هو» نصب على الحال، أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته للمتقين.

قال أهل المعاني: ظاهره نفي وباطنه نهي، أي لا ترتابوا فيه، كقوله تعالى: **﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال﴾**(١): أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الهدى، والبيان وما يهتدي به ويستبين به الإنسان.

فصل في التقوى

﴿هدىً للمتقين﴾: اعلم أنّ التقوى أصله وقى(٢) من وقيت، فجعلت الواو تاء، كالتكلان فأصله وكلان من وكلت، والتخمة أصلها وخمة من وخم معدته إذا لم يستمرئ.

واختلف العلماء في معنى التقوى وحقيقة المتقي، فقال رسول الله ﷺ: «جماع التقوى في قول الله تعالى: **﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان...﴾**(٣) الآية»(٤) [٦٢].

قال ابن عباس: المتقي الذي يتقي الشرك والكبائر والفواحش.

وقال ابن عمر: التقوى أن لا يرى [نفسه] خيراً من أحد.

وقال الحسن: المتقي الذي يقول لكل من رآه هذا خيرٌ مني.

وقال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار: حدِّثني عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، وقال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وتشمّرت، فقال كعب: ذلك التقوى، ونظمه ابن المعتز فقال:

خلّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحتقرنّ صغيرة إنّ الجبال من الحصا(٥)

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس التقوى قيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرّم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير على خير.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٧.
(٢) في المخطوط: وقوي.
(٣) سورة النحل: ٩٠.
(٤) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٢.
(٥) تفسير القرطبي: ١ / ١٦٢.

وقيل لطلق بن حبيب: أجمل لنا التقوى؟ فقال: التقوى عمل يطلبه الله على نور من الله رجاء ثواب الله، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله.

وقال بكر بن عبد الله: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون يتقي الطمع، ويتقي الغضب.

وقال عمر بن عبد العزيز: المتقي لمحرم لا تحرم، يعني في الحرم.

وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك مالا يأتمن به حذراً لما به بأس.

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: إنّما سمي المتقون؟ لتركهم ما لا بأس به حذراً للوقوع فيما به بأس(١).

وقال سفيان الثوري والفضيل: هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه.

وقال الجنيد بن محمد: ليس المتقي الذي يحب الناس ما يحب لنفسه، إنّما المتقي الذي يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه، أتدرون ما وقع لأستاذي سري بن المفلّس؟ سلّم عليه ذات يوم صديق له فردّ عليه، وهو عابس لم يبشَّ له، فقلت له في ذلك فقال: بلغني أنّ المرء المسلم إذا سلّم على أخيه وردّ عليه أخوه قسمت بينهما مائة رحمة، فتسعون لأجلهما، وعشرة للآخر فأحببت أنْ يكون له التسعون.

محمد بن علي الترمذي: هو الذي لا خصم له.

السري بن المفلّس: هو الذي يبغض نفسه.

الشبلي: هو الذي يبغي ما دون الله.

قال جعفر الصادق: أصدق كلمة قالت العرب قول لبيد:

ألا كـلّ شـيء مـا خـلا الـلـه بـاطـل(٢)

الثوري: هو الذي اتّقى الدنيا وأقلها.

محمد بن يوسف المقري: مجانبة كل ما يبعدك عن الله.

القاسم بن القاسم: المحافظة على آداب الشريعة.

وقال أبو زيد: هو التورّع عن جميع الشبهات.

وقال أيضاً: المتقي من إذا قال قال لله، وإذا سكت سكت لله، وإذا ذكر ذكر لله تعالى.

الفضيل: يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوّه كما يأمنه صديقه.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٣.

(٢) لسان العرب: ٥ / ٣٥١.

وقال سهل: المتقي من تبرّأ من حوله وقوّته.

وقال: التقوى أنْ لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك.

وقيل: هو الاقتداء بالنبي ﷺ.

وقيل: هو أن تتقي بقلبك عن الغفلات، وبنفسك من الشهوات، وبحلقك من اللذات، وبجوارحك من السيئات، فحينئذ يرجى لك الوصول لما ملك الأرض والسموات.

أبو القاسم (حكيم): هو حسن الخلق.

وقال بعضهم: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: بحسن التوكّل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما فات.

وقيل: المتقي من اتّقى متابعة هواه.

وقال مالك: حدثنا وهب بن كيسان أنّ بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير أنّ لأهل التقى علامات يعرفون بها: الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند النعمة، والتذلل لأحكام القرآن.

وقال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشدّ محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر.

وقال أبو تراب: بين يدي التقوى عقبات، من لا يجاوزها لا ينالها، اختيار الشدة على النعمة، واختيار القول على الفضول، واختيار الذلّ على العزّ، واختيار الجهد على الراحة، واختيار الموت على الحياة.

وقال بعض الحكماء: لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلاّ إذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق، فيطاف به في السوق لم يستحي من شيء عليها.

وقيل: التقوى أن تزيّن سرّك للحقّ، كما تزيّن علانيتك للخلق.

وقال أبو الدرداء:

يريد المرء أنْ يعطى مناه	ويأبى الله إلاّ ما أرادا
يقول[1] المرء فائدتي وذخري	وتقوى الله أفضل ما استفادا[2]

(١) في المخطوط: ويقول.

(٢) الدرّ المنثور: ١ / ٢٥.

فصل في الإيمان

﴿**الذين يؤمنون بالغيب**﴾ اعلم أنّ حقيقة الإيمان هي التصديق بالقلب، لأن الخطاب الذي توجّه عليها بلفظ آمنوا إنّما هو بلسان العرب، ولم يكن العرب يعرفون[١] الإيمان غير التصديق، والنقل في اللغة لم يثبت فيه، إذ لو صح النقل عن اللغة لروي عن ذلك، كما روي في الصلاة التي أصلها الدعاء.

إذا كان الأمر كذلك وجب علينا أن نمتثل الأمر على ما يقتضيه لسانهم، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام وبنيه ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾[٢]: أي بمصدق لنا ولو كنّا صادقين، ويدل عليه من هذه الآية أنّه لما ذكر الإيمان علّقه بالغيب، ليعلم أنّه تصديق الخبر فيما أخبر به من الغيب، ثم أفرده بالذكر عن سائر الطاعات اللازمة للأبدان وفي الأموال فقال: ﴿**ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ والدليل عليه أيضاً أنّ الله تعالى حيث ما ذكر الإيمان [نسبه][٣] إلى القلب فقال: ﴿**من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**﴾[٤]، وقال: ﴿**وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾[٥]، وقال: ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**﴾[٦]، ونحوها كثير.

فأما محل الإسلام من الإيمان فهو كمحل الشمس من الضوء: كل شمس ضوء، وليس كل ضوء شمساً[٧]، وكل مسك طيب، وليس كل طيب مسكاً، كذلك كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً، إذا لم يكن تصديقاً؛ لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع، يدل عليه قوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾[٨] من خوف السيف، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الإيمان سراً»[٩] [٦٣] وأشار إلى صدره «والإسلام علانية»[١٠] [٦٤]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه»[١١] [٦٥].

وكذلك اختلف جوابه لجبرائيل في الإسلام والإيمان، فأجاب في الإيمان بالتصديق، وفي الإسلام بشرائع الإيمان، وهو ما روى أبو بريده، وهو يحيى بن معمر قال: أول من قال في القدر بالبصرة سعيد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألناه عما يقول هو: ما في القدر؟ فوافقنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن

---

(١) في المخطوط: يعرف.
(٢) سورة يوسف: ١٧.
(٣) زيادة اقتضاها السياق.
(٤) سورة المائدة: ٤١.
(٥) سورة النحل: ١٠٦.
(٦) سورة المجادلة: ٢٢.
(٧) في المخطوط: شمس.
(٨) سورة الحجرات: ١٤.
(٩) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦.
(١٠) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦.
(١١) كنز العمّال: ٣ / ٥٨٥، ح ٨٠٢١.

شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام لي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنّه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويفتقرون [إلى][(١)] العلم وذكر من لسانهم أنّهم يزعمون أن لا قدر، وأنّ الأمر أنفٌ، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنّهم برءاء مني، والذي يحلف به عبدالله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحد ذَهَباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: أخبرنا أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بيّاض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه ! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن إماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة شاهقون في البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبث علينا ثم قال: يا عمر من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنّه جبرائيل عليه السلام أتاكم ليعلمكم دينكم»[(٢)].

ثم يسمى اقرار اللسان وأعمال الأبدان إيماناً بوجه من المناسبة وضرب من المقاربة؛ لأنها من شرائعه وتوابعه وعلاماته وإماراته كما نقول: رأيت الفرح في وجه فلان، ورأيت علم زيد في تصنيفه؛ وإنّما الفرج والعلم في القلب، وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأعلاها شهادة[(٣)] أن لا إله إلاّ الله» [٦٦][(٤)].

وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» [٦٧][(٥)].

الحسن بن علي قال: حدثني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعمل بالأركان» [٦٨][(٦)].

---

(١) زيادة اقتضاها السياق.
(٢) صحيح مسلم: ١ / ٢٨ ـ ٢٩ بطوله.
(٣) في المصدر: وارفعها قول.
(٤) مسند أحمد: ٢ / ٤٤٥، وكنز العمّال: ١ / ٣٦.
(٥) صحيح مسلم: ١ / ٤٦.
(٦) المعجم الأوسط: ٦ / ٢٢٦.

وعن علي بن الحسين زين العابدين قال: حدثنا أبي سيد شباب أهل الجنة قال: حدثنا أبي سيد الأوصياء قال: حدثنا محمّد سيد الأنبياء قال: «الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول» [٧٢][١].

وامّا الغيب فهو ما كان مغيّباً عن العيون محصّلاً في القلوب وهو مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب، كما قيل للصائم: صوم، وللزائر: زَور، وللعادل: عدل.

الربيع بن أبي العالية **﴿يؤمنون بالغيب﴾** قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كلّه.

عمر بن الأسود عن عطاء بن أبي رباح: **﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾** قال: بالله، من آمن بالله فقد آمن بالغيب[٢].

سفيان عن عاصم بن أبي النجود في قوله **﴿يؤمنون بالغيب﴾** قال: الغيب: القرآن. وقال الكلبي: بما نزل من القرآن وبما لم يجىء بعد.

الضحاك: الغيب لا إله إلاّ الله وما جاء به محمّد ﷺ، وقال زرّ بن حبيش وابن جريج وابن واقد: يعني بالوحي، نظيره قوله تعالى: **﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾**[٣] وقوله: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾**[٤] وقوله: **﴿وما هو على الغيب بضنين﴾**[٥].

الحسن: يعني بالآخرة. عبد الله بن هاني: هو ما غاب عنهم من علوم القرآن.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انه قال: كنت مع النبي ﷺ جالساً فقال: «أتدرون أي أهل الأيمان أفضل؟» قالوا: يا رسول الله الملائكة، قال: «هم كذلك وحقّ لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلهم الله تعالى بالمنزلة التي أنزلهم، بل غيرهم».

قلنا: يا رسول الله الأنبياء؟ قال: «هم كذلك وحقّ لهم ذلك وما يمنعهم، بل غيرهم»، قلنا: يا رسول الله فمن هم؟ قال: «أقوام يأتون من بعدي هم في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يرونني، يجدون الورق المعلّق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً» [٧٣][٦].

وروى حسن إن الحرث بن قيس عن عبدالله بن مسعود: عند الله يحتسب ما سبقتمونا إليه يا أصحاب محمد من رؤية رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن مسعود: نحن عند الله نحتسب إيمانكم بمحمد ﷺ ولم تروه، ثم قال عبدالله: إنّ أمر محمد كان بيّناً لمن رآه والذي لا اله الاّ

---

(١) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٣.

(٣) سورة النجم: ٣٥.

(٤) سورة الجن: ٢٦.

(٥) سورة التكوير: ٢٤.

(٦) مسند أبي يعلى: ١ / ١٤٧.

هو ما آمن مؤمن أفضل من إيمان الغيب، ثمّ قرأ: ﴿**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة**﴾ أي يديمونها ويأتمونها ويحافظون عليها بمواقيتها وركوعها وسجودها وحقوقها وحدودها، وكل من واظب على شيء وقام به فهو مقيم له يقال أقام فلان الحجّ بالناس، وأقام القوم [سوقهم][١] ولم يعطلوها قال الشاعر:

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلّى عصاك [كمستديم][٢]

أي أراد بالصلاة هاهنا الصلوات الخمس، فذكرها بلفظ الواحد، كقوله: ﴿**فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب**﴾[٣] أراد الكتب، وأصل الصلاة في اللغة: الدّعاء، ثمّ ضمّت إليها [عبادة] سُميت مجموعها صلاة لأن الغالب على هذه العبادة الدّعاء.

وقال أبو حاتم الخارزمي: اشتقاقها من الصِّلا وهو النار، فأصله من الرفق وحُسن المعاناة للشيء؛ وذلك إنّ الخشبة المعْوّجة إذا أرادوا تقويمها [سحنوها بالنار] قوموها [بين خشبتين] فلذلك المصلّي ينبغي أن يتأنى في صلاته ويحفظ حدودها ظاهراً وباطناً ولا يعجّل فيها ولا يخفّ [ولا يعرف] قال الشاعر:

فلا تعجّل بأمرك واستدمه فما صلّى عصاك كمستديم

أي ما قوّم أمرك كالمباني.

﴿**ومما رزقناهم**﴾ أعطيناهم، والرزق عند أهل السنّة: ما صحّ الإنتفاع به، فإن كان طعاماً فليتغذّى به، وان كان لباساً فلينقى والتوقي، وإن كان مسكناً فللانتفاع به سكنى، وقد ينتفع المنتفع بما هيّئ الانتفاع به على الوجهين: حلالا وحراماً، فلذلك قُلنا إنّ الله رزق الحلال والحرام، [وأصل الرزق] في اللغة: هو الحظ والبخت.

﴿**ينفقون**﴾ يتصدقون، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد أو عن الملك. يُقال: نفق المبيع إذا كثر مشتروه وأسرع خروجه، ونفقت الدآبة إذا خرجت روحها، ونافقاء اليربوع من ذلك لأنه إذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق وأنفق إن خرج منه[٤]، والنفق: سُرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر يخرج إليه.

﴿**والذين يؤمنون**﴾: أي يصدّقون ﴿**بما أُنزل إليك**﴾: يا محمد يعني القرآن ﴿**وما أُنزل من قبلك**﴾: يعني الكتب المتقدمة مثل صحف إبراهيم وموسى والزّبور والأنجيل وغيرها.

---

(١) زيادة عن تفسير الطبري: ١ / ١٥٢ والمخطوط ممسوح.
(٢) تاج العروس: ٨ / ٢٩٥.
(٣) سورة البقرة: ٢١٣.
(٤) راجع كتاب العين: ٥ / ١٧٨.

﴿وبالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة، وسميّت آخرة لأنّها تكون بعد الدُّنيا ولأنّها أُخّرت حتى تفنى الدنيا ثم تكون.

﴿هم يُوقنون﴾ يعلمون ويتيقّنون أنها كائنة، ودخل (هم) تأكيداً، يُسمّيه الكوفيون عماداً والبصريون فصلا.

﴿أولئك﴾ أهل هذه الصفة، وأولاء: أسم مبني على الكسر، ولا واحد لهُ من لفظه، والكاف خطاب، ومحل أولئك رفع بالابتداء وخبره في قوله: **﴿على هدىً﴾** رشد وبيان وصواب. **﴿من ربِّهم وأولئك﴾** ابتدائان و**﴿هم﴾** عماد **﴿المفلحون﴾** خبر الابتداء وهم الناجون الفائزون فازوا بالجنّة ونجوا من النار، وقيل: هم الباقون في الثواب والنعيم المقيم.

وأصل الفلاح في اللغة: البقاء. قال لبيد:

نحلُّ بلادا كلها حل قبلنا ونرجو فلاحاً بعد عاد وحمير[1]

وقال آخر:

لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

أبو براء يدرة المسياح[2]

وقال مجاهد: أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدهما نزلت في الكافرين، وثلاث عشرة آيةً بعدها نزلت في المنافقين.

﴿إنّ الذين كفروا﴾: يعني مشركي العرب، وقال الضحّاك: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته. وقال الكلبي: يعني اليهود، وقيل: المنافقون.

والكفر: هو الجحود والإنكار.

وأصله من الكفر وهو التغطية والسّتر، ومنه قيل للحراث: كافر؛ لأنّه [يستر البذر]، قال الله تعالى: **﴿أعجب الكفار نباته﴾**[3]: يعني الزرّاع، وقيل للبحر: كافر، ولليل: كافر. قال لبيد:

حتى إذا ألقت يداً في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها[4]

في ليلة كفر النجوم غمامها[5]

---

(١) تفسير الطبري: ١ / ١٨٢.

(٢) تاج العروس: ٢ / ١٤٦؛ لسان العرب: ٢ / ٤٥٤ وفيه: (أبا براء مدرة السياح)، والمسياح: من يسيح بالنميمة والشر في الأرض.

(٣) سورة الحديد: ٢٠.

(٤) لسان العرب: ٥ / ١٤٧.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٢.

ومنه: المتكفّر بالسلاح، وهو الشاكي الذي غطّى السلاح جميع بدنه.

فيسمى الكافر كافراً لأنه ساترللحق ولتوحيد الله ونعمه ولنبوّة أنبيائه.

﴿سواءٌ عليهم﴾: أي واحد عليهم ومتساوي لديهم، وهو اسم مشتق من التساوي.

﴿أأنذرتهم﴾: أخوّفتهم وحذّرتهم.

قال أهل المعاني: الإنذار والإعلام مع تحذير، يُقال: أنذرتهم فنذروا، أي أعلمتهم فعلموا، وفي المثل: وقد أُعذر من أنذر، وفي قوله: ﴿أأنذرتهم﴾ وأخواتها أربع قراءات: تحقيق الهمزتين وهي لغة تميم وقراءة أهل الكوفة؛ لأنها ألف الإستفهام دخلت على ألف القطع وحذف الهمزة التي وصلت بفاء الفعل وتعويض مده منها كراهة الجمع بين الهمزتين وهي لغة أهل الحجاز، وادخال ألف بين الهمزتين وهي قراءة أهل الشام في رواية هشام وإحدى الروايتين عن أبي عمرو.

قال الشاعر:

تطاولت فاستشرقت قرابته فقلن له: أأنت زيد لا بل قمر[١]

والأخبار اكتفاء بجواب الإستفهام، وهي قراءة الزهري.

﴿أم﴾: حرف عطف على الإستفهام.

﴿لمْ﴾: حرف جزم لا يلي إلاّ الفصل؛ لأنّ الجزم مختص بالأفعال.

﴿تنذرهم﴾: تحذرهم ﴿لا يؤمنون﴾ وهذه الآية خاصّة فيمن حقّت عليه كلمة العذاب في سابق علم الله، وظاهرها إنشاء ومعناها إخبار، ثمّ ذكر سبب تركهم للإيمان فقال:

﴿ختم الله﴾: أي طبع ﴿على قلوبهم﴾ والختم والطبع بمعنى واحد وهما التغطية للشيء [والاستيثاق][٢] من أن يدخله شيء آخر.

فمعنى الآية: طبع الله على قلوبهم وأغلقها وأقفلها فليست تعي خبراً ولا تفهمه. يدل عليه قوله: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾[٣].

وقال بعضهم: معنى الطبع والختم: حكم الله عليهم بالكفر والشقاوة كما يُقال للرجل: ختمت عليك أن لا تفلح أبداً.

﴿وعلى سمعهم﴾: فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وإنما وحّده لأنه مصدر، والمصادر

(١) كذا في المخطوط، ولم نجده.

(٢) المخطوط غير مقروء وما أثبتناه من تفسير القرطبي: ١ / ١٨٦.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

لا تُثنّى ولا تجمع، وقيل: أراد سمع كل واحد منهم كما يُقال: آتني برأس كبشين، أراد برأس كل واحد منهما، قال الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص[(١)]

وقال سيبويه: توحيد السمع يدل على الجمع لأنه لا توحيد جمعين كقوله تعالى: ﴿**يخرجهم من الظلمات الى النور**﴾[(٢)] يعني الأنوار.

قال الراعي:

بها جيف الحسري فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب[(٣)]

وقرأ ابن عبلة: وعلى أسماعهم، وتم الكلام عند قوله ﴿**وعلى سمعهم**﴾.

ثم قال: ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾: أي غطاء وحجاب، فلا يرون الحق، ومنه غاشية السرج، وقرأ المفضل بن محمد الضبي: ﴿**غشاوة**﴾ بالنصب كأنّه أضمر له فعلا أو جملة على الختم: أي وختم على أبصارهم غشاوة. يدل عليه قوله تعالى: ﴿**وجعل على بصره غشاوة**﴾[(٤)].

وقرأ الحسن: ﴿**غشاوة**﴾ بضم الغين، وقرأ الخدري: ﴿**غشاوة**﴾ بفتح الغين، وقرأ أصحاب عبدالله: غشوة بفتح الغين من غير ألف.

﴿**ولهم عذاب عظيم**﴾: القتل والأسر في الدنيا، والعذاب الأليم في العقبى، والعذاب كلّ ما يعنّي الإنسان ويشقّ عليه، ومنه: عذّبه السواط ما فيها من وجود الألم، وقال الخليل: العذاب ما يمنع الانسان من مراده، ومنه: الماء العذب لأنه يمنع من العطش، ثم نزلت في المنافقين: عبدالله بن أُبي بن سلول الخزرجي، ومعتب بن بشر، وجدّ بن قيس وأصحابهم حين قالوا: تعالوا إلى خلة نسلم بها من محمد وأصحابه ونكون مع ذلك مستمسكين بديننا، فأجمعوا على أن يقرّوا كلمة الإيمان بألسنتهم واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود. فقال الله:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا

---

(١) زاد المسير: ١ / ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٣) قائله علقمة بن عبدة راجع ديوانه: ٢٧؛ وتفسير الطبري: ٤ / ٣٢٤.

(٤) سورة الجاثية: ٢٣.

إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

﴿ومن الناس من يقول آمنا﴾: صدّقنا بالله **﴿واليوم الآخر﴾**: أي يوم القيامة[١].

قال الله تعالى: **﴿وما هم بمؤمنين﴾** والناس: هم جماعة من الحيوان المتميّز بالصورة الإنسانية، وهو جمع إنسان، وإنسان في الأصل إنسيان بالياء، فأسقطوا الياء منه ونقلوا حركته إلى السين فصار إنساناً؛ الا ترى إنّك إذا صغرته رددت الياء إليه فقلت: أنيسيان، واختلف العلماء في تسميته بهذا الاسم: فقال ابن عباس: سمي إنساناً لأنه عُهِدَ إليه فنسي. قال الله تعالى **﴿وعهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾**[٢]، وقال الشاعر:

وسُـمّـيـتَ إنـسـانـاً لأنـك نـاسـي[٣]

وقال بعض أهل المعاني: سُمّي إنساناً لظهوره وقدس البصير أياه من قولك: آنست كذا: أي أبصرت. فقال الله تعالى **﴿آنس من جانب الطور نارا﴾**[٤] وقيل: لأنه استانس به، وقيل: لما خلق الله آدم آنسه بزوجته فسمّي إنساناً.

﴿يُخادعون الله﴾: أي يخالفون الله ويُكذّبونه، وأصل الخدع في اللغة: الإخفاء، ومنه قيل [للبيت الذي يُحيا فيه المتاع] مُخدع، والمخادع يظهر خلاف ما يُضمر، وقال بعضهم: أصل الخداع في لغة: الفساد، قال الشاعر:

أبـيـض الـلـون لـذيـذٌ طـعـمـه طـيّـب الـرّيـق إذا الـريـق خـدع[٥]

أي فسد.

فيكون معناه: ليفسدون بما أضمروا بأنفسهم وبما أضمروا في قلوبهم، وقيل معناه: يخادعون الله بزعمهم وفي ظنّهم، يعني إنهم اجترؤوا على الله حتى أنهم ظنّوا أنهم يخادعون، وهذا كقوله تعالى: **﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾**[٦] يعني بظنّك وعلى زعمك.

وقيل: معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع فيما بينهم. وقيل: معناه يخادعون رسوله،

---

(١) راجع تفسير الطبري: ١٠ / ٢٤٣؛ وأسباب النزول للواحدي: ١٧٤.
(٢) سورة طه: ١١٥.
(٣) جاء بنحو النثر لا الشعر في لسان العرب: ٦ / ١١.
(٤) سورة القصص: ٢٩.
(٥) لسان العرب: ٨ / ٦٥.
(٦) سورة طه: ٩٧.

كقوله: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم**﴾(١) أي أسخطونا، وقوله: ﴿**إنّ الذين يؤذون الله**﴾(٢) أي أولياء الله؛ لأن الله سبحانه لا يؤذى ولا يخادع، فبيّن الله تعالى أنّ من آذى نبياً من أنبيائه ووليّاً من أوليائه استحق العقوبة كما لو آذى رسوله وخادعه. يدل عليه الخبر المروي: إن الله تعالى يقول: من آذى وليّاً من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة(٣).

وقيل: إنّ ذكر الله سبحانه في قوله: ﴿**يخادعون الله**﴾ تحسين وتزيين لسامع الكلام، والمقصد بالمخادعة للذين آمنوا كقوله تعالى: ﴿**واعلموا إنّما غنمتم من شيء فإن لله خمسه للرسول**﴾(٤). ثم المخادعة على قدر المعاجلة وأكثر المفاضلة إنّما تجيء في الفعل المشترك بين اثنين، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة، وقد يكون أيضاً من واحد كقولك: طارقت النعل، وعاقبت اللصّ، وعافاك الله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين**﴾(٥) وقال: ﴿**قاتلهم الله**﴾(٦) والمخادعة ها هنا عبارة عن الفعل الذي يختص بالواحد في حين الله تعالى لا يكون منه الخداع.

﴿**والذين آمنوا**﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم: آمنا، وهم غير مؤمنين، وقال بعضهم: من خداعهم المؤمنين: هو أنّهم كانوا يجالسون المؤمنين ويخالطونهم حتى يأنس بهم المؤمنون ويعدّونهم من أنفسهم فيبثون إليهم أسرارهم فينقلونها إلى أعدائهم. قال الله تعالى:

﴿**وما يخدعون إلاّ أنفسهم**﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم كأنهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم؛ وذلك أنّ الله تعالى لمطلع نبيّه محمداً ﷺ على أسرارهم ونفاقهم، فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب الشديد في العقبى.

قال أهل الإشارة: إنما يخادع من لا يعرف البواطن، فأما من عرف البواطن فإنّ مَنْ خادعه فإنما يخدع نفسه.

واختلف القرّاء في قوله: ﴿**وما يخدعون**﴾ فقرأ شيبة ونافع وابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء: ﴿**يخادعون**﴾ بالألف جعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد، وقد ذكرنا خبره وتصديقها الحرف الأول، وقوله: ﴿**يخادعون الله**﴾ لم يختلفوا فيه إلاّ ما روي عن أبي حمزة الشامي إنه قرأ: (يخدعون الله) وقرأ الباقون ﴿**وما يخدعون**﴾ على أشهر اللغتين وأضبطهما واختاره أبو عبيد.

---

(١) سورة الزخرف: ٥٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ١ / ١٣٧.

(٤) سورة الأنفال: ٤١.

(٥) سورة الأعراف: ٢١.

(٦) سورة التوبة: ٣٠.

﴿وما يشعرون﴾[(١)] وما يعلمون إنها كذلك.

﴿في قلوبهم مرض﴾ شكّ ونفاق، ومنه يُقال: فلان يمرض في الوعد إذا لم يُصححّه، وأصل المرض: الضّعف والفتور. فسمّي الشك في الدّين والنفاق [مرض به] يضعف البدن وينقص قواه؛ ولأنه يؤدي إلى الهلاك بالعذاب، كما أن المرض في البدن يؤدي إلى الهلاك والموت.

﴿فزادهم الله مرضاً﴾ شكّاً ونفاقاً وهلاكاً.

﴿ولهم عذاب أليم﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم، وهو بمعنى مؤلم كقول عمرو بن معدي كرب:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرّقني وأصحابي هجوع[(٢)]

أي المسمع: يعني خيالها.

﴿بما كانوا يكذبون﴾: (ما) مصدرية، أي بتكذيبهم على الله ورسوله في السرّ.

وقرأ أهل الكوفة: بفتح الياء وتخفيف الذال، أي بكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

﴿وإذا﴾: حرف توقيت بمعنى حينئذ، وهي تؤذن بوقوع الفعل المنتظر وفيها معنى الجزاء، ﴿قيل﴾: فعل ماض مجهول، وكان في الأصل قول مثل قيل، فآستثقلت الكسرة على الواو فنقلت كسرتها إلى فاء الفعل فانقلبت الواو ياءاً لكسرة ما قبلها، هذه اللغة العالية وعليها العامة وهي اختيار أبي عبيد.

وقرأ الكسائي ويعقوب: قُيل، وغُيض، وحُيل، وسُيق، وجُيء، وشُيء وشُيت بإشمام الضمّة فيها لتكون دالة على الواو المنقلبة، وفاصلة بين الصّدر والمصدر.

﴿لهم﴾: يعني المنافقين، وقيل: اليهود. قال لهم المؤمنون: ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعصية وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد والقرآن، وقال الضحّاك: تبديل الملّة وتغيير السّنة وتحريف كتاب الله.

﴿قالوا إنّما نحن مصلحون﴾ ﴿ألا﴾: كلمة تنبيه ﴿إنّهم﴾: هم عماد وتأكيد ﴿المفسدون ولكن لا يشعرون﴾: ما أُعدّ لهم من العذاب.

﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: [قال][(٣)] المؤمنون لليهود: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ وهم عبدالله ابن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب.

---

(١) سورة البقرة: ٩.
(٢) لسان العرب: ٨ / ١٦٤.
(٣) زيادة لإتمام المعنى.

﴿**قالوا أنؤمن كما آمن السُّفهاء**﴾ الجهّال. قال الله: ﴿**ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**﴾ بأنهم كذلك، وقيل: لا يؤدون العلم حقّه، وقال المؤرّخ: السفيه: البهّات الكذّاب المتعمّد لخلاف ما يعلم.

قُطْرُب: السفيه: العجول الظلوم يعمل خلاف الحق.

واختلف القرّاء في قوله: ﴿**السُّفهاء ألا**﴾ فحقّق بعضهم الهمزتين، وهو مذهب أهل الكوفة ولغة تميم.

وأما أبو عمرو وأهل الحجاز فإنّهم همزوا الأولى وليّنوا الثانية؛ طلباً للخفّة، واختار الفرّاء حذف الأولى وهمز الثانية، واحتج بأن ما يستأنف ـ أي بالهمزة ـ مما يسكت عليه.

﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا**﴾.

قال جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن أُبيّ بن سلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهط سعد بن عبادة، وكان إذا لقى سعداً قال: نعم الدينُ دين محمد، وكان إذا رجع إلى رؤساء قومه. قالوا: هل نكفر؟ قال: سدّوا أيديكم بدين آبائكم. فأنزل الله هذه الآية.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أُبيّ محتجاً به، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: عبدالله بن أُبيّ لأصحابه: أنظروا كيف أدرأ هؤلاء السُّفهاء عنكم. فذهب وأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصّدّيق سيّد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ في الغار، والباذل نفسه وماله له. ثمَّ أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيّد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثمَّ أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فقال علي: كف لله واتق الله ولا تنافق، فإنّ المنافقين شر خليقة الله، فقال له عبدالله: مهلا أبا الحسن إليّ تقول هذا، والله إنّ إيماننا كإيمانكم وتصدّيقنا كتصديقكم ثمَّ افترقوا، فقال عبدالله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلتُ، فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأثنوا عليه خيراً، وقالوا: لانزال معك ما عشت، فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فأنزل الله ﴿**وإذا لقوا**﴾ أي رأوا، يعني المنافقين عبد الله بن أُبي وأصحابه، كان (لَقوا) في الأصل (لُقيوا) فإستثقلت الضمة على الياء فبسطت على القاف وسكنت الواو والياء ساكنة فحذفت لإجتماعهما.

وقرأ محمد بن السميقع: وإذا لاقوا وهما بمعنى واحد.

﴿**الذين آمنوا**﴾: يعني أبا بكر وأصحابه ﴿**قالوا آمنا**﴾ كأيمانكم. ﴿**وإذا خلوا**﴾ رجعوا، ويجوز أن تكون من الخلوة، تقول: خلوتُ به وخلوتُ إليه، وخلوتُ معهُ، كلها بمعنى واحد.

وقال النضر بن شميل: ﴿إلى﴾ ها هنا بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿**أُحل لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم**﴾[١]: أي مع نسائكم، وقوله: ﴿**لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾[٢] وقوله: (من أنصاري إلى الله﴾[٣] النابغة:

ولا تتركنّي بالوعيد كأنني إلى الناس مِطليٌّ به القار أجربُ[٤]

أي مع الناس.

وقال آخر:

ولوح ذراعين في بركة إلى جؤجؤ رهل المنكب[٥]

أي مع جؤجؤ.

﴿**إلى شياطينهم**﴾: أي رؤسائهم وكبرائهم وقادتهم وكهنتهم.

قال ابن عباس: هم خمسة نفر من اليهود، ولا يكون كاهن إلاّ ومعه شيطان تابع له: كعب ابن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبدالله في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبدالله بن السَّوداء بالشام.

والشيطان: المتمرد العاصي من الجن والإنس، ومن كل شيء، ومنه قيل: للحيّة النضناض[٦]: الشيطان، قال الله تعالى: ﴿**طلعها كأنه رؤوس الشياطين**﴾[٧] أي الحيات، وتقول العرب: إتّق تلك الدابة فإنّها شيطان.

وفي الحديث: «إذا مرَّ الرجل بين يدي أحدكم وهو يمتطي فليمنعه فإن أبى فليقاتله فإنّه شيطان».

وروي عن النبي ﷺ: إنّه نظر الى رجل يتبع حماماً طائراً فقال: «شيطان يتبع شيطاناً[٨]»[٩][٧٤].

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.
(٢) سورة النساء: ٢.
(٣) آل عمران: ٥٢.
(٤) لسان العرب: ١٥ / ٤٣٥.
(٥) لسان العرب: ٣ / ١٥٦.
(٦) النضناض من الحيّات: التي أخرجت لسانها تحركه، أو التي لا تستقر في مكان، أو التي إذا نهشت قتلت من ساعتها.
(٧) سورة الصافات: ٦٥.
(٨) وفي بعض المصادر: شيطانه.
(٩) مسند أحمد: ٢ / ٣٤٥؛ كنز العمال: ١٥ / ٢١٨.

أراد الراعي الخبيث الداعي.

ويُحكى عن بعضهم إنه قال في تضاعيف كلامه: وكل ذلك حين ركبني شيطان قيل له: وأي الشياطين ركبك؟ قال: الغضب.

وقال أبو النجم:

إنّــي وكــل شــاعــر مــن الــبــشــر شــيــطــانــه أنــثــى وشــيــطــانــي ذكــر[١]

﴿قالوا إنّا معكم﴾ أي على دينكم وأنصاركم.

﴿إنّما نحن مستهزؤن﴾ بمحمد وأصحابه.

﴿الله يستهزىء بهم﴾ أي يجازيهم جزاء استهزائهم، فسُمّي الجزاء باسم الابتداء إذ كان مثلهُ في الصورة كقوله ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾[٢] فسُمّي جزاء السيئة سيئة.

وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يــجــهــلــنّ أحــد عــلــيــنــا فــنــجــهــل فــوق جــهــل الــجــاهــلــيــنــا[٣]

وقال آخر:

نــجــازيــهــمُ كــيــل الــصــواع بــمــا أتــوا ومــن يــركــب ابــن الــعــمّ بــالــظــلــم يُــظــلــم

فسمّى الجزاء ظلماً.

وقيل: معناه: الله يوبّخهم ويعرضهم ويُخطّيء فعلهم؛ لأنّ الاستهزاء والسخرية عند العرب العيب والتجهيل، كما يُقال: إنّ فلاناً يُستهزأ به منذ اليوم، أي يُعاب. قال الله ﴿إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها﴾[٤] أي تُعاب، وقال أخباراً عن نوح عليه السلام: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾[٥].

وقال الحسن: معناه: الله يُظهر المؤمنين على نفاقهم.

وقال ابن عباس: هو أن الله يُطلع المؤمنين يوم القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار، فيقولون لهم: أتحبّون أن تدخلوا الجنة، فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم باب من الجنة، ويُقال لهم: ادخلوا فيسبحون ويتقلبون في النار، فإذا انتهوا إلى الباب سُدّ عليهم، وردّوا إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩ / ٤٢٥.
(٢) سورة الشورى: ٤٠.
(٣) لسان العرب: ٣ / ١٧٧ و ٨ / ٦٤.
(٤) سورة النساء: ١٤٠.
(٥) سورة هود: ٣٨.

النار ويضحك المؤمنون منهم، فذلك قوله: **﴿إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾**[١] إلى قوله: **﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون﴾**[٢].

الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمر بناس من الناس إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا إلى ما أعدَّ الله فيها لأهلها من الكرامة، نودوا: أن اصرفوهم عنها. قال: ويرجعون بحسرة وندامة لم يرجع الخلائق بمثلها. فيقولون: يا ربّنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا. فيقول الله جل جلاله: هذه الذي أردت بكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلّوني وكنتم تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما كنتم تروونني من قلوبكم. فاليوم أُذيقكم من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي» [٧٥][٣].

وقيل: هو خذلانه إياهم وحرمانهم التوفيق والهداية.

وهو قوله فيما بعد: **﴿ويمدهم﴾** يتركهم، ويمهلهم ويُطيل لهم، وأصله: الزيادة، ويُقال: مدّ النهر، ومدّة: زمن آخر.

وقرأ ابن محيصن وشبل: **﴿ويمدهم﴾** بضم الياء وكسر الميم وهما لغتان بمعنى واحد؛ لأنّ المد أكثر ما يأتي في الشر والإمداد في الخير. قال الله عزّ وجلّ في المد: **﴿ونمدّ له من العذاب مدّا﴾**[٤]، وقال في الإمداد: **﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾**[٥] وقال: **﴿أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين﴾**[٦]، وقال: **﴿ويُمددكم بأموال وبنين﴾**[٧].

﴿في طغيانهم﴾ كفرهم وضلالتهم وجهالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة القدر، يُقال: ميزان فيه طغيان، أي مجاوزة للقدر في الإستواء. قال الله تعالى: **﴿إنّا لما طغى الماء﴾**[٨] أي جاوز حدّه الذي قدّر له، وقال لفرعون: **﴿إنّه طغى﴾**[٩] أي أسرف في الدعوى حينما قال: **﴿أنا ربكم الأعلى﴾**[١٠].

﴿يعمهون﴾ يمضون، يترددون في الضلالة متحيرين.

يُقال: عمه يعمه عمهاً وعموهاً، وعمها فهو عمه، وعامه: إذا كان جائراً عن الحق. قال رؤبة:

ومَهْمَهٍ أَطْرَافُهُ في مَهْمَهِ ... أعمى الهُدى بالجاهلين العُمَّهِ[١١]

---

(١) سورة المطففين: ٢٩.
(٢) سورة المطففين: ٣٤.
(٣) كنز العمال: ٣ / ٤٨٤ بتفاوت.
(٤) سورة مريم: ٧٩.
(٥) سورة الإسراء: ٦.
(٦) سورة المؤمنون: ٥٥.
(٧) سورة نوح: ١٢.
(٨) سورة الحاقة: ١١.
(٩) سورة طه: ٢٤.
(١٠) سورة النازعات: ٢٤.
(١١) لسان العرب: ١٣ / ٥١٩.

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهُدى﴾:

قال ابن عباس: أخذوا الضلالة وتركوا الهُدى، ومعناه: إنهم استبدلوا الكفر على الإيمان، وإنّما أخرجه بلفظ الشّرى والتجارة توسّعاً؛ لأن الشرى والتجارة راجعان إلى الإستبدال والإختيار؛ وذلك أنّ كل واحد من البيعين يختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه، وقال الشاعر:

أخذتُ بالجُمَّة رأساً إزْعَرَا ... وبالثنايا الواضِحات الدُّرْدُرَا

وبالطويل العُمْر عمراً جَيدَرا ... كما اشترى المسلم إذ تنصّرا[1]

أي اختار النصرانية على الإسلام.

وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق: **﴿اشتروا الضّلالة﴾** بكسر الواو؛ لأنّ الجزم يُحرّك الى الكسرة العدوى بفتحها حركة إلى أخف الحركات.

﴿فما ربحت تجارتهم﴾: أي فما ربحوا في تجارتهم.

تقول العرب: ربح بيعك، وخسرت صفقتك، ونام ليلك. أي ربحت وخسرت في بيعك، ونمت في ليلك.

قال الله عزّ وجلّ: **﴿فإذا عزم الأمر﴾**[2]، وقال: **﴿بل مكر الليل والنهار﴾**[3].

قال الشاعر:

وأعور من نيهان أمّا نهاره ... فأعمى وأمّا ليله فبصير[4]

وقال آخر:

حارثُ قد فرّجت عنّي همّي ... فنام ليلي وتجلّى غمّي[5]

وقرأ إبراهيم ابن أبي عبلة: (فما ربحت تجاراتهم) بالجمع.

﴿وما كانوا مهتدين﴾: من الضلالة، وقال: مصيبين في تجاراتهم.

قال سفيان الثوري: كلكم تاجر فلينظر امرؤ ما تجارته؟ قال الله **﴿فما ربحت تجارتهم﴾** وقال: **﴿هل أدّلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾**[6].

---

(١) التبيان ـ الطوسي ـ: ١ / ٨٣.
(٢) سورة محمد: ٢١.
(٣) سورة سبأ: ٣٣.
(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٢.
(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٢.
(٦) سورة الصف: ١٠.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿مثلهم﴾ شبههم. ﴿كمثل الذي﴾ بمعنى الذين، دليله سياق الآية نظير قوله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدّق به﴾ ثم قال ﴿أولئك هم المتّقون﴾[1].

وقال الشاعر:

وانّ الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كلّ القوم يا أُمّ خالد[2]

﴿استوقد﴾: أوقد ناراً كما يُقال: أجاب واستجاب.

قال الشاعر:

وداع دعانا من يجيب الى الندّى فلم يستجبه عند ذاك مجيب[3]

﴿فلما أضاءت﴾ النار ﴿ما حوله﴾ يقال: ضاء القمر يضوء ضوءاً، وأضاء يضيء إضاءةً وأضاء غيره: ﴿فلّما أضاءت﴾ النار يكون لازماً ومتعدّياً.

وقرأ محمد بن السميقع (ضاءت) بغير ألف. و(حوله) نصب على الظرف.

﴿ذهب الله بنورهم﴾ أي أذهب الله نورهم، وإنما قال: (بنورهم) والمذكور في أوّل الآية النار؛ لأنّ النار شيئان النّور والحرارة فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم.

﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾: قال ابن عباس وقتادة والضحّاك ومقاتل والسدي: نزلت هذه الآية في المنافقين. يقول: مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فأستضاء بها فاستدفأ ورأى ما حوله فأتّقى ما يحذر ويخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيّراً، كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها واعتزّوا بعزّها وناكحو المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمّنوا على أموالهم وأولادهم، فاذا ماتوا عادوا الى الخوف والظلمة وهووا في العذاب والنقمة.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.
(٢) كتاب العين: ٨ / ٢٠٩، بدل (بفلح) كلمة (بفلج).
(٣) لسان العرب: ١ / ٢٨٣.

وقال مجاهد: إضاءة النار: إقبالهم الى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم: إقبالهم الى المشركين والضّلالة.

سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء، ويمان بن رئاب: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ وإيمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلمّا خرج كفروا به، وذلك بأنّ قريظة والنضير وبنو قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حتى إنقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب، فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد ﷺ بالنبوة وأنّ أمّته خير الأمم وكان يغشاهم رجل من بني إسرائيل يقال له: عبدالله بن هيبان قبل أن يوحي الى رسول الله ﷺ كلّ سنة فيعظهم على طاعة الله تعالى وإقامة التوراة والإيمان بمحمد ﷺ رسول إذا خرج: فلا تفرّقوا عنه وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه، ثمّ مات قبل خروج النبي ﷺ فقبلوا منه، ثم لمّا خرج رسول الله ﷺ كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل.

وقال الضحاك: لمّا أضاءت النار أرسل الله عليه ريحاً قاصفاً فأطفأها، فكذلك اليهود كلمّا أوقدوا ناراً لحرب محمد ﷺ أطفأها الله.

ثم وصفهم جميعاً فقال: **﴿صمٌّ﴾**: أي هم صمٌّ عن الهدى فلا يسمعون.

﴿بكمٌ﴾: عنه فلا يقولون.

﴿عميٌ﴾: عنه فلا يرونه.

وقيل: **﴿صمٌّ﴾** يتصاممون عن سماع الحقّ، **﴿بكمٌ﴾** يتباكمون عن قول الحقّ، **﴿عميٌ﴾** يتعامون عن النظر الى الحق بغير إعتبار.

وقرأ عبد الله: **﴿صمّاً بكماً عمياً﴾** على معنى وتركهم كذلك، وقيل: على الذّم، وقيل: على الحال.

﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة والكفر الى الهداية والإيمان.

ثم قال: **﴿أو كصيّب﴾** هذا مثل آخر ضربه الله لهم أيضاً معطوف على المثل الأوّل مجازه: مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ومثلهم أيضاً كصيّب.

قال أهل المعاني: (أو) بمعنى الواو، يريد وكصيّب، كقوله تعالى: **﴿أم تريدون﴾**[1] وأنشد الفرّاء:

وقد زعمت سلمى بأنّي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها[2]

(١) سورة البقرة: ١٠٨.

(٢) لسان العرب: ١٤ / ٥٥.

وأنشد أبو عبيدة:

يصيب قد راح يروي الغُدُرا [فاستوعب] الأرض لمّا أن سرا

وأصله من صاب يصوب صوباً إذا نزل.

قال الشاعر:

فلست لأنسي ولكن لملاك تنزّل من جوّ السماء يصوب[1]

وقال أمرء القيس:

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر[2]

فسمّي المطر صيّباً لأنّه ينزل من السماء.

واختلف النّحاة في وزنه من الفعل، فقال البصريون: هو على وزن فيعل بكسر العين، ولا يوجد هذا المثال إلاّ في المعتل نحو سيّد وميّت وليّن وهيّن وضيّق وطيّب، وأصله صهيوب، فجعلت الواو ياء فأُدغمت إحدى اليائين في الأُخرى.

وقال الكوفيون: هو وأمثاله على وزن فعيل بكسر العين وأصله: صَيِيبٌ فاستثقلت الكسرة على الياء فسُكّنت وأدغمت إحداهما في الأخرى وحرّكت الى الكسر.

والسماء: كلّ ما علاك فأظلك[3] وأصله: سماو؛ لأنه من سما يسمو، فقلبت الواو همزة لأنّ الألف لا تخلو من مدّة وتلك المدّة كالحركة، وهو من أسماء الأجناس، يكون واحداً أو جمعاً، قال الله: **﴿ثمّ استوى الى السماء﴾**[4] ثم قال: **﴿فسوّاهنّ سبع سماوات﴾**[5].

وقيل: هو جمع واحدتها سماوة، والسموات جمع الجمع.

قال الرّاجز:

سماوة الهلال حتى احقوقفا طي الليالي زلفا فزلفا[6]

﴿فيه﴾ أي في الصيّب، وقيل: في الليل كناية عن [ضمير] مذكور، وقيل: في السماء؛ لأنّ المراد بالسماء السّحاب، وقيل: هو عائد الى السماء على لغة من يذكرها.

---

(١) لسان العرب: ١٠ / ٣٩٤، وتاج العروس: ١ / ٣٣٩.
(٢) تاج العروس: ٣ / ٥٦٥.
(٣) لسان العرب: ١٤ / ٣٩٨.
(٤) سورة البقرة: ٢٩.
(٥) سورة البقرة: ٢٩.
(٦) لسان العرب: ٩ / ٥٢، ولكن العبارة هكذا:
طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا

قال الشاعر:

فلو رفع السماء إليه قوماً لحقنا بالسماء مع السّحاب[١]

والسماء يذكّر ويؤنّث. قال الله تعالى: ﴿**السماء منفطرٌ به**﴾[٢]. وقال: ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾[٣].

﴿**ظلمات**﴾: جمع ظلمة، وضُمّت اللام على الإتباع بضمّ الظاء.

وقرأ الأعمش: (ظُلْمات) بسكون اللام على أصل الكلام لأنّها ساكنة في التوحيد.

كقول الشاعر وهو ذو الرّمّة:

أبتْ ذكر مَنْ عوّدن أحشاء قلبه خفوقاً ورفصات الهوى في المفاصل[٤]

ونزّل الفاء ساكنة على حالها في التوحيد.

وقرأ أشهب العقيلي: (ظلمات) بفتح اللام، وذلك إنّه لمّا أراد تحريك اللام حرّكها الى أخفّ الحركات.

كقول الشاعر:

فلمّا رأونا بادياً ركباتنا على موطن لا نخلط[٥] الجدّ بالهزل[٦]

﴿**ورعدٌ**﴾: وهو الصوت الذي يخرج من السحاب.

﴿**وبرق**﴾: وهو النار الذي تخرج منه.

قال مجاهد: الرعد ملك يسبّح بحمده، يقال لذلك الملك: رعد، والصّريم أيضاً رعد.

والبرق: ملك يسوق السحاب.

وقال عكرمة: الرعد ملك موكّل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعي الإبل[٧].

شهر بن جوشب: الرعد ملك يزجي السحاب كما يحثّ الراعي الإبل فاذا انتبذت السحاب ضمّها فاذا اشتدَّ غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق.

---

(١) لسان العرب: ١٤ / ٣٩٨.
(٢) سورة المزمل: ١٨.
(٣) سورة الإنفطار: ١.
(٤) لسان العرب: ١ / ٤٧٥.
(٥) في تفسير القرطبي: «نخلط» بدلاً من «يخلط».
(٦) تفسير القرطبي: ١٦ / ٣١٠.
(٧) زاد المسير: ١ / ٣٤.

ربيعة بن الأبيض عن علي عليه السلام قال: البرق مخاريق الملائكة[١].

وقال أبو الدرداء: الرعد للتسبيح، والبرق للخوف والطمع، والبرد عقوبة، والصواعق للخطيئة، والجراد رزق لقوم وزجر لآخرين، والبحر بمكيال، والجبال بميزان.

وأصل البرق من البريق والضوء، والصواعق: المهالك، وهو جمع صاعقة، والصاعقة والصاقعة والصّعقة: المهلكة، ومنه قيل: صعق الإنسان، إذا غشيَ عليه، وصعق، إذا مات.

﴿حذر الموت﴾ أي مخافة الموت، وهو نصب على المصدر، وقيل لنزع حرف الصفة.

وقرأ قتادة: حذار الموت.

﴿والله محيط بالكافرين﴾ أي عالم بهم، يدل عليه قوله: **﴿وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علما﴾**[٢].

وقيل: معناه: والله مهلكهم وجامعهم، دليله قوله: **﴿إلاّ أن يحاط بكم﴾**[٣]: أي تهلكوا جميعاً.

وأمال أبو عمرو والكسائي (الكافرين) في حال الخفض والنّصب ولكسرة الفاء والراء.

﴿يكاد البرق﴾ أي يقرب. يقال: كاد، أي قرب ولم يفعل، والعرب تقول: كاد يفعل ـ بحذف أن ـ فاذا سبّوه بقي قالوا: كاد أن يفعل، والأوّل أوضح وأظهر. قال الشاعر:

قد كاد من طول البلى أن تمسحا

﴿يخطف أبصارهم﴾: أي يخطفها ويشغلها، ومنه الخطّاف.

وقرأ أُبيّ: يتخطف.

وقرأ ابن أبي إسحاق: نصب الخاء والتشديد (يخطّف) فأدغم. وقرأ الحسن: كسر الخاء والطّاء مع التشديد أتبع الكسرة الكسرة.

وقرأ العامة: التخفيف لقوله: **﴿فتخطفه الطَّير﴾**[٤] وقوله: **﴿إلاّ من خطف الخطفة﴾**[٥].

﴿كلّما﴾: حرف علة ضمّ إليه (ما) الجزاء فصار أداة للتكرار، وهي منصوبة بالظرف، ومعناهما: متى ما.

---

(١) السنن الكبرى (البيهقي): ٣ / ٣٦٣؛ الصحاح (الجوهري): ٤ / ١٤٦٧.

(٢) سورة الطلاق: ١٢.

(٣) سورة يوسف: ٦٦.

(٤) سورة الحج: ٣١.

(٥) سورة الصافات: ١٠.

﴿أضاء لهم مشوا فيه﴾: وفي حرف عبد الله [.....][١].

﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾: أي أقاموا ووقفوا متحيّرين.

القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما

قوله تعالى: **﴿أو كصيّب﴾** أي كأصحاب صيّب، كقوله: **﴿واسأل القرية﴾**[٢] شبههم الله في كفرهم ونفاقهم وحيرتهم وتردّدهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة فأصابهم مطرفيه ظلمات من صفتها إنّ الساري لا يمكنه المشي من ظلمته، فذلك قوله: **﴿إذا أظلم عليهم قاموا﴾**.

ورعد من صفته أن يضع السامع يده الى أذنه من الهول والفرق مخافة الموت والصعق، ذلك قوله تعالى: **﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾**.

وبرق من صفته أنْ يقرب من أن يخطف أبصارهم ويذهب بضوئها ونعيمها من كثرته وشدّة توقّده، وذلك قوله **﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾**.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن واجماع الناس والكافرين معه:

فالمطر: هو القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان.

﴿فيه ظلمات﴾ وهو ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والشك وبيان الفتن والمحن.

﴿ورعد﴾: وهو ما خوّفوا به من الوعيد وذكر النار والزّواجر والنواهي.

﴿وبرق﴾: وهو ما في القرآن من الشفاء والبيان والهدى والنّور والرعد وذكر الجنة.

فكما أنّ أصحاب الرعد والبرق يَجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت كذلك المنافقون واليهود والكافرون يسدّون آذانهم عند قراءة القرآن ولا يصغون إليه مخافة ميل القلب الى القرآن فيؤدّي ذلك الى الإيمان؛ لأنّ الإيمان بمحمد ﷺ عندهم كفر والكفر موت.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله للمنافق لجبنه، لا يسمع صوتاً إلاّ ظنّ أنه قد أُتي ولا يسمع صياحاً إلاّ ظنّ إنه ميّت أجبن قوم وأخذ له للحق[٣] كما قال في آية أخرى: **﴿يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدّو﴾**[٤].

---

(١) غير مقروءة في المخطوط.

(٢) سورة يوسف: ٨٢.

(٣) تفسير الدر المنثور: ١ / ٣٣.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

وقوله: ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ يعني المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان أمِنوا وصارت لهم نوراً فاذا ماتوا عادوا الى الخشية والظلمة.

قتادة: والمنافق إذا كثر ماله وحَسُن حاله وأصاب في الإسلام رخاءً وعافية ثبت عليه فقال: أنا معكم، وإذ ذهب ماله وأصابته شدّة، قام متحيراً وخفق عندها فلم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها. وتفسيره في سورة الحجّ ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف**﴾[1] الآية.

الوالبي عن ابن عباس: هم اليهود لما نصر رسول الله ﷺ ببدر طمعوا وقالوا: هذا والله النبي الذي بشرّنا به موسى لا تردّ له راية، فلمّا نكب بأُحد ارتدّوا وسكتوا.

﴿**ولو**﴾: حرف تمنّي وشك وفيه معنى الجزاء وجوابه اللام.

ومعنى الآية: ﴿**ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم**﴾: أي أسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنية حتى صاروا صمّاً بكماً عمياً.

﴿**إنّ الله على كل شيء قدير**﴾ قادر، وكان حمزة يكسر شاء، وجاء وأمثالها لانكسار فاء الفعل، إذا أخبرت عن نفسك قلت: شئت وجئت وزدّت وطبت وغيرها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿**يا أيّها الناس**﴾: قال ابن عباس: ﴿**يا أيها الناس**﴾ خطاب أهل مكة، و﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ خطاب أهل المدينة، وهو هاهنا عام.

﴿**اعبدوا**﴾ وحّدوا وأطيعوا. ﴿**ربكم الذي خلقكم**﴾ أوجدكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً. ﴿**والذين**﴾ أي وخلق الذين ﴿**من قبلكم**﴾ ﴿**لعلكم تتقون**﴾: لكي تنجوا من السُحت والعذاب.

قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله [.....][2].

---

(١) سورة الحج: ١١.

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ بساطاً ومقاماً ومناماً. ﴿والسماء بناءً﴾ سقفاً مرفوعاً محفوظاً.

﴿وأنزل من السماء﴾: من السحاب. ﴿ماءاً﴾ وهو المطر ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ من الوان الثمرات وأنواع النبات.

﴿رزقاً﴾ طعاماً. ﴿لكم﴾ وعلفاً لدوابكم.

﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي أمثالا [وأعدالاً] وقرأ ابن السميقع: ندّاً على الواحد، كقول جرير:

أتيما تجعلون إليّ نداً وما تيم لذي حسب نديد[١]

﴿وأنتم تعلمون﴾ إنّه واحد وأنّه خالق هذه الأشياء.

قال ابن مسعود في قوله: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ قال: أكفّاء من الرجال تطيعوهم في معصية الله.

وقال عكرمة: هو قول الرجل: لولا كلبنا لدخل اللص دارنا.

﴿وإن كنتم في ريب﴾ الآية نزلت في الكفّار، وذلك أنهم قالوا لما سمعوا القرآن: ما يشبه هذا كلام الله وإنّا لفي شكٍّ منه، فأنزل الله تعالى ﴿وإن كنتم﴾ يا معشر الكفّار، [وإن][٢] لفظة جزاء وشرط، ومعناه: إذ؛ لأنّ الله تعالى علم إنهم شاكّون كقوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[٣] وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إتّقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾[٤].

قال الأعشى:

بانت وقد أسفرت في النفس حاجتها بعد ائتلاف وخير الودّ ما نفعا[٥]

قال المؤرّخ: أصلها من السّورة وهي الوثبة: تقول العرب سرت إليه وثبت إليه.

قال العجاج:

وربّ ذي سرادق محجورٌ سرت إليه في أعالي السّور

قال الأعشى:

---

(١) تفسير القرطبي: ٩ / ١٨٢.

(٢) غير موجودة في المخطوط، أضفناها لزيادة بيان المطلب.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٨.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢.

وسمعت حلفتها التي حلفت إن كان سمعك غير ذي وقر[١]

﴿في ريب﴾ أي في شك وتهمة.

﴿ممّا نزّلنا على عبدنا﴾ محمد يعني القرآن.

﴿فأتوا﴾ لم يأتوا بمثله، لأنّ الله علم عجزهم عنه.

﴿بسورة﴾ أصلها في قول بعضهم: من أسارت، أي أفضلت فحذفت الهمزة كأنّها قطعة من القرآن، وقيل: هي الدرجة الرفيعة، وأصلها من سور البناء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كل مُلْك دونها يتذبذب[٢]

﴿من مثله﴾ يعني مثل القرآن، و(من) صلة كقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم﴾ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ﴾[٣].

كقول النابغة:

ولا أرى ملكاً في الناس يشبهه ولا أخا [لي] من الأقوام من أحد

أي أحداً.

وقيل في قوله: (مثله): راجعة الى محمد ﷺ ومعناه: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي من رجل أُمّي لا يُحسن الخط والكتابة.

﴿وادعوا شهداءكم﴾ يعني استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله.

وقال مجاهد والقرظي: ناساً يشهدون لكم.

وإنما ذكر الاستعانة بلفظ الدعاء على عادة العرب في دعائهم القائل في الحروب والشدائد: [يالـ . . . . .][٤].

قال الشاعر:

فلمّا التقت فرساننا ورجالهم دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر[٥]

---

(١) لسان العرب: ٥ / ٤٤.

(٢) لسان العرب: ٤ / ٣٨٦.

(٣) سورة النور: ٣٠ - ٣١.

(٤) كذا في المخطوط.

(٥) لسان العرب: ١٥ / ٥٣.

﴿إن كنتم صادقين﴾ إنّ محمداً أسرّ قوله من تلقاء نفسه، فلما تحدّاهم وعجزوا [قال الله تعالى]: **﴿فإن لم تفعلوا﴾** أي فإن لم تجيئوا بمثل القرآن.

﴿ولن تفعلوا﴾: ولن تقدروا على ذلك.

وقيل **﴿فإن لم تفعلوا﴾** فيما مضى **﴿ولن تفعلوا﴾** فيما بقي.

﴿فاتقوا النار التي وقودها﴾ حطبها وعلفها **﴿الناس والحجارة﴾** قال الحسن ومجاهد: (وقودها) بضم الواو حيث كان وهو رديء، لأن الوقود بضم الراء المصدر وهو الالتهاب، والوقود بالفتح وهو ما يوقد به النار كالظهور والبرود، ومثليهما ومثل الوَضوء والوُضوء.

وقرأ عبيد بن عمير: وقيدها الناس والحجارة.

قيل: تلك الحجارة [كجت الأرض النائية] مثل الكبريت يجعل في أعناقهم إذا إشتعلت فيها النار أحرق توهجها وجوههم، فذلك قوله تعالى: **﴿أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب﴾**[1].

اختلفوا في الحجارة، فقال ابن عباس وأكثر المفسّرين: إنها حجارة الكبريت [الأسود وهي أشد الأشياء حراً]، وقال حفص ابن المعلى: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت معمولة من الحجر، دليله قوله: **﴿إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم أنتم لها واردون﴾**[2].

وقيل: هي أن أهل النار إذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فتنشأ سحابة سوداء مظلمة فيرجون الفرج ويرفعون رؤوسهم إليها فتمطرهم حجارة عظاماً كحجارة الرّحا، فتزداد النار اتّقاداً والتهاباً كنار الدنيا إذا زيد حطبها زاد لهيبها.

وقيل: ذكر الحجارة ها هنا تعظيماً لأمر النار لأنها لا تأكل الحجارة إلاّ إذا كانت فظيعة وهائلة.

﴿أُعدّت﴾: خلقت وهُيئت للكافرين، وفي هذه الآية دليل على أنّ النار مخلوقة؛ لأنّ المعدَّ لا يكون إلاّ موجوداً.

﴿وبشّر﴾ أي وأخبر.

﴿الذين آمنوا﴾ وأصل التبشير: إيصال الخبر السار على [مسامع الناس] ويستبشر به، وأصله من البشرة؛ لأنّ الإنسان إذا فرح بان ذلك في وجهه وبشرته، ثمّ كثر حتى وضع موضع الخبر فيما [ساء وسرّ] قال الله تعالى: **﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾**[3].

---

(١) سورة الزمر: ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء: ٩٨.
(٣) سورة آل عمران: ٢١.

﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الخصال والفعلات ﴿الصالحات﴾ نعت لأسم مؤنث محذوف.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في ﴿وعملوا الصالحات﴾: معناه أخلصوا الأعمال، يدلّ عليه قوله: ﴿فليعمل عملا صالحاً﴾[١] أي خالصاً لأن المنافق والمرائي لا يكون عمله خالصاً، وقال: أقاموا الصلوات المفروضات، دليله قوله تعالى: ﴿وأقاموا الصلاة﴾.

﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾[٢] من المسلمين.

وقال ابن عباس: عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربّهم، وقال: العمل الصالح يكون فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والاخلاص.

وقال سهل بن عبدالله: لزموا السنّة؛ لأنّ عمل المبتدع لا يكون صالحاً.

وقيل: أدّوا الأمانة، يدل عليه قوله: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾[٣] أي أميناً.

وقيل: تابوا، ودليله قوله تعالى: ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾[٤] أي التائبين.

﴿أن لهم﴾: محل (أن) نصب بنزع حرف الصّفة، أي بأنّ لهم.

﴿جنّات﴾: في محل النصب فخفض لأنها جمع التأنيث، وهي جمع الجنّة وهي البستان، سمّيت جنّة لاجتنانها بالأشجار.

﴿تجري من تحتها الأنهار﴾: أي من تحت شجرها ومساكنها. وقيل: بأمرهم، كقوله: (وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾[٥] أي بأمري.

والأنهار: جمع نهر، سمّي نهراً لسعته وضيائه ومنه النهار.

وأنشد أبو عبيدة:

ملكتُ بها كفّي فأنهرتُ فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها[٦]

أي وسعتها، يصف طعنة.

وأراد بالأنهار المياه على قرب الجوار لأن النهر لا يجري.

وقد جاء في الحديث: «أنهار الجنّة تجري في غير إخدود» [٧٦].

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.
(٢) سورة الأعراف: ١٧٠.
(٣) سورة الكهف: ٨٢.
(٤) سورة يوسف: ٩.
(٥) سورة الزخرف: ٥١.
(٦) لسان العرب: ٥ / ٢٣٧.

﴿**كلّما**﴾ متى ما ﴿**رزقوا**﴾ أطعموا ﴿**منها**﴾ من الجنّة ﴿**من ثمرة**﴾: أي ثمره، و(من) صلة.

﴿**رزقاً**﴾ طعاماً. ﴿**قالوا هذا الذي رُزقنا**﴾ أطعمنا ﴿**من قبل**﴾: طعامهما، وقيل معناه: هذا الذي رزقنا من قبل، أي وعدنا الله في الدنيا وهو قول عطاء، و(قبل) رفع على الغاية، قال الله تعالى: ﴿**لله الأمر من قبل ومن بعد**﴾(١).

﴿**وأتوا**﴾ وجيئوا ﴿**به**﴾ بالرزق.

قرأ هارون بن موسى: (وأتوا) بفتح الألف، أراد أتاهم الخدم به.

﴿**متشابهاً**﴾ اختلفوا في معناه، فقال ابن عباس ومجاهد والربيع والسّدي: **متشابهاً** في الألوان، مختلفاً في الطعوم.

الحسن وقتادة: متشابهاً في الفضل، خياراً كلّه؛ لأنّ ثمار الدنيا [تبقى] ويرذل منها، وإن ثمار الجنة لا يرذل منها شيء.

محمد بن كعب وعلي بن زيد: بمعنى يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب.

وقال بعضهم: متشابهاً في الإسم مختلفاً في الطعم.

قال ابن عباس: ليس في الجنة شيء ممّا في الدنيا غير الأسماء.

﴿**ولهم فيها**﴾ في الجنّات. ﴿**أزواج**﴾ نساء وجوار، يعني الحور العين.

قال ثعلب: الزوج في اللغة: المرأة والرجل، والجمع والفرد، والنوع واللون، وجميعها أزواج.

﴿**مطهّرة**﴾ من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقيء والمني والولد وكل قذر ودنس.

وقال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد(٢).

وقيل: مطهّرة عن مساويء الأخلاق.

وقال يمان: مطهّرة من الأثم والأذى.

قال النبي ﷺ: «إنّ أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يتغوّطون ولا يبولون ولا يتمخطون». قيل: فما بال الطعام؟ قال: «جشأ ورشح تجري من أعرافهم كريح المسك يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس» [٧٧](٣).

---

(١) سورة الرّوم: ٤.
(٢) الدر المنثور: ١ / ٤٠.
(٣) كنز العمال: ١٤ / ٤٦٩ بتفاوت.

﴿وهم فيها خالدون﴾ دائمون مقيمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

الحسن عن ابن عمر قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الجنة: كيف هي؟

قال: «من يدخل الجنة يحيى ولا يموت وينعم ولا يبؤس ولا تبلى ثيابه ولا شبابه».

قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: «لبنة من فضّة ولبنةٌ من ذهب، بلاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» [٧٨][1].

وقال يحيى بن أبي كثير: إنّ الحور العين لتُنادينّ أزواجهنّ بأصوات حسان، فيقلن: طالما انتظرناكم، نحن الراضيات الناعمات الخالدات، أنتم حبّنا ونحن حبّكم ليس دونكم مقصد ولا وراءكم معذر.

وقال الحسن في هذه الآية: هنّ عجائزكم الغمض الرّمض العمش طُهّرن من قذرات الدنيا.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا﴾ هذه الآية نزلت في اليهود، وذلك أنّ الله تعالى ذكر في كتابه العنكبوت والذباب فقال: ﴿إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً﴾[2] الآية. وقال: ﴿الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت﴾[3] الآية، ضحكت اليهود وقالوا: ما هذا الكلام وماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخبيثة في كتابه وما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله تعالى: ﴿إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا﴾ أي لا يترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلا أن تصف للحق شبهاً. ﴿ما بعوضة﴾. (ما) صلة، وبعوضة نصب يدلّ على المثل.

﴿فما فوقها﴾: ابن عباس يعني الذباب والعنكبوت. وقال أبو عبيدة: يعني فما دونها.

﴿فأمّا الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون﴾ يعني أنّ هذا المثل هو ﴿أنه الحق﴾ الصدق الصحيح. ﴿من ربهم﴾.

---

(١) الدر المنثور: ١ / ٣٦.
(٢) سورة الحج: ٧٣.
(٣) العنكبوت: ٤١.

﴿وأمّا الذين كفروا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. **﴿فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾**: أي بهذا المثل. فلمّا حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع والتمام، كقوله: **﴿وله الدّين واصباً﴾**(١).

فأجابهم الله تعالى فقال: أراد الله بهذا المثل **﴿يضلُّ به كثيراً﴾** من الكافرين ذلك أنهم ينكرونه ويكذّبونه **﴿ويهدي به كثيراً﴾** من المؤمنين يعرفونه ويصدّقون.

﴿وما يضلّ به الاّ الفاسقين﴾ الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، قال الله تعالى: **﴿ففسق عن أمر ربّه﴾**(٢) أي خرج. تقول العرب: فسقت الرّطبة عن القشر، أي خرجت.

ثمّ وصفهم فقال: **﴿الذين ينقضون﴾** أي يتركون ويخالفون، وأصل النقض: الكسر.

﴿عهد الله﴾ أمره الذي عَهِد إليهم يوم الميثاق بقوله تعالى: **﴿ألستُ بربّكم قالوا بلى﴾**(٣) وما عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ [وضمّنه] نعته وصفته.

﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده وتشديده، وهو مفعال من الوثيقة.

﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني الأرحام، وقيل: هو الإيمان بجميع الرّسل والكتب، وهو نوع من الصّلة؛ لأنهم قالوا: **﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾**(٤) فقطعوا، وقال المؤمنون: **﴿لا نفرّق بين أحد من رُسُله﴾**(٥) فوصلوا.

﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿أولئك هم الخاسرون﴾: أي المغبونون بالعقوبة وفوت المثوبة، ثمّ قال: لمشركي مكة على التعجّب:

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم﴾ واو الحال **﴿أمواتاً﴾** نطفاً في أصلاب آبائكم **﴿فأحياكم﴾** في الأرحام في الدنيا **﴿ثم يميتكم﴾** عند انقضاء آجالكم. **﴿ثمّ يحييكم﴾** للبعث. **﴿ثمّ إليه ترجعون﴾** تأتون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

وقرأ يعقوب: ترجعون، وبيانه بفتح الأول وكسر الجيم جعل الفعل لهم.

﴿هو الذي خلق لكم﴾ لأجلكم. **﴿ما في الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء﴾** أي قصد وعمد الى خلق السماء.

---

(١) سورة النحل: ٥٢.
(٢) سورة الكهف: ٥٠.
(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.
(٤) سورة النساء: ١٥٠.
(٥) سورة البقرة: ٢٨٥.

﴿فسواهنّ سبع سماوات﴾ أي خلق سبع سماوات مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد تحتها ولا علامة فوقها. ﴿وهو بكلّ شيء عليم﴾: عالم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٩)

﴿وإذ قال ربّك﴾ يعني: وقد قال، وقيل معناه: واذكر إذ قال ربّك، وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله.

و(إذ) و(إذا) حرفا توقيت، إلاّ أنّ (إذ) للماضي و(إذا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر.

قال المبرّد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضياً نحو قوله: ﴿وإذ يمكر بك﴾[1] وإذ يقول، يريد وإذ مكر وإذ قال، وإذا وإذ جاء مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله: ﴿فإذا جاءت الطامّة الكبرى﴾[2] ﴿فإذا جاءت الصّاخّة﴾[3] ﴿إذا جاء نصر الله﴾[4] أي يجيء، وقال الشاعر:

ثمّ جزاه الله عنا إذ جزا جنّات عدن والعلا إلى العلا[5]

أي يجزيه.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.
(٢) سورة النازعات: ٣٤.
(٣) سورة عبس: ٣٣.
(فإذا جاءت الطآمة الكبرى: النازعات ـ ٣٤).
(٤) سورة النصر: ١.
(٥) لسان العرب: ١٥ / ٤٦٣، وتاج العروس: ١ / ٤٢٤.

﴿للملائكة﴾ الذين كانوا في الأرض، والملائكة: الرسل، واحدها ملك، وأصله: مالك، وجمعه: ملائكة، وهي من الملكة والمالكة والألوك الرسالة ويقال: ألكني الى فلان، أي كن رسولي إليه فقلبت، فقيل: ملاك. قال الشاعر:

فلست لأنسيّ لكن لملاك تنزّل من جوّ السماء يصوب[١]

ثمّ حذف الهمزة للخفّة وكثير استعماله فقيل: ملك.

قال النضر بن شميل في الملك: إن العرب لا تشتق فعله ولا تصرفه، وهو مما فات علمه.

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أي بدلا منكم ورافعكم إليّ، سُمّي (خليفة) لأنه يخلف الذاهب ويجيء بعده، فالخليفة مَن يتولى إمضاء الأمر عن الآمر، وقرأ [زيد بن علي][٢]: (خليفة) بالقاف.

قال المفسرون: وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجنّ الأرض، فعبدوا دهراً طويلا في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يُقال لهم: الجن، رأسهم عدو الله إبليس وهم خُزّان الجنان اشتق لهم اسم من الجنّة فهبطوا إلى الأرض، وطردوا الجنّ عن وجهها فالحقوهم بشعوب الجبال، وجزائر البحر، وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة، وأحبّوا البقاء في الأرض لذلك، وأعطى الله إبليس مُلك الأرض ومُلك سماء الدنيا وخزانة الجنان، فكان يعبد الله تارةً في الأرض، وتارةً في السماء، وتارة في الجنة.

فلما رأى ذلك دخله الكبر والعُجب، وقال في نفسه: أعطاني الله هذا الملك إلاّ لأني أكرم الملائكة عليه، وأعظمهم منزلةً لديه؛ فلما ظهر الكبر جاء العزل، فقال الله له ولجنده: ﴿اني جاعل في الأرض خليفةً﴾ فلما قال لهم ذلك كرهوا؛ لأنّهم كانوا أهون في الملائكة عبادة، ولأنّ العزل شديد.

﴿قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها﴾ بالمعاصي. ﴿ويُسفك﴾ يصبّ ﴿الدّماء﴾ بغير حق.

فإن قيل: كيف علموا ذلك وهو غيب؟

والجواب عنه ما قال السّدي: لما قال الله لهم ذلك، قالوا: وما يكون من ذلك الخليفة؟ قال: تكون له ذرية، يفسدون في الأرض [ويتحاسدون][٣] ويقتل بعضهم بعضاً[٤]. قالوا عند ذلك: ﴿أتجعل فيها﴾ ومعناه: فقالوا، فحذف فاء التنسيق. كقول الشاعر:

---

(١) الصحاح: ١ / ١٦٥.
(٢) تفسير القرطبي: ١ / ٢٦٣.
(٣) كذا في المخطوط.
(٤) تفسير الطبري: ١ / ٢٨٩.

لـمـا رأيـت نـبـطـا أنـصـارا شـمـرّتُ عـن ركـبـتـي الأزارا
كـنـتُ لـهـم مـن الـنّـصـاري جـارا[١]

أي فكنتُ لهم.

وقال أكثر المفسرين: أرادوا كما فعل بنو الجانّ قاسوا بالشاهد على الغائب، وقال بعض أهل المعاني: فيه إضمار واختصار معناه: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ أم تجعل فيها من لا يفسد ولا يُسفك الدماء؟ لقوله تعالى: ﴿**أمن هو قانت آناء الليل**﴾[٢] يعني كمن هو غير قانت، وهو اختيار الحسن بن الفضل.

﴿**ونحن نسبّح بحمدك**﴾.

قال الحسن: يقولون: سبحان الله وبحمده، وهو صلاة الخلق وتسبيحهم وعليها يُرزقون. يدل عليه الحديث المروي عن أبي ذر إنه قال لرسول الله ﷺ: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما أصطفاه الله تعالى لملائكته: سبحان الله وبحمده» [٧٩][٣].

وقيل: معناه: ونحن نصلي لك بأمرك، والتسبيح يكون بمعنى التنزيه ويكون بمعنى الصلاة، ومنه قيل: للصلاة سُبحة، وقيل: معناه: نصلي، ونقرأ فيها فاتحة الكتاب.

﴿**ونُقدّس لك**﴾ وننزهك واللام صلة، وقيل: هي لام الأجل، أي ونطهّر لأجلك قلوبنا من الشرك بك [وأبداننا] من معصيتك.

وقال بعض العلماء: في الآية تقديم وتأخير مجازها: ونحن نسبّح ونُقدّس لك بحمدك؛ لأنّه إذا حُملت الآية على التأويل الأول تنافي قول الملائكة المتزكية بالإدلال بالعمل، وإذا حُملت على هذا التأويل ضاهى قولهم التحدّث بنعمة الله واضافة [. . . . .][٤] إلى الله فكأنّهم قالوا: وأن سبّحنا وقدّسنا وأطعنا وعبدنا فذلك كلهُ بحمدك لا بأنفسنا، قال الله:

﴿**إنّي أعلم ما لا تعلمون**﴾ من استخلافي في الأرض ووجه المصلحة فيه، فلا تعترضوا عليّ في حكمي وتدبيري، وقيل: أراد أني أعلمُ أنّ في من استخلفه في الأرض: أنبياء وأولياء وعلماء وصلحاء، وقيل: أني أعلم إنّهم يذنبون وأغفر لهم.

قال بعض الحكماء: إنّ الله تعالى أخرج [أدم] من الجنّة قبل أنْ يدخله فيها[٥]. لقوله

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٤.
(٢) سورة الزمر: ٩.
(٣) مسند أحمد: ٥ / ١٤٨.
(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.
(٥) الدر المنثور: ١ / ٤٤.

﴿أنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ ثم كان خروجه من الجنّة بذنبه يدل أنه كان بقضاء الله وقدره.

ابن نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿أني أعلم ما لا تعلمون﴾ قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها.

ابن شهاب عن حميد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى. فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنّة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله لرسالته وكلامه، ثم تلومني على أمر قُدّر قبل أن أُخلق. فحج آدم موسى» [٨٠](١).

فصل في معنى الخليفة

قيل: سأل أمير المؤمنين الخطاب، طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندري. فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرّعية ويقسم بينهم بالسّويّة ويشفق عليهم شفقة الرّجل على أهله ويقضي بكتاب الله، فقال كعب: ما كنتُ أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكنّ الله عزّ وجلّ ملأ سلمان حكماً وعلماً وعدلا.

وروى زاذان عن سلمان: إنّ عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إنْ أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعته في غير حقّه فأنت ملك. قال: فاستعبر عمر رضي الله عنه.

وعن يونس: إنّ معاوية كان يقول إذا جلس على المنبر: أيّها الناس إنّ الخلافة ليست لجمع المال ولا تفريقه، ولكنّ الخلافة بالحقّ والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله عزّ وجل.

﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ وذلك إنّ الله تعالى لمّا قال للملائكة: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ قالوا فيما بينهم: ليخلق ربّنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منّا، وإن كان خيراً منّا فنحن أعلم منه لأنّا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فلما أُعجبوا بعلمهم وعبادتهم، فضّل الله تعالى عليهم آدم عليه السلام بالعلم فعلّمه الأسماء كلّها وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة.

واختلف العلماء في هذه الأسماء، فقال الربيع وابن أنس: أسماء الملائكة، وقال عبد الرحمن بن زيد: أسماء الذّرّية.

وقال ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والضّحّاك: علّمه الله اسم كلّ شيء حتى القصعة والقُصَيعة.

---

(١) مسند أحمد: ٢ / ٢٦٤.

قال مقاتل: خلق الله كلّ شيء ـ الحيوان والجماد وغيرها ـ ثمّ علّم آدم أسماءها كلها. فقال له: يا آدم هذا فرس، وهذا بغل، وهذا حمار حتى أتى على آخرها ثم عرض تلك الأشياء كما عرض الموجودات على الملائكة. فكذلك قال: ﴿ثمّ عرضهم﴾ ولم يقل: عرضها، وردّه الى الشخوص والمسمّيات لأنّ الأعراض لا تُعرض.

وقيل: علّم الله آدم عليه السلام صنعة كل شيء.

جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس قال: علّم الله آدم أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال والسباع وأسماء الطير والشجر وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة اللهُ عزّ وجلّ بارئها إلى يوم القيامة، وعرض تلك الأسماء على الملائكة.

﴿فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ إنّ الخليفة الذي أجعله في الأرض يُفسد فيها ويسفك الدماء. أراد الله تعالى بذلك: كيف تدّعون علم ما لم يكن بعدُ، وأنتم لا تعلمون ما ترون وتعاينون.

وقال الحسن وقتادة: ﴿

إن كنتم صادقين﴾ إني لا أخلق خلقاً إلاّ كنتم أعلم وأفضل منه، قالت الملائكة: إقراراً بالعجز واعتذاراً.

﴿قالوا سبحانك﴾: تنزيهاً لك عن الاعتراض لعلمك في حكمك وتدبيرك، وهو نصب على المصدر، أي نسبح سبحاناً في قول الخليل.

وقال الكسائي: خارج عن الوصف، وقيل: على النداء المضاف أي: يا سبحانك.

﴿لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم﴾ بخلقك ﴿الحكيم﴾ في أمرك.

وللحكيم معنيان: أحدهما: المحكم للفعل، كقوله: ﴿عذاب أليم﴾، وحز وجيع. قال الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السّميع يؤرّقني وأصحابي هموع[1]

أي المؤلم والموجع، والمسمع[2] فعيل بمعنى: مُفعل وعلى هذا التأويل هو صفة فعل.

والآخر: بمعنى (الحاكم العالم) وحينئذ يكون صفة ذات، وأصل الحكمة في كلام العرب: المنع. يُقال: أحكمت اليتيم عن الفساد وحكمته، أي منعته.

قال جرير:

---

(١) تفسير الطبري: ١ / ١٧٩، وهو لعمرو بن معديكرب.

(٢) هذا تفسير للشعر فقوله فيه: السميع: أي المسمع كما في تفسير الطبري.

(٣) لسان العرب: ١٢ / ١٤٤.

أبني حنيفة احْكِموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا[1]

ويقال للحديدة المعترضة في فم الدابة: حكمة؛ لأنها تمنع الدآبة من الأعوجاج، والحكمة تمنع من الباطل، ومالا يجمل فلا يحلّ في المحكم من الأمر بمنعه من الخلل، وفي هذه الآية دليل على جواز تكليف ما لا يُطاق حيث أمر الله تعالى الملائكة بإنباء مالم يعلموا، وهو عالم بعجزهم عنه.

فلما ظهر عجزهم، قال الله تعالى: **﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾** فسمّى كل شيء باسمه، وألحق كل شيء بجنسه.

﴿فلما أنبأهم﴾ أخبرهم. **﴿بأسمائهم قال ألم أقل لكم﴾** يا ملائكتي. **﴿أنّي أعلمُ غيب السمٰوات والأرض﴾** ما كن فيها وما يكون. **﴿وأعلم ما تبدون﴾** من الخضوع والطاعة لآدم. **﴿وما كنتم تكتمون﴾** تخفون في أنفسكم من العداوة له. وقيل: ما تبدون من الإقرار بالعجز والاعتذار، وما كنتم تكتمون من الكراهية في استخلاف آدم.

قال ابن عباس: هو أنّ إبليس مرّ على جسد آدم وهو ملقىً بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا، ثمَّ دخل من فيه وخرج من دبره، وقال: إنّه لا يتماسك إلاّ بالجوف، ثمَّ قال للملائكة الذين معه: أرأيتم أن فضّل هذا عليكم، وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربّنا. فقال ابليس في نفسه: والله لئن سُلطت عليه لأهلكته، ولئن سُلّط عليّ لأعصينّه. فقال الله تعالى: **﴿وأعلم ما تبدون﴾** يعني الملائكة من الطاعة **﴿وما تكتمون﴾** يعني إبليس من المعصية.

قال الحسن وقتادة: **﴿ما تبدون﴾** يعني قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها **﴿وما تكتمون﴾** يعني قولهم لن يخلق خلقاً أفضل ولا أعلم ولا أكرم عليه منّا.

القول في حدّ الاسم وأقسامه

فقال أصحابنا: الاسم: كل لفظة دلت على معنى ما وشيء ما، وهو مشتق من السِّمة، وهي العلامة التي يُعرف بها الشيء، وأقسامه ثمانية منها: اسم علم مثل زيد، وعمرو، وفاطمة، وعائشة، ودار، وفرس.

ومنها: اسم لازم كقولك: رجل، وامرأة، وشمس، وقمر، وحجر، ومدر ونحوها؛ سُمّي لازماً لأنّه لا ينقلب ولا يُفارق، فلا يُقال للشمس قمر ولا للقمر حجر.

ومنها: اسم مفارق مثل: صغير، وكبير، وطفل، وكهل، وقليل، وكثير، وقيل له مفارق لأنّه كان ولم يكن له هذا الاسم ويزول عنه المعنى المسمّى به.

ومنها: اسم مشتق: ككاتب، وخياط، وصائغ، وصبّاغ؛ فالاسم مشتق من فعله.

ومنها: اسم مضاف مثل: غلام جعفر، وركوب عمرو، ودار زيد.

ومنها: اسم مشبهة كقولك: فلان أسد وحمار وشعلة نار.

ومنها: اسم منسوب يثبتُ بنفسه ويُثبت غيره، كقولك: أب، وأمّ، وأخ، وأخت، وابن، وبنت، وزوج، وزوجة، فإذا قلت أب فقد أثبته وأثبت له الولد، وإذا قلت: أخ أثبته وأثبت له الأخت.

ومنها: اسم الجنس: وهو إسم واحد ويدل على أشياء كثيرة، كقولك: حيوان، وناس ونحوهما.

﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ سجدة تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة، نظيره قوله في قصة يوسف: ﴿**وخرّوا له سجدا**﴾[١] وكان ذلك تحيّة الناس، ويُعظم بعضهم بعضاً، ولم يكن وضع الوجه على الأرض [وإنما] كان الإنحناء والتكبير والتقبيل. فلما جاء الإسلام بطّل ذلك بالسّلام.

وفي الحديث إنّ معاذ بن جبل رجع من اليمن فسجد لرسول الله ﷺ فتغيّر وجه رسول الله فقال: ما هذا؟ قال: رأيت اليهود يسجدون لأحبارهم والنصارى يسجدون لقسّيسيهم.

فقال رسول الله ﷺ: «مه يا معاذ كذب اليهود والنصارى إنّما السجود لله تعالى»[٢][٨١].

وقال بعضهم: كان سجوداً على الحقيقة جُعل آدم قبلة لهم والسجود لله، كما جُعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين والصلاة لله تعالى.

قال ابن مسعود: أمرهم الله تعالى أنْ يأتوا بآدم فسجدت الملائكة وآدم لله ربّ العالمين.

وقال أُبيّ بن كعب: معناه: أقروا لآدم إنّه خير وأكرم عليّ منكم فأقروا بذلك، والسجود على قول عبدالله وأُبيّ بمعنى الخضوع والطاعة والتذلل، كقول الشاعر:

ترى الأكم فيه سجّداً للحوافر[٣]

وآدم على وزن افعل.

فلذلك لم يصرقه.

السّدي عمّن حدّثه عن ابن عباس قال: إنّما سمّي آدم لأنّه خلق من أديم الأرض، ومنهم من قال: سُمّي بذلك لأنه خلق من التراب، والتراب بلسان العبرانية آدم، وبعضهم من قال:

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) المعجم الكبير: ٨ / ٣١. بتفاوت

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧. والعبارة كالتالي:

بجمع تضل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر

سُمّي بذلك لأدمته لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر.

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ليس في الجنة أحد يُكنّى إلاّ آدم فإنّه يُكنى أبا محمد.

وقرأ العامة: ﴿للملائكة﴾ بخفض التاء، وقرأ أبو جعفر بضم التاء تشبهاً لتاء التأنيث بألف الوصل في قوله: ﴿اسجدوا﴾ لأنّ ألف الوصل يذهب في الوصل ولأنّها زائدة غير أصلية، وكذلك تاء التأنيث زائدة غير أصلية، ولا ثابت جواب ألف اسجدوا.

وقيل: كره ضمّة الجيم بعد كسرة التاء؛ لأنّ العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها، وهي قراءة ضعيفة جداً وأجمع النحاة على تغليطه فيها.

﴿فسجدوا﴾ يعني الملائكة. ﴿الاّ إبليس﴾ وكان اسمه عزازيل، فلمّا عصى غيّرت صورته وغيّر اسمه فقيل إبليس؛ لأنّه أُبلس من رحمة الله، كما يقال: يا خبيث ويا فاسق، وهو منصوب على الاستثناء، ولا يصرف لاجتماع العجمة والمعرفة.

﴿أبى﴾ أي امتنع ولم يسجد. ﴿واستكبر﴾ أي تكبّر وتعظّم عن السجود ﴿وكان﴾ أي فصار ﴿من الكافرين﴾ ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾[1].

وقال أكثر المفسّرين: معناه فكان في علمه السابق من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان عنه يبكي فيقول: يا ويلتي أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنّة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النّار» [٨٢][2].

زياد بن الحصين عن أبي العالية قال: لمّا ركب نوح السفينة إذا هو بابليس على كوثلها[3] فقال له: ويحك قد شقّ أناس من أجلك، قال: فما تأمرني؟ قال: تب، قال: سل ربّك هل لي من توبة؟ قال: فقيل له أنّ توبته أن يسجد لقبر آدم، قال: تركته حيّاً واسجد له ميّتاً.

﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وذلك أن آدم ﷺ كان في الجنّة وحِشاً ولم يكن له من يُجالسه ويؤانسه، فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته من قصيراه من شقّه الأيسر من غير أن يحسّ آدم بذلك ولا وجد له ألماً ولو ألم من ذلك لما عطف رجلٌ على امرأة، فلمّا هبّ آدم من نومه إذا هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى، فقال لها: من أنت؟ قالت أنا زوجتك خلقني الله لك لتسكن إليّ وأسكن إليك. فقالت الملائكة عند ذلك امتحاناً لعلم آدم: يا آدم ما هذه؟ قال: امرأة، قالوا: ما اسمها؟ قال: حوّاء، قالوا: لمَ سمّيت حوّاء؟ قال: لأنها خلقت من حيّ، قالوا: تحبّها يا آدم؟ قال: نعم، فقالوا لحوّاء: أتحبّينه؟ قالت: لا،

---

(١) سورة هود: ٤٣.
(٢) مسند أحمد: ٢ / ٤٤٣.
(٣) الكَوْثَل: مؤخّر السفينة.

وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حُبّه، قالوا: فلو صدقت امرأة في حبّها لزوجها لصدقت حوّاء.

مسألة:

قالت القدريّة: إنّ الجنّة التي أسكنها الله آدم وحوّاء لم تكن جنّة الخلد وإنما كان بستاناً من بساتين الدنيا، واحتجّوا بأن الجنة لا يكون فيها إبتلاء وتكليف.

والجواب:

إنّا قد أجمعنا على أنّ أهل الجنّة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلّفون بذلك.

وجواب آخر: إنّ الله تعالى قادر على الجمع بين الأضداد، فأرى آدم المحنة في الجنّة وأرى إبراهيم النعمة في النار لئلاّ يأمن العبد ربّه ولا يقنط من رحمته وليعلم أنّ له أن يفعل ما يشاء.

واحتجّوا أيضاً بأنَّ من دخل الجنة يستحيل الخروج منها، قال الله تعالى: **﴿وما هم عنها بمخرجين﴾**[1].

والجواب عنه: إنّ من دخلها للثواب لا يخرج منها أبداً، وآدم لم يدخلها للثواب، ألا ترى أنّ رضوان خازن الجنة يدخلها ثم يخرج منها، وإبليس أيضاً كان داخل الجنّة وأُخرج منها.

﴿وكلا منها رغدا﴾ واسعاً كثيراً. **﴿حيث شئتما﴾**: كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما.

﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر. وقال آخرون: بل وقع على شجرة مخصوصة واختلفوا فيها، فقال علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه): هي شجرة الكافور.

وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كلّ شيء.

ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة.

وقيل: هي الحَبْلَة وهي الأصلة من أصول الكرم.

أبو روق عن الضحّاك: أنها شجرة التين.

﴿فتكونا﴾ فتصيرا **﴿من الظالمين﴾** لأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿فأزلّهما﴾ يعني [استمال] آدم وحوّاء فأخرجهما ونحّاهما.

وقرأ حمزة: (فأزالهما الشيطان) وهو إبليس، وهو فيعال من شطن أي بعد.

---

(١) سورة الحجر: ٤٨.

وقيل: إنه من شاط والنون فيه غير أصلية [ونودي] شيطان سمّي بذلك لتمرّده وبعده عن الخير وعن رحمة الله تعالى.

﴿**عنها**﴾ عن الجنة وقيل عن الطاعة.

﴿**وأخرجهما مما كانا فيه**﴾ من النعيم، وذلك إن إبليس أراد أن يدخل الجنّة ويوسوس لآدم ولحواء فمنعته الخزنة، فأتى الحيّة وكانت من أحسن الدّواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكان من خزّان الجنّة وكان لأبليس صديقاً، فسألها أن تدخله في فمها فأدخلته في فمها ومرّت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، وكان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة قال: لو أن خلداً، فأغتنم الشيطان ذلك منه وأتاه من قبل الخلد، ولما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحوّاء لا يعلمان إنه إبليس، فناح عليهما نياحةً أحزنهما وبكى وهو أوّل من ناح فقالا لِمَ تبكي قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما وإغتمّا، ومضى ثم أتاهما بعد ذلك وقال: ﴿**يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾[١]، فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأغترّا وما كانا يظنّان أنّ أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حوّاء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبدالله بن قسط قال: سمعت سعيد بن المسيّب يحلف بالله ما يستثني: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حوّاء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته اليها فأكل، فلمّا أكلا تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوءاتهما وأخرجا من الجنة، وذلك قوله تعالى: ﴿**وقلنا**﴾ يعني لآدم وحوّاء وابليس والحية ﴿**اهبطوا**﴾ أي أنزلوا الى الأرض ﴿**بعضكم لبعض عدو**﴾ فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نودة، وقيل: واشم، وحوّاء بجدّة، وإبليس بالأبلّة وقيل بميسان، والحيّة بأصفهان.

﴿**ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاع**﴾ بلغة ومستمتع.

﴿**الى حين**﴾ الى حين اقتضاء أجالكم ومنتهى أعماركم.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت إبراهيم بن أدهم: أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلا.

﴿**فتلقى**﴾ فلُقّن. ﴿**آدم**﴾ حفّظ حين لقّن، وأُفهم حين أُلْهِمَ.

وقرأ العامّة: آدمُ برفع الميم، كلمات بخفض التّاء.

وقرأ ابن كثير: بنصب الميم، بمعنى جاءت الكلمات لآدم عليه السلام.

﴿**من ربّه كلمات**﴾ كانت سبب قبول توبته، واختلفوا في تلك الكلمات:

---

(١) سورة طه: ١٢٠.

قال ابن عباس: هي أنّ آدم قال: يا ربّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك بي غضبك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكنّي جنتك؟ قال: بلى، قال: فلِمَ أخرجتني منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: أي ربّ أرأيت لو تبت [وأصلحت] أراجعي أنت الى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو الكلمات.

قال عبيد بن عمير: هو أنّ آدم قال: يا ربّ أرأيت ما أتيت، أشيء ابتدعته على نفسي أم شيء قدّرته عليَّ قبل أن تخلقني؟ قال: بل شيٌ قدّرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا ربّ كما قدّرته عليَّ فاغفر لي[١].

همام بن منبّه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تحاجّ آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنّة الى الأرض؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله علم كلّ شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: أتلومني على أمر كان قد كتب عليّ أن أفعله من قبل أن أخلق. قال: فحجّ آدم موسى» [٨٣][٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: هي قوله: لا اله الاّ أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أنت التواب الرحيم، لا اله الاّ أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرحيم، لا اله الاّ أنت سبحانك وبحمدك ربّ عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني انّك أنت أرحم الراحمين.

عكرمة عن سعيد بن جبير في قوله: **﴿فتلقّى آدم من ربه كلمات﴾** قالا: قوله: **﴿ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾**[٣]، وكذلك قاله الحسن ومجاهد.

وقال بعضهم: نظر آدم عليه السلام الى العرش فرأى على ساقه مكتوباً لا اله الاّ الله محمد رسول الله أبو بكر الصدّيق عمر الفاروق فقال: يا ربّ أسألك بحقّ محمد أنْ تغفر لي فغفر له.

وقيل: هذا التأويل ما روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ[٤]: عرّج بيّ الى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلاّ الله محمد رسول الله أبو بكر الصدّيق عمر الفاروق[٥].

---

(١) تفسير الدر المنثور: ١ / ٥٩.

(٢) المصنف (عبد الرزاق الصنعاني): ١١ / ١١٣.

(٣) سورة الأعراف: ٢٣.

(٤) ذكره ابن الجوزيفي المزضوعات: ١/ ٣٢٨.

(٥) روي المتقي الهندي عن علي قول آدم: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلّا أنت عملت سوءً وظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم. كنز العمال: ٢/ ٣٥٩ ح ٤٢٣٧ مورد الآية، والدر المنثور: ١/ ٦٠ ذيل الآية. وأخرج السيوطي عن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات فقال: سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت علي. الدر المنثور: ١/ ٦٠.

وقيل: هي ثلاثة أشياء: الخوف، الرجاء، البكاء.

أبو بكر الهذلي عن شهر بن حوشب قال: بلغني أنّ آدم لما أهبط الى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءاً من الله تعالى.

وقال ابن عباس: بكاء آدم وحوّاء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم [حواء] مائة سنة.

﴿فتاب عليه﴾ فتجاوز عنه **﴿إنّه هو التوّاب﴾** يقبل توبة عباده **﴿الرّحيم﴾** بخلقه.

﴿قلنا اهبطوا منها﴾ يعني آدم وحواء، وقيل: آدم وحوّاء وابليس والحيّة **﴿فإمّا يأتينّكم﴾** يا ذرّية آدم **﴿مني هدىً﴾** كتاب ورسول. **﴿فمن تبع﴾** هداي. **﴿هداي فلا خوفٌ عليهم﴾**: فيما يستقبلهم **﴿ولا هم يحزنون﴾**: على ما خلّفوا.

﴿والذين كفروا﴾ جحدوا. **﴿وكذّبوا بآياتنا﴾** يعني القرآن. **﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿يا بني إسرائيل﴾ أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: صفوة الله، وإيل هو الله عزّ وجلّ، وقيل: معناه: عبدالله، وقيل: سمّي بذلك لأنّ يعقوب وعيصا كانا توأمين واقتتلا في بطن أُمهما، فأراد يعقوب أن يخرج فمنعه عيص وقال: والله لئن خرجت قبلي لأعترضنّ في بطن أمّي، فلأقتلنّها، فتأخّر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب يعقب عيص فخرج عيص قبل يعقوب.

وسمّي عيص لما عصى فخرج قبل يعقوب، وكان عيص أحبّهما الى أبيه وكان يعقوب أحبّهما الى أُمة، وكان عيص [ويعقوب أبناء] إسحاق وعميَ، قال لعيص: يا بنّي أطعمني لحم صيد واقترب مني أُدعُ لك بدعاء دعا لي به أبي، وكان عيص رجلا أشعر وكان [يعقوب] رجلاً أمرد، فخرج عيص بطلب الصيد، فقالت أُمّه ليعقوب: يا بنّي إذهب الى الغنم فاذبح منه شاةً ثمّ اشوه والبس جلدها وقدمها الى أبيك فقل له: أنّك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلمّا جاء قال: يا أبتاه كل، قال: من أنت، قال: ابنك عيص [قال: خمسه فقال: المس مسّ عيص والريح ريحة

يعقوب، قالت أُمه: هو ابنك، فادع له، قال: قدم طعامك فقدّمه فأكل منه، ثم قال: أُدن مني، فدنا منه، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك. وقام يعقوب وجاء عيص فقال: قد جئتك بالصيد الذي أمرتني به. فقال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب، فغضب عيص وقال: والله لأقتلنه، قال: يا بني قد بقيت لك دعوة، فهلم أدع لك بها، فدعا له فقال: تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحد غيرهم...][١].

﴿اذكروا﴾....

روى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والمحدث بنعمة الله شاكر وتاركها كافر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب» [٨٤][٢].

﴿نعمتي﴾ أراد نعمي أعطها وهي واحد [بمعنى الجمع] وهو قوله تعالى **﴿وإنْ تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾**[٣] والعدد لا يقع على الواحد.

﴿التي أنعمت عليكم﴾ أي على أجدادكم، وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من فرعون وأهلك عدوّهم فأورثهم ديارهم وأموالهم، وظلل عليهم الغمام في التيه من حر الشمس، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر، وأنزل عليهم المنّ والسّلوى، وفجّر لهم اثني عشرة عيناً [وأنزل][٤] عليهم التوراة فيها بيان كلّ شيء يحتاجون إليه في نعم من الله كثيرة لا تحصى.

﴿أوفوا بعهدي﴾ الذي عهدت اليكم **﴿أوف بعهدكم﴾** أدخلكم الجنّة وأنجز لكم ما وعدتكم.

فقرأ الزهري: أوفّ بالتّشديد على التأكيد يقال: وفّى وأوفى كلّها بمعنى [واحد] وأصلها الاتمام.

قال الكلبي: عهد الى بني إسرائيل على لسان موسى: إنّي باعث من بني إسماعيل نبيّاً أميّاً فمن إتّبعه [وآمن][٥] به عفوت عن ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين إثنين، وهو قوله: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّنّه للناس ولا تكتمونه﴾**[٦] يعني أمر محمد ﷺ.

---

(١) في المخطوط بياض وأكملنا القصة من تاريخ الطبري: ١ / ٢٤٤ _ ٢٢٥.
(٢) مسند أحمد: ٤ / ٢٧٨؛ والشكر لله لابن أبي الدنيا: ٧.
(٣) سورة إبراهيم: ٣٤.
(٤) بياض في المخطوط وما أثبتناه هو الظاهر.
(٥) سقط في أصل المخطوط وما أثبتناه منا.
(٦) سورة آل عمران: ١٨٧.

قتادة: هو العهد الذي أخذ الله عليهم في قوله: ﴿ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿قرضاً حسناً﴾[(٢)] فهذا قوله: ﴿أوفوا بعهدي﴾ ثم قال: ﴿لأكفرنّ عنكم سيئاتكم﴾[(٣)] الآية. فهذا قوله ﴿أوف بعهدكم﴾.

فقال: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الاّ الله﴾[(٤)] الآية.

الحسن: هو قوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطّور﴾[(٥)] الآية.

إسماعيل بن زياد: ولا تفرّوا من الزحف أدخلكم الجنة، دليله قوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾[(٦)].

وقيل: أوفوا بشرط العبوديّة، أوفِ بشرط الربوبيّة.

وقال أهل الاشارة: أوفوا في دار محنتي على بساط خدمتي، [أوفِ عهدكم] في دار نعمتي على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي.

﴿وإيّايّ فارهبون﴾ فخافوني في نقض العهد [وسقطت الياء بعد النون في] هذه الآيات وفي كلّ القرآن على الأصل، وحذفها الباقون على الخط إتّباعاً للمصحف.

﴿وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً﴾ موافقاً ﴿لما معكم﴾ يعني التوراة في التوحيد والنبّوة والأخبار، وبعض الشرائع نزلت في كعب وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم.

﴿ولا تكونوا أوّل كافر به﴾ يعني أوّل من يكفر بالقرآن[(٧)] وقد بايعتنا اليهود على ذلك فتبوءوا بآثامكم وآثامهم.

﴿ولا تشتروا بآياتي﴾ أي ببيان صفة محمد ونعته. ﴿ثمناً قليلا﴾ شيئاً يسيراً، وذلك أنّ رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامّهم يأخذون منهم شيئاً معلوماً كلّ عام من زروعهم [فخافوا أن تبينوا] صفة محمد ﷺ ويايعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرّياسة، فاختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿وإياي فاتقون﴾ فاخشوني في أمر محمد لا فيما يفوتكم من الرياسة والمأكل.

﴿ولا تلبسوا الحق﴾ ولا تخلطوا، يقال: [لبست عليهم الأمر ألبسه لبساً إذا خلطته عليهم][(٨)] أي خلطت وشبهت الحقّ الذي أنزل اليكم من صفة محمد ﷺ.

---

(١) سورة المائدة: ٧٠.
(٢) سورة البقرة: ٢٤٥.
(٣) سورة المائدة: ١٢.
(٤) سورة البقرة: ٨٣.
(٥) سورة البقرة: ٦٣.
(٦) سورة الأحزاب: ١٥.
(٧) تفسير الطبري: ١ / ٣٦٠.
(٨) زيادة عن تفسير الطبري ١ / ٣٦٢.

﴿بالباطل﴾، الذي تكتمونه، وهو تجدونه في كتبكم من نعته وصفته.

وقال مقاتل: إنّ اليهود أقرّوا ببعض صفه محمد ﷺ وكتموا بعضاً واختلفوا في ذلك، فقال الله عز وجل: **﴿ولا تلبسوا الحق﴾** الذي تقرّون به وتبيّنونه بالباطل، يعني بما تكتمونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم.

وقيل: معناه ولا تلبسوا الحقّ [. . . . من الباطل] صفة أو حال.

﴿وتكتموا الحقّ﴾ يعني ولا تكتموا الحق كقوله تعالى: **﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾**[١].

﴿وأنتم تعلمون﴾ إنّه نبيٌّ مرسل.

﴿وأقيموا الصلاة﴾ يعني وحافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها [وأركانها] وركوعها وسجودها.

﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني وأدّوا زكاة أموالكم المفروضة، وأصل الزكاة: الطهارة والنّماء والزيادة.

﴿واركعوا مع الراكعين﴾ يعني وصلّوا مع المصلين محمّد وأصحابه، يخاطب اليهود فعبّر بالركوع عن الصلاة إذ كان ركناً من أركانها كما عبّر باليد عن العطاء كقوله: **﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾**[٢] وقوله: **﴿فيما كسبت أيديكم﴾**[٣] وبالعنق عن البدن في قوله: **﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾**[٤] والأنف عن [. . . . .][٥].

[**﴿أتأمرون الناس بالبر﴾** الطاعة والعمل الصالح، **﴿وتنسون أنفسكم﴾** تتركون **﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾** توبيخ عظيم **﴿أفلا تعقلون﴾** أي أفلا تمنعون أنفسكم من مواقعة هذه الحال المردية لكم][٦].

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ . . . .

﴿وإنها لكبيرة﴾ [عليهما ولكنه كنّى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله]: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾** وقوله: **﴿إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها﴾** فرد

---

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

(٣) سورة الشورى: ٣٠.

(٤) سورة الإسراء: ١٣.

(٥) سقط في المخطوط.

(٦) بياض في المخطوط، وتفسير الآيات من تفسير القرطبي: ١ / ٣٦٥.

الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم وإلى التجارة لأنها الأفضل والأهم. . . ﴿**وإنها**﴾ واحد منهما، أراد بأن كل خصلة منهما ﴿**لكبيرة**﴾ وقيل: رد الكناية إلى كل واحد منهما قال تعالى: ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمّه آية**﴾[١] ولم يقل: آيتين، أراد: جعلنا كل واحد منهما آية.

حسن من علم يزينه حلم ومن ناله قد فاز بالفرج

أي من نال كل واحد منهما.

وقال آخر:

لكل همّ من الهموم سَعة والمسى والصبح لا فلاح معه[٢]

وقيل: ردّ الهاء الى الصلاة لأنّ الصبر داخل في الصلاة كقوله: ﴿**والله ورسوله أحقّ أن يرضوه**﴾[٣] ولم يقل يرضوهما؛ لأنّ رضا الرسول داخل في رضا الله، فردّ الكناية إلى الله. وقال الشاعر وهو حسّان:

إنّ شرخ الشباب والشعر الأسـ ـود ما لم يُعاص كان جنونا[٤]

ولم يقل يُعاصَيا ردّه إلى الشباب، لأن الشعر الأسود داخل فيه. وقال الحسين بن الفضل: ردّ الكناية إلى الاستعانة، معناه: وأن الإستعانة بالصبر والصلاة لكبيرة ثقيلة شديدة ﴿**إلاّ على الخاشعين**﴾ يعني المؤمنين، وقال ابن عباس: يعني المصلّين. الوراق: العابدين المطيعين. مقاتل بن حيان: المتواضعين، الحسن: الخائفين. قال الزجاج: الخاشع الذي يُرى أثر الذل والخنوع عليه، وكخشوع الدار بعد الاقواء، هذا هو الأصل[٥].

وقال النابغة:

رماد ككحل العين ما أن تبينه ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع

﴿**الذين يظنون**﴾ يعلمون ويستيقنون، كقوله تعالى: ﴿**إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾[٦] أي أيقنت به.

وقال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرّد[٧]

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.
(٢) شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٤٩٤ وفيه: لا بقاء معه.
(٣) سورة التوبة: ٦٢.
(٤) الصحاح: ١ / ٤٢٤.
(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٤.
(٦) سورة الحاقة: ٢١.
(٧) الصحاح: ٦ / ٢١٦٠.

يعني أيقنوا.

والظن من الأضداد يكون شكّاً ويقيناً كالرّجاء يكون أملاً وخوفاً.

﴿أنّهم ملاقوا ربّهم﴾ معاينوا ربّهم في الآخرة **﴿وأنّهم إليه راجعون﴾** فيجزيهم بأعمالهم.

﴿يا بني إسرائيل إذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضّلتكم على العالمين﴾ يعني عالمي زمانكم.

﴿واتقوا يوماً﴾ أي واحذروا يوماً واخشوا يوم.

﴿لا تجزي﴾ أي لا تقضي ولا تكفي ولا تغني.

ومنه الحديث عن أبي بردة بن ديّان في الأضحية: لا تجزي عن أحد بعدك.

وقرأ أبو السماك العدوي: لا تجزي مضمومة التّاء مهموزة الياء من أجزأ يجزي إذا كفي. قال الشاعر:

وأجزأت أمر العالمين ولم يكن ليجْزي إلاّ كامل وابن كامل[1]

وقال الزجاج: وفي الآية إضمار معناه: **﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾** من الشدائد والمكاره.

وأنشد الشاعر:

ويوم شهدناه سليماً وعامرا

أي شهدنا فيه.

وقيل: معناه: ولا تغني نفس مؤمنة ولا كافرة عن نفس كافرة.

﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ إذا كانت كافرة.

قرأ أهل مكّة والبصرة: بالتّاء لتأنيث الشفاعة. وقرأ الباقون: بالياء لتقديم الفعل.

وقرأ قتادة: (ولا يقبل منها شفاعة) بياء مفتوحة، ونصب الشفاعة أي لا يقبل الله.

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ فداءاً كانوا يأخذون في الدنيا، وسمّي الفداء عدلاً لأنّه يعادل المفدّى ويماثله قال الله عزّ وجلّ: **﴿أو عدل ذلك صياماً﴾**[2].

﴿ولا هم ينصرون﴾ أي يمنعون من عذاب الله.

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٨.

(٢) سورة المائدة: ٩٥.

قال الزجاج: كانت اليهود تزعم أنّ آباءها الأنبياء تشفع لهم عند الله عزّ وجلّ، فأيأسهم الله من ذلك.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

﴿**وإذ نجّيناكم**﴾ يعني أسلافكم وآباءكم فأعتدّها منّة عليهم؛ لأنّهم نجوا بنجاتهم، ومآثر الآباء مفاخر الأبناء.

وقوله: ﴿**فأنجيناكم**﴾[1]: أصله ألقيناكم على النّجاة وهو ما ارتفع واتّسع من الأرض هذا، هو الأصل، ثم سمّي كلّ فائز ناجياً كأنّه خرج من الضيق والشدة الى الرخاء والراحة.

وقرأ إبراهيم النخعي: وإذ نجّيناكم على الواحد.

﴿**من آل فرعون**﴾: أي أشياعه وأتباعه وأسرته وعزّته وأهل دينه، وأصله من الأول وهو الرجوع كأنّه يؤول إليك، وكان في الأصل همزتان فعوّضت من إحداهما مدّ وتخفيف.

وفرعون: هو الوليد بن مصعب بن الريّان، وكان من العماليق.

﴿**يسومونكم سوء العذاب**﴾ يعني يكلّفونكم ويذيقونكم أشدّ العذاب وأسوأه، وذلك أنّ فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وعبيداً وصنّفهم في أعمالهم. فصنف يبنون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمون، ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال فعليه الجزية.

﴿**يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾.

وقرأ ابن محيصن: بالتخفيف فتح الياء والباء من الذبح، والتشديد على التكثير، وذلك أنّ فرعون رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فهاله ذلك، ودعا بالسحرة والكهنة وسألهم عن رؤياه فقالوا: إنّه يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك، فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهنّ: لا

---

(١) سورة البقرة: ٥٠.

يسقطنّ على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلاّ قتل ولا جارية إلاّ تركت، ووكّل بهنّ من يفعلن ذلك، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إنّ الموت قد وقع في بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم [ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها].

﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم﴾ في إنجائكم منهم نعمة عظيمة، والبلاء تنصرف على وجهين: النعماء والنقماء [. . . . .][١].

﴿وإذ فرقنا بكم﴾ . . . .[٢]

﴿البحر﴾: وذلك إنّه لما دنا هلاك فرعون أمر الله عزّ وجلّ موسى أن يسري ببني إسرائيل، وأمرهم أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله عزّ وجلّ كل ولد زنا في القبط من بني اسرائيل إليهم وأخرج [من بني إسرائيل كل ولد زنا منهم][٣] إلى القبط حتى رجع كل واحد منهم الى أبيه، وألقى الله عزّ وجلّ على القبط الموت فمات كل بكراً، فاشتغلوا بدفنهم [عن طلبهم حتى][٤] طلعت الشمس وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يتعدّون ابن العشرين أصغرهم، ولا ابن الستين أكبرهم، سوى الذرية. فلما أرادوا السير ضُرب عليهم التّيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى عليه السلام مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك. فقالوا: إنّ يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم؛ فلذلك أنسدّ علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا.

فقام موسى يُنادي: أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف إلاّ أخبرني به، ومن لم يعلم فصمّت أذناه عن قولي. فكان يمرّ بين الرّجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعتهُ عجوز لهم فقالت: أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كلّما سألتك، فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربّي، فأمره الله عزّ وجلّ بايتاء سؤلها، فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدُّنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل بغرفة من الجنة إلاّ نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنّه في جوف الماء في النيل، فادعُ الله حتى يحبس عنه الماء. فدعا الله فحبس عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف، فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من المرمر فحمله حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق.

---

(١) بياض في المخطوط.

(٢) كلام غير مقروء.

(٣) استدراك عن الدر المنثور: ٥ / ٨٤ والمخطوط بياض.

(٤) استدراك عن تفسير الطبري: ١ / ٣٩٦.

فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدّمتهم، وعلم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الدّيك. فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة. فخرج فرعون في طلب بني اسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألف من دهم الخيل سوى سائر الشّيات، وسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر، والماء في غاية الزيادة.

نظروا فإذا هم بفرعون وذلك حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين وقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ وما الحيلة؟ فرعون خلفنا والبحر أمامنا. قال موسى: ﴿**كلا أن معي ربي سيهدين**﴾[(١)] فأوحى إليه: ﴿**أن اضرب بعصاك البحر**﴾[(٢)] فضربه فلم يُطعه، فأوحى الله إليه أن كنّه، فضربه موسى بعصاه وقال: انفلق أبا خالد بإذن الله، ﴿**فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم**﴾[(٣)] وظهر فيها اثنا عشر طريقاً لكلّ سبط طريق، وأرسل الله عزّ وجلّ الريح والشمس على مقر البحر حتى صار يبساً.

وقال سعيد بن جبير: أرسل معاوية الى ابن عباس فسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلاّ مرة واحدة؟ فكتب إليه: إنه المكان الذي انفلق منه البحر لبني إسرائيل[(٤)].

فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبه الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا وقال كل سبط قد غرق كل إخواننا. فأوحى الله إلى حال الماء أن تشبّكي، فصار الماء شبكات يرى بعضهم بعضا، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين. فذلك قوله تعالى ﴿**وإذ فرقنا بكم البحر**﴾ أي فلقنا وميّزنا الماء يميناً وشمالا.

﴿**فأنجيناكم**﴾ من آل فرعون والغرق.

﴿**وأغرقنا آل فرعون**﴾ وذلك إنّ فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منغلقاً، قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق لهيبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا وأقتلهم، أدخلوا البحر، فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى، وإنما كانت كلها ذكور، فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدّمهم فخاض البحر، فلما شمّت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم في البحر، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم: إلحقوا بأصحابكم، حتى إذا خرج جبرائيل من البحر وهمَّ أولهم أن يخرج، أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم والتطم عليهم فأغرقهم أجمعين؛ وذلك بمرأى من بني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿**وأغرقنا آل فرعون**﴾.

---

(١) سورة الشعراء: ٦٢.
(٢) سورة الشعراء: ٦٣.
(٣) سورة الشعراء: ٦٣.
(٤) البداية والنهاية: ٨ / ٣٣٤، وذكر تمام القصة.

﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى مصارعهم.

﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلةً﴾ وذلك أنّ بني إسرائيل لما أمِنوا من عدوهم، ودخلوا مصر، ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله عزّ وجلّ موسى أن ينزّل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إنّي ذاهب إلى ميقات ربي، وآتيكم بكتاب فيه تبيان ما تأتون وما تذرون، فواعدهم أربعين ليلة ـ ثلاثين من ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة ـ واستخلف عليهم أخاه هارون.

فلما أتى الوعد جاء جبرئيل على فرس يُقال لها فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلاّ حييّ؛ ليذهب بموسى إلى ربه، فلمّا رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرو واسمه ميخا ـ وقال ابن عباس: إسمه موسى بن ظفر، وكان رجلاً منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فدخل قلبه حبُّ البقر ـ فلما رأى جبرئيل على ذلك الفرس، قال: إنّ لهذا شأناً، وأخذ قبضةً من تربة حافر فرس جبرئيل، وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيراً من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لغلة عرس لهم فأهلك الله عزّ وجلّ قوم فرعون فبقيت تلك الحلي في يد بني إسرائيل. فلما وصل موسى. قال السامري: إنّ الأمتعة والحلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة، ولا تحلّ لكم. فاحفروا حفرةً وادفنوها فيها حتى يرجع موسى، ويرى فيها رأيه، ففعلوا ذلك.

فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري، ثم ألقى القبضة التي أخذها من تراب فرس جبرئيل فيه، فخرج عجلا من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون وخار خورة. قال السّدي: كان يخور ويمشي [ويقول:] هذا آلهكم واله موسى فَنسي، أي تركه ها هنا وخرج بطلبه.

وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدّوا اليوم والليلة يومين، فلما مضت عشرون يوماً ولم يرجع موسى عليه السلام ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، أفتتن بالعجل ثمانية ألف رجل منهم، وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله عزّ وجلّ.

﴿وإذ واعدنا موسى﴾: قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: (وعدنا) بغير ألف في جميع القرآن، وقرأ الباقون: (واعدنا) بالألف، وهي قراءة ابن مسعود. فمن قرأ بغير ألف قال: لأنّ الله عزّ وجلّ هو المتفرد بالوعد والقرآن ينطق به كقوله تعالى: **﴿وعد الله﴾**[1] وقوله: **﴿إنّ الله وعدكم وعد الحق﴾**[2]، ومن قرأ بالالف قال: قد يجيء المفاعلة من واحد كقولهم: عاقبت اللص، وعافاك الله، وطارقت النعل.

---

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

قال الزجاج: (واعدنا) جيد لأن بالطاعة والقبول بمنزلة المواعدة فكان من الله الوعد ومن موسى القبول.

وموسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب.

﴿أربعين ليلة﴾ وقرأ زيد بن علي: (أربعين) بكسر الباء وهي لغة، و(ليلة) نصب على التمييز والتفسير، وإنّما قرن التاريخ بالليل دون النهار؛ لأن شهور العرب وضعت على مسير القمر، والهلال إنّما يهلّ بالليل، وقيل لأنّ الظلمة أقدم من الضوء، والليل خُلق قبل النهار. قال الله عزّ وجلّ: **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾**(١) الآية.

﴿ثمّ اتخذتم العجل﴾ يقول أبو العالية: إنّما سمّي العجل لأنّهم تعجّلوه قبل رجوع موسى عليه السلام.

﴿من بعده﴾ من بعد انطلاق موسى إلى الجبل للميعاد.

﴿وأنتم ظالمون﴾ مضّاؤون لأنفسكم بالمعصية، وواضعون العبادة في غير موضعها.

﴿ثمّ عفونا عنكم﴾ أي تركناكم فلم نستأصلكم، من قول له عليه السلام: أحفوا الشّوارب واعفوا اللحي، وقيل: محونا ذنوبكم، من قول العرب: عفت الرّيح المنازل فعفت.

﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد عبادتكم العجل.

﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم، وصنيعي إليكم.

واختلف العلماء في ماهيّة الشكر، فقال ابن عباس: هو الطاعة بجميع الجوارح لربّ الخلائق في السر والعلانية.

وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: **﴿وأمّا بنعمة ربك فحدّث﴾**(٢).

الفضل: شكر كل نعمة ألاّ يُعصى الله بعد تلك النعمة.

أبو بكر بن محمد بن عمر الوراق: حقيقة الشكر: معرفة المُنعم، وأن لا تعرف لنفسك في النعمة حظّاً بل تراها من الله عزّ وجلّ. قال الله تعالى: **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾**(٣) يدل عليه ما روى سيف بن ميمون عن الحسين: إنّ رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا ربّ كيف استطاع آدم أنْ يؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك، خلقته بيدك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنّتك؟ فأوحى الله إليه: إنّ آدم علم إنّ ذلك كله منّي ومن عندي فذلك شكر» [٨٥](٤).

---

(١) سورة يس: ٣٧. (٢) سورة الضحى: ١١.

(٣) سورة النحل: ٥٣.

(٤) روضة الواعظين (الفتال النيسابوري): ص: ٤٧٣، الشكر لله ـ ابن أبي الدنيا ـ ص: ٧٠.

وعن إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء الخرساني عن وهب بن منبّه قال: قال داودﷺ: إلهي كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصِلُ إلى شكرك إلاّ بنعمتك؟ فأوحى الله تعالى إليه: ألست تعلم أنّ الذي بك من النعم منّي؟ قال: بلى يا ربّ، قال: أرضى بذلك لك شكراً.

وقال وهب: وكذلك قال موسى: يا ربّ أنعمت عليّ بالنعم السوابغ وأمرتني بالشكر لك عليها، وإنما شكري لكل نعمة منك عليّ، فقال الله: يا موسى تعلّمت العلم الذي لا يفوته علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منّي ومن عندي.

قال الجنيد: حقيقة الشكر: العجز عن الشكر.

وروى ذلك عن داودﷺ إنّه قال: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً، كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

وقال بعضهم: الشكر أن لا يرى النعمة البتة بل يرى المنعم.

أبو عثمان الخيري: صدق الشكر: لا تمدح بلسانك غير المنعم.

أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر الرازي عن الشبلي: الشكر: التواضع تحت رؤية المنّة.

وقيل: الشكر خمسة أشياء: مجانبة السيئات، والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة ربّ السموات.

قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سُئل أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القناد في الجامع بحضرة أبي بكر بن عدوس وأنا حاضر: من أشكر الشاكرين؟ قال: الطاهر من الذنوب، يعدُّ نفسه من المذنبين، والمجتهد في النوافل بعداد الفرائض، يعدُّ نفسه من المقصّرين، والراضي بالقليل من الدُّنيا، يعدُ نفسهُ من المفلسين، فهذا أشكر الشاكرين.

بكر بن عبد الرحمن عن ذي النّور: الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والإفضال.

﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾

قال مجاهد والفراء: هما شيء واحد، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه على التوهم، وأنشد الفراء:

وقدّمت الأديم لراهشيه ... وألفى قولها كذباً وميْنَا[1]

(١) تاج العروس: ٩ / ٣٥٥.

وقال عنترة:

حيّيت من طلل تقادم[1] عهده أقوى[2] وأقفر بعد أمّ الهيثم[3]

وقال الزجاج: وهذا هو القول؛ لأنّ الله عزّ وجلّ ذكر لموسى الفرقان في غير هذا الموضع فقال: **﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾**[4].

وقال الكسائي: الفرقان: نعت للكتاب، يريد: **﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾** فرّق بين الحلال والحرام، والكفر والإيمان، والوعد والوعيد. فزيدت الواو فيه كما يُزاد في النعوت من قولهم: فلان حسن وطويل، وأنشد:

إلى الملك العزم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم[5]

ودليل هذا التأويل قوله: **﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء﴾**[6].

وقال قطرب: أراد به الفرقان، وفي الآية إضمار، ومعناه: وإذا آتينا موسى الكتاب ومحمّد الفرقان.

﴿لعلكم تهتدون﴾ لهذين الكتابين، فترك أحد الإسمين، كقول الشاعر:

تراهُ كأن الله يجدع أنفه وعينيه إن مولاه بات له وفر[7]

وقال ابن عباس: أراد بالفرقان النصر على الأعداء، نصر الله عزّ وجلّ موسى وأهلك فرعون وقومه، يدلّ عليه قوله عزّ وجلّ: **﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾**[8] يوم بدر.

يمان بن رباب: الفرقان: انفراق البحر وهو من عظيم الآيات، يدلّ عليه قوله تعالى: **﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم﴾**.

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ الذين إتخذوا العجل. **﴿يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم﴾** أي ضررتم أنفسكم **﴿باتّخاذكم العجل﴾** إلهاً، فقالوا: فأي شيء نصنع وما الحيلة؟ قال: **﴿فتوبوا﴾**

---

(١) كذا في القرطبي
(٢) كذا في تفسير القرطبي.
(٣) تفسير القرطبي: ١ / ٣٩٩.
(٤) سورة الأنبياء: ٤٨.
(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٣٨٥.
(٦) سورة الأنعام: ١٥٤.
(٧) لسان العرب: ٨ / ٤١.
(٨) سورة الأنفال: ٤١.

فأرجعوا. ﴿إلى بارئكم﴾ أي خالقكم، وكان أبو عمرو يختلس الهمزة الى الجزم في قوله: ﴿بارئكم﴾ و(يأمركم) وينصركم طلباً للخفة[١] كقول امرؤ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل[٢]

وأنشد:

وإذا أعوججن قلت صاحب قوّم بالدوّ أمثال السفين العوم[٣]

قال: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ ليقتل البريء المجرم. ﴿ذلكم﴾ القتل. ﴿خيرٌ لكم عند بارئكم﴾ قال ابن جرير: فأبى الله عزّ وجلّ أن يقبل توبة بني إسرائيل إلاّ بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل.

وقال قتادة: [جعلّ عقوبة] عبدة العجل القتل؛ لأنّهم إرتدّوا، والكفر يبيح الدّم.

وقرأ قتادة: (فأقيلوا أنفسكم) من الأقالة أي استقيلوا العثرة بالتوبة، فلما أهمّ موسى بالقتل قالوا: نصير لأمر الله تعالى فجلسوا بالأفنية مختبئين وأصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرّجل يرى ابنه وأباه وعمّه وقومه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله وقالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً وقيل لهم من حلّ حبوته أو مدّ طرفه الى قاتله أو إتّقى بيد أو رجل فهو طعون مردود توبته، فكانوا يقتلونهم الى المساء، فلمّا كثر فيهم القتل دعا هارون وموسى وبكياً وجزعاً وتضرّعاً وقالا: يا ربّ هلكت بنو اسرائيل البقيّة البقيّة، فكشف الله عزّ وجلّ السحاب وأمرهم أن يرفعوا السلاح عنهم ويكفّوا عن القتل.

فتكشّفت عن ألوف من القتلى، فاشتدّ ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنّة، وكان من قُتل منهم شهيداً ومن بقي منهم نكفّر عنه ذنوبه، فذلك قوله: ﴿فتاب عليكم﴾ يعني ففعلتم بأمره فتاب عليكم وتجاوز عنكم.

﴿إنّه هو التواب الرحيم﴾.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

(١) أي باختلاس الحركة، وروي عنه السكون وقرأ الباقون بغير اختلاس.

(٢) لسان العرب: ١٠ / ٤٢٦.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب: ٤ / ٢٢٥، ولسان العرب: ١٢ / ٤٣٢.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً﴾ الآية، وذلك أنّ الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار سبعين رجلا من خيارهم، وقال لهم: صوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم، ففعلوا ذلك، فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربّه، فلمّا وصل ذلك الموضع قالوا: اطلب لنا نسمع كلام ربّنا، فقال: أفعل، فلمّا دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشّى الجبل كلّه فدخل في الغمام وقال القوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلّمه ربّه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سجّدا، وسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه، وأسمعهم الله تعالى: إنّي أنا الله لا اله إلاّ أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فأعبدوني ولا تعبدوا غيري.

فلمّا فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم، فقالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.

﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ وهي نارٌ جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً.

وقال وهب: أرسل الله عزّ وجلّ عليهم جنداً من السماء فلما سمعوا بحسّها ماتوا يوماً وليلة. والصاعقة: المهلكة، فذلك قوله: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن﴾ لن نصدّقك ﴿حتى نرى الله جهرة﴾[(١)].

قرأه العامّة بجزم الهاء، وقرأ ابن عباس: (جهرة) بفتح الهاء وهما لغتان مثل زُهْره وزَهَره.

﴿جهرة﴾ أي معاينة بلا ساتر بيننا وبينه، وأصل الجهر من الكشف.

قال الشاعر:

يجهر أجواف المياه السّدم[(٢)] [وانتحابها على الحان]

﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ قرأ عمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم): (الصعقة) بغير ألف، وقرأ الباقون (الصاعقة) بالألف وهما لغتان.

﴿وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ وذلك أنهم لما هلكوا جعل [موسى][(٣)] يبكي

---

(١) بتفاوت في قصص الأنبياء لابن كثير: ٢ / ١٢٦.

(٢) سيرة النبي ﷺ ـ ابن هشام الحميري ـ: ٢ / ٣٧٧، والسدم: الندم.

(٣) سقطت في أصل المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

ويتضرّع ويقول: يا ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ولو شئت أهلكتهم من قبل، ويا ربّي ﴿**أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا**﴾[١] فلم يزل يناشد ربّه حتى أحياهم الله تعالى جميعاً رجلا بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى:

﴿**ثمّ بعثناكم**﴾ أحييناكم ﴿**من بعد موتكم**﴾ لتستوفوا بقيّة آجالكم وأرزاقكم، وأصل البعث: إثارة الشيء من [مكمنه].

يقال: بعثت البعير، وبعثت النائم فانبعث.

﴿**لعلكم تشكرون وظلّلنا عليكم الغمام**﴾ في التيه تقيكم حرّ الشمس، وذلك أنّهم كانوا في التّيه ولم يكن لهم كنّ يسترهم فشكوا ذلك الى موسى، فأنزل الله عليهم غماماً أبيضاً رقيقاً وليس بغمام المطر بل أرقّ وأطيب وأبرد ـ والغمام: ما يغمّ الشيء أي يستره ـ وأظلّهم فقالوا: هذا الظّل قد جعل لنا فأين الطعام، فأنزل الله عليهم المنّ.

واختلفوا فيه، فقال مجاهد: وهو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد.

الضحّاك[٢]: هو الطرنجبين[٣].

وقال وهب: الخبز الرّقاق. السدي: عسل كان يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه.

عكرمة: شيء أنزله الله عليهم مثل الزّيت الغليظ، ويقال: هو الزنجبيل.

وقال الزجاج: جملة المنّ ما يمنّ الله مما لا تعب فيه ولا نصب.

وروي عن النبي ﷺ: «الكماة من المنّ وماءوها شفاء للعين»[٤] [٨٦].

وكان ينزل عليهم هذا المنّ كل ليلة تقع على أشجارهم مثل الملح، لكلّ إنسان منهم صاع كل ليلة قالوا يا موسى: مللنا هذا المنّ بحلاوته، فادع لنا ربّك أن يطعمنا اللحم، فدعا عليه السلام، فأنزل الله عليهم السلوى.

واختلفوا فيه، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو طائر يشبه السّماني.

أبو العالية ومقاتل: هو طير أحمر، بعث الله سحابة فمطرت ذلك الطير في عرض ميل وقدر طول رمح في السماء بعضه على بعض.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٢) نسبه في زاد المسير (١ / ٧١): الى ابن عباس ومقاتل، وذكر بقية الأقوال.

(٣) ويصح بالتاء (الترنجبين) راجع لسان العرب: ١٠ / ٩٦، وهو طل ينزل من الهواء ويجتمع على أطراف الشجر في بعض البلدان، وقيل: هو ندى شبيه العسل جامد متحبب ينزل من السماء، وقيل: يشبه الكمأة.
أقول: ولعله ما يجنيه النحل من الشجر وهو ما يسمى بـ(غبار الطلع) إلى صغارها على شكل حبوب صغيرة بأرجلها، وهو غير العسل وغير الهلام الملكي.

(٤) مسند أحمد: ١ / ١٨٧.

عكرمة: طير يكون بالهند أكبر من عصفور، المؤرّخ: هو [المعسل] بلغه كنانه.

وقال شاعرهم:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم الذّ من السلوى إذا ما نشورها[١]

وكان يرسل عليهم المنّ والسلوى، فيأخذ كل واحد منه ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليومين لأنّه لم يكن ينزل إليهم يوم السبت، فذلك قوله: ﴿**وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا**﴾ أي وقلنا لهم كلوا.

﴿**من طيبات**﴾ حلالات. ﴿**ما رزقناكم**﴾ ولا تدّخروا لغد فخبأوا لغد فقطع الله عزّ وجلّ ذلك عنهم ودوّد وفسد ما ادّخروا، فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿**وما ظلمونا**﴾ ضرّونا بالمعصية.

﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ يصرّون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزّل عليهم بلا كلفة ولا مؤونة، ولا مشقّة في الدنيا، ولا تبعه ولا حساب في العقبى.

خلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا بني إسرائيل لم يخنز الطعام ولم يخبث اللّحم، ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها»[٢] [٨٧].

﴿**وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية**﴾ ابن عباس: هي أريحا وهي قرية الجبّارين، وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عناق، وقيل: هي بلقا.

وقال ابن كيسان: هي الشام.

الضّحاك: هي الرّملة والاردن وفلسطين وتدمر.

مجاهد: بيت المقدس. مقاتل: إيليا.

﴿**وكلوا منها حيث شئتم رغدا**﴾ موسعاً عليكم.

﴿**وادخلوا الباب**﴾ يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب.

﴿**سجّداً**﴾ منحنين متواضعين وأصل السجود الخضوع.

قال الشاعر:

بجمع يضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجّداً للحوافر[٣]

وقال وهب: قيل لهم ادخلوا الباب، فاذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله عزّ وجلّ، وذلك

---

(١) كتاب العين: ٧ / ٢٩٨.

(٢) صحيح ابن حبان: ٩ / ٤٧٧.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧.

أنّهم أذنبوا بإبائهم دخول أريحا، فلما فصلوا من التيه أحبّ الله عزّ وجلّ أن يستنقذهم من الخطيئة.

﴿وقولوا حطّة﴾ قال قتادة: حطّ عنّا خطايانا وهو أمرٌ بالاستغفار(١).

وقال ابن عباس: يعني لا اله الاّ الله؛ لأنّها تحطّ الذنوب، وهي رفع على الحكاية في قول أبي عبيدة.

وقال الزجاج: سألتنا حطّة.

﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ وقرأ أهل المدينة بياء مضمومة وأهل الشام بتاء مضمومة.

﴿وسنزيد المحسنين﴾ إحساناً وثواباً والسلام.

﴿فبدّل الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالمعصية، وقيل كفروا.

وقال مجاهد: كموطيء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم، فلم يخفضوا ولم يركعوا ولم يسجدوا، فدخلوا مترجعين على أشباههم.

﴿قولا﴾ يعني وقالوا قولا. ﴿غير الذي قيل لهم﴾ وذلك إنّهم أُمروا أن يقولوا (حطّة) فقالوا: (حطا) [. . . . .](٢) يعنون حنطه حمراء استخفافاً بأمر الله.

﴿فأنزل على الذين ظلموا رجزاً﴾ عذاباً ﴿من السماء﴾ وذلك أنّ الله تعالى أرسل الله عليهم ظلمة وطاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً.

﴿بما كانوا يفسقون﴾ يعني يلعبون ويخرجون من أمر الله عزّ وجلّ.

۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ١ / ٣٩.

(٢) كلمة غير مقروءة.

﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾ السين فيه: سين المسألة، مثل استعلم واستخبر ونحوهما، أي سأل السّقيا لقومه وذلك أنّهم عطشوا في التيه فقالوا: يا موسى من أين لنا الشراب، فاستسقى لهم موسى فأوحى الله عزّ وجلّ إليه:

﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ وكان من آس الجنّة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان متّقدتان في الظلمة نوراً واسمه غليق، وكان آدمعليه‌السلام حمله معه من الجنة الى الأرض فتوارثه الأصاغر عن الأكابر حتى وصل الى شعيب فأعطاه لموسى.

﴿الحجر﴾ واختلفوا فيه، فقال وهب بن منبّه: كان موسىصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فيتفجّر منها لكلّ سبط عين وكانوا اثني عشر سبطاً، ثمّ يسيل في كلّ عين جدول الى السبط الذي أمر سقيهم، ثمّ أنّهم قالوا: إن فقد موسى عصاه، فأوحى الله تعالى الى موسى لا تقرعنّ الحجارة ولكن كلّمها تطعك لعلّهم يعتبرون.

فقالوا: كيف بنا لو أفضينا الى الرّمل والى الأرض التي ليست فيها حجارة، فحمل موسى معه حجراً فحيث نزلوا ألقاه.

وقال الآخرون: كان حجراً مخصوصاً بعينه، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿الحجر﴾ فأدخل الألف واللام للتعريف مثل قولك: رأيت الرجل، ثم اختلفوا فيه ما هو.

فقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أُمر أن يحمله وكان يضعه في مخلاته فإذا إحتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه.

وفي بعض الكتب: إنّها كانت رخاماً.

وقال أبو روق: كان الحجر من الكذان وكان فيه اثنا عشرة حفرة ينبع من كلّ حفرة عين ماء عذب فرات فيأخذوه، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يستسقي كل يوم ستمائة ألف.

وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل حين رموه بالأدرة(١) ففرّ الحجر بثوبه ومرّ به على ملأ من بني إسرائيل حتى ظهر إنه ليس بأدِر، فلما وقف الحجر أتاه جبرئيل فقال لموسى: إن الله يقول إرفع هذا الحجر فانّ فيه قدرة، فلك فيه معجزة، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونو كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾(٢). فحمله موسى ووضعه في مخلاته فكان إذا احتاج الى الماء ضربه بالعصا، وهو ما روي عن أبي هريرة إنه قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر

---

(١) الأدرة: نفخ في الخصيتين.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٩.

بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاّ إنه آدر قال: فذهب مرّة يغتسل فوضع موسى ثوبه على حجر ففرّ الحجر بثوبه قال: فجمع موسى في أثره يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً» [٨٨][١].

فقال أبو هريرة: وقد رأينا بالحجر ندباً ستة أو سبعة أثر ضرب موسى.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: كانت ضربة موسى اثني عشرة ضربة، وظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة، ثم انفجر بالأنهار المطرّدة وهو قوله: ﴿**فانفجرت**﴾.

وفي الآية اضمار واختصار تقديرها: ضرب فانفجرت أي سالت، وأصل الانفجار: الانشقاق والانتشار، ومنه فجر النهار.

﴿**منه اثنتا عشرة عينا**﴾ قرأ العامة بسكون الشيّن على التخفيف، وقرأ العباس بن الفضل الأنصاري بفتح الشين على الأصل، وقرأ أبو [. . . . . .][٢] بكسر الشين.

﴿**قد علم كلّ أُناس مشربهم**﴾ موضع شربهم ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل، المخرج.

﴿**كلوا واشربوا**﴾ أي قلنا لهم: كلوا من المنّ، واشربوا من الماء؛ فهذا كلّه من رزق الله الذي بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة.

﴿**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ا يُقال: عثى يعثي عثياً، وعثا يعثو عثواً، وعاث يعث عيثاً وعيوثاً [بثلاث لغات] وهو شدة الفساد.

قال ابن الرّقاع:

لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثا فيه المشيب لزرتُ أمّ القاسم[٣]

﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد**﴾ الآية، وذلك أنهم ملّوا المنّ والسلوى وسئموها. قال الحسن: كانوا نتانى أهل كراث وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء[٤]، واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عاداتهم عليه، فقالوا: لن نصبر على طعام واحد وكفّوا عن المنّ والسلوى، وإنما قالوا (واحد) وهما اثنان؛ لأن العرب تعبّر عن اثنين بلفظ

(١) مسند أحمد: ٢ / ٣١٥.

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٣) زاد المسير: ٢ / ١٥٥.

(٤) العِكْر: الأصل، وقيل العادة والديدن، والعكر بالتحريك: الصدأ على السيف، راجع لسان العرب: ٤ / ٦٠١.

الواحد، وبلفظ الواحد عن الاثنين كقوله: ﴿يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[(١)]، وإنما يخرجان من المالح منهما دون العذب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كانوا يعجنون المنّ والسلوى فيصير طعاماً واحداً فيأكلونه.

﴿**فادْعُ**﴾ فسأل وادعِ. ﴿**لنا**﴾ لأجلنا. ﴿**ربّك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها**﴾ قراءة العامة بكسر القاف.

وقرأ يحيى بن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأشيب العقيلي: وقثائها بضم القاف، وهي لغة تميم.

﴿**وفومها**﴾: قال ابن عباس: الفوم: الخبز، تقول العرب: فوّموا لنا، أي اختبزوا لنا.

عطاء وأبو مالك: هو الحنطة وهي لغة قديمة، قال الشاعر:

قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم[(٢)]

[.....][(٣)]: هو الحبوب كلّها.

الكلبي والنضر بن شميل والكسائي والمعرّج: هو الثوم، وأنشد المعرّج لحسّان:

وأنتم أناس لئام الأصول طعامكم الفوم والحوقل[(٤)]

يعني الثوم والبصل؛ فالعرب تعاقب بين الفاء والثاء فتقول للصمغ العرفط: مغاثير ومغافير، وللقبر جدف وجدث، ودليل هذا التأويل أنها في مصحف عبدالله: وثومها.

﴿**وعدسها وبصلها**﴾ عن الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالعدس فإنّه مبارك مقدّس وإنه يُرقق القلب ويُكثر الدمعة، وإنه بارك فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى عليه السلام» [٨٩][(٥)].

فقال لهم موسى عند ذلك: ﴿**أتستبدلون**﴾ وفي مصحف أُبيّ: أتبدلون.

﴿**الذي هو أدنى**﴾ أخس وأردى.

حكى الفراء عن زهير العرقي: إنه قرأ (أدناء) بالهمزة، والعامة على ترك الهمزة، وقال بعض النحاة: هو أدون فقدّمت النون وحوّلت الواو ياء كقولهم: أولى من الويل.

---

(١) سورة الرحمن: ٢٢.
(٢) تاج العروس: ٩ / ١٥.
(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.
(٤) تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٥.
(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٧.

﴿بالذي هو خير﴾ أشرف وأفضل، ومعناه: أتتركون الذي هو خير وتريدون الذي هو شر، ويجوز أن يكون هذا الخير والشر منصرفين إلى أجناس الطعام وأنواعه، ويجوز أن يكونا منصرفين إلى اختيار الله لهم، واختيارهم لأنفسهم.

﴿اهبطوا مصرا﴾ يعني فإن أبيتم إلاّ ذلك فاهبطوا مصراً من الأمصار، ولو أراد مصر بعينها لقال: (مصر) ولم يصرفه كقوله ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله﴾[١] وهذا معنى قول قتادة.

الضحاك: هي مصر موسى وفرعون.

وقال الأعمش: هي مصر التي عليها صالح بن علي ودليل هذا القول: قراءة الحسن وطلحة: (مصر) بغير تنوين جعلاها معرفة، وكذلك هو في مصحف عبدالله وأُبيّ بغير ألف، وإنّما صرف على هذا القول لخفّته وقلّة حروفه مثل: دعد وهند وحمل ونحوها. قال الشاعر:

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا[٢]

﴿فإنّ لكم ما سألتم﴾ من نبات الأرض.

﴿وضُربت﴾ جُعلت. ﴿عليهم﴾ وألزموا. ﴿الذلّة﴾ الذل والهوان. قالوا: بالجزية، يدل عليه قوله: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[٣] وقال [.....][٤]: هو الكستيبنج وزنة اليهودية.

﴿والمسكنة﴾ يعني ذي الفقر. [فتراهم] كأنّهم فقراء وأن كانوا مياسير، وقيل: المذلة وفقر القلب فلا يرى في أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود، والمسكنة مفعلة من السكون، ومنه سُميّ الفقير مسكيناً لسكونه وقلّة حركاته. يُقال: ما في بني فلان أسكن من فلان، أي أفقر.

﴿وبآءوا بغضب من الله﴾ أي رجعوا في قول الكسائي وغيره. أبو روق: استحقوا والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقرّوا به، ومنه الدعاء المأثور: (أبوء بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت)، وغضب الله عليهم: ذمّهُ لهم وتوعّده إياهم في الدنيا، وإنزال العقوبة عليهم في العقبى، وكذلك بغضه وسخطه.

---

(١) سورة يوسف: ٩٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٢ / ١٩٣، لسان العرب: ٥ / ١٧٥: والعبارة: (وجعل الشمس...الخ) .... فصلا.

(٣) سورة التوبة: ٢٩.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

﴿ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ بصفة محمدﷺ وإنه الرحيم في التوراة والإنجيل والفرقان.

﴿ويقتلون﴾ قراءة العامة بالتخفيف من القتل، وقرأ السّلمي بالتشديد من التقتيل.

﴿النبيّين﴾ القراءة المشهورة بالتشديد من غيرهم، وتفرّد نافع بهمز النبيين، [ومدّه] فمن همز معناه: المخبر، من قول العرب: أنبأ النبي أنباءاً، ونبّأ ينبيء تنبئة بمعنى واحد، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فلمّا نبأها به قالت من أنبأك هذا﴾[١] ومن حذف الهمز فله وجهان: أحدهما: إنه أراد الهمز فحذفه طلباً للخفّة لكثرة استعمالها، والوجه الآخر: أن يكون بمعنى الرّفيع مأخوذ من النبؤة وهي المكان المرتفع، يقال: نبيء الشيء عن المكان، أي ارتفع[٢].

قال الشاعر:

إنّ جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسرّ فوق الظراب[٣]

وفيه وجه آخر: قال الكسائي: النبي بغير همز: الطريق، فسمّي الرسول نبياً، وإنما دقائق الحصا لأنّه طريق إلى الهدى، ومنه قول الشاعر:

لاصبح رتما دقاق الحصى مكان النبي من الكاثب[٤]

ومعنى الآية: ويقتلون النبيّين.

﴿بغير الحقّ﴾ مثل أشعيا وزكريا ويحيى وسائر من قتل اليهود من الأنبياء، وفي الخبر: إنّ اليهود قتلوا سبعين[٥] نبياً من أوّل النهار [في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من] آخر النهار [في ذلك اليوم][٦].

﴿ذلك بما عَصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا﴾ يعني اليهود، واختلف العلماء في سبب تسميتهم به. فقال بعضهم: سمّوا بذلك لأنهم هادوا أي تابوا من عبادة العجل، كقوله أخباراً عنهم: ﴿إنّا هدنا إليك﴾[٧].

---

(١) سورة التحريم: ٣.
(٢) راجع تفسير القرطبي: ١ / ٤٣١.
(٣) كتاب العين: ٦ / ١٩٠.
(٤) كتاب العين: ٥ / ٣٥٢، والصحاح: ٦ / ٢٥٠١.
(٥) في المصدر: ثلاث وأربعين.
(٦) ما بين معكوفين زيادة عن تفسير الطبري: ٣ / ٢٩٤، وفي المخطوط العبارة مشوشة ولعلها: (وقامت عبادهم بقتلهم في).
(٧) سورة الأعراف: ١٥٦.

وأنشد أبو عبيدة:

إنّي امرؤ من مدحه هائد[1]

أي تائب.

وقال بعضهم: لأنّهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى. يُقال: هاد يهود هوداً: إذا مال. قال امرؤ القيس:

قد علمت سلمى وجاراتها[2] أنّي من الناس لها هائد

أي إليها مائل.

وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنّهم يتهوّدون أي يتحرّكون عند قراءة التوراة، ويقولون: إنّ السموات والأرض تحرّكت حين أتى الله موسى التوراة.

وقرأ أبو السمّاك العدوي واسمه قعنب: هادَوا بفتح الدال من المهاداة، أي مال بعضهم الى بعض في دينهم.

﴿والنصارى﴾ واختلفوا في سبب تسميتهم بهذا الاسم، فقال الزهري: سمّوا نصارى لأنّ الحواريّين قالوا: نحن أنصار الله.

مقاتل: لأنّهم تولوا قرية يُقال لها: ناصرة، فنُسبوا إليها.

وقال الخليل بن أحمد: النصارى: جمع نصران، كقولهم: ندمان وندامى.

وأنشد:

تراه إذا دار العشيّ محنّفاً ويضحى لربّه وهو نصران شامس[3]

فنسبت فيه ياء النسبة كقولهم لذي اللحية: لحياني، ورقابي لذي الرقبة.

فقال الزجاج: يجوز أن يكون جمع نصري كما يُقال: بعير حبري، وإبل حبارى، وإنما سمّوا نصارى لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى وأمّه.

﴿والصّابئين﴾ قرأ أهل المدينة بترك الهمزة من الصّابئين والصّابئون الصّابين والصّابون في جميع القرآن، وقرأ الباقون بالهمز وهو الأصل، يُقال: صبا يصبوا صبوءاً، إذا مال وخرج من دين إلى دين.

---

(١) لسان العرب: ٣ / ٤٣٩.

(٢) كتاب العين: ٥ / ٩٦: والعبارة كالتالي:

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلاّ أنا

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٤.

قال الفرّاء: يُقال لكل من أحدث ديناً: قد صبأ وأصبأ بمعنى واحد، وأصله الميل، وأنشد:

إذا أصبأت هوادي الخيل عنّا حسبت بنحرها شرق البعير

واختلفوا في الصّابئين من هم:

قال عمر: هم طائفة من أهل الكتاب ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وبه قال السدي.

وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم.

وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشّام بين اليهود والمجوس لا دين لهم[1].

وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب، وهو رأي أبي حنيفة.

وقال قتادة ومقاتل: هم قوم يقرّون بالله عزّ وجلّ، ويعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور ويصلّون إلى الكعبة، أخذوا من كل دين شيئاً.

الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى، يحلقون أوساط رؤوسهم ويُجبّون ذاكرهم.

عبد العزيز بن يحيى: درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر.

﴿**من آمن بالله واليوم الآخر**﴾ اختلفوا في حكم الآية ومعناها، ولهم فيها طريقان:

أحدهما: إنّه أراد بقوله ﴿**إنّ الذين آمنوا**﴾ على التحقيق وعقد التصديق، ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين من هم؟ فقال قوم: هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهوّدوا ولم يتنصّروا ولم يصبئوا، وانتظروا خروج محمد ﷺ.

وقال آخرون: هم طلاّب الدين، منهم: حبيب النجّار، وقيس بن ساعدة، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السّندي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ويحيى الراهب، ووفد النجاشي. آمنوا بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فمنهم من أدركه وتابعه، ومنهم من لم يدركه.

وقيل: هم مؤمنو الأمم الماضية.

وقيل: المؤمنون من هذ الأُمة.

﴿**والذين هادوا**﴾ يعني الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدّلوا ولم يغيّروا.

﴿**والنصارى**﴾: الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يبدّلوا وماتوا على ذلك.

قالوا: وهذان اسمان لزماهم زمن موسى وعيسى (عليهما السلام)، حيث كانوا على الحق

---

(١) الدر المنثور: ١ / ٧٥.

فبقي الاسم عليهم كما بقي الإسلام على أمّة محمد ﷺ والصابئين زمن استقامتهم من آمن منهم أي مات منهم وهو مؤمن؛ لأنّ حقيقة الإيمان المؤاخاة.

قال: ويجوز أن تكّون الواو فيه مضمراً: أي ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة.

والطريق الآخر: إنّ المذكورين في أول الآية بالإيمان إنّما هو على طريق المجاز والتسّمية دون الحكم والحقيقة، ثمّ اختلفوا فيه:

فقال بعضهم: إنّ الذين آمنوا بالأنبياء الماضين والكتب المتقدمة ولم يؤمنوا بك ولا بكتابك.

وقال آخرون: يعني به المنافقين أراد: إنّ الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله**﴾، والذين هادوا: أي اعتقدوا اليهودية وهي الدين المبدّل بعد موسى عليه السلام، والنصارى: هم الذين اعتقدوا النصرانية والدّين المبدّل بعد عيسى، والصابئين: يعني أصناف الكفّار من آمن بالله من جملة الأصناف المذكورين في الآية.

وفيه اختصار وإضمار تقديره: من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ لأنّ لفظ (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث.

قال الله تعالى: ﴿**ومنهم من يستمع إليك**﴾[1] ﴿**ومنهم من ينظر إليك**﴾[2] ﴿**ومنهم من يستمعون إليك**﴾[3]. قال ﴿**ومن يقنت منكن لله ورسوله**﴾[4]، وقال الفرزدق في التشبيه:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ناديت يصطحبان[5]

﴿**ولا خوف عليهم**﴾ فيما قدّموا.

﴿**ولا هم يحزنون**﴾ على ما خلّفوا، وقيل: لا خوف عليهم بالخلود في النار، ولا يحزنون بقطيعه الملك الجبّار، ولا خوف عليهم من الكبائر وإنّي أغفرها، ولا هم يحزنون على الصغائر فأنّي أكفّرها.

وقيل: لا خوف عليهم فيما تعاطوا من الإجرام، ولا هم يحزنون على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم من الإسلام الآثام.

---

(١) سورة الأنعام: ٢٥.
(٢) سورة يونس: ٤٣.
(٣) سورة يونس: ٤٢.
(٤) سورة الأحزاب: ٣١.
(٥) لسان العرب: ١٣ / ٤١٩.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ يا معشر اليهود. **﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾** وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم. وقالوا: ليس من لغة في الدنيا إلاّ وهي في القرآن.

وقال أبو عبيدة والحُذّاق من العلماء: لا يجوز أن تكون في القرآن لغة غير لغة العرب؛ لأن الله تعالى قال: **﴿قرآناً عربيّاً﴾**(١) وقال: **﴿بلسان عربي مبين﴾**(٢) وإنّما هذا وأشباهه وفاق بين اللّغتين.

وقد وجدنا الطّور في كلام العرب، وقال جرير:

فإن ير سليمان الجنّ يستأنسوا بها ... وإن ير سليمان أحب الطّور ينزل

وقال المفسّرون: وذلك أنّ الله تعالى أنزل التوراة على موسى وأمر قومه بالعمل بأحكامه فأبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للأضرار والأثقال الّتي فيها، وكانت شريعته ثقيلة فأمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام يضع جبلاً على قدر عسكره وكان فرسخاً في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرّجل.

أبو صالح عن ابن عبّاس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتّى قام على رؤوسهم مثل الظلّة.

عطاء عن ابن عبّاس: رفع الله فوق رؤوسهم الطّور وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم

---

(١) سورة يوسف: ٢، سورة طه: ١١٣، سورة الزمر: ٢٨، سورة فُصّلت: ٣، سورة الشورى: ٧، سورة الزخرف: ٣.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٥

البحر الملح من خلفهم وقيل لهم: **﴿خذوا ما آتيناكم﴾** أي أعطيناكم.

﴿بقوّة﴾ بجدّ ومواظبة. وفيه إضمار، أي: وقلنا لهم: خذوا.

﴿واذكروا ما فيه﴾ أي احفظوه واعلموه واعملوا به و (في) حرف أولي فاذّكروا بذال مشددة وكسر الالف المشددة و (في) حرف وانه وتذكروا ما فيه ومعناهما اتعظوا به **﴿لعلكم تتقون﴾** لكي تنجوا من الهلاك في الدّنيا والعذاب في العقبى فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلاّ رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في البحر وأحرقتكم بهذه النّار، فلمّا رأوا أن لا مهرب لهم قبلوا لك وسجدوا خوفاً وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سنّة في اليهود لا يسجدون إلاّ على أنصاف وجوههم فلمّا زال الجبل قالوا: يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك.

﴿ثمّ تولّيتم﴾ أعرضتم وعصيتم.

﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل.

﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتأخير العذاب عنكم.

﴿لكنتم من الخاسرين﴾ لصرتم من المغلوبين بالعقوبة وذهاب الدّنيا والآخرة.

﴿ولقد علمتم الّذين اعتدوا منكم في السبت﴾ وذلك أنهم كانوا من داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرّم الله عليهم صيد السمّك يوم السبت فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلاّ اجتمع هناك حتّى يخرجن خراطيمهنّ من الماء لأمنها، فإذا مضى السبت تفرّقن ولزمن البحر فذلك قوله تعالى: **﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾** فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار فإذا كانت عشيّة الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج لبعد عمقها وقلّة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا ينصبون الحبائل والشّصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً فكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة، فقست قلوبهم وأصرّوا على الذّنب، وقالوا: ما نرى السّبت إلاّ قد أحلّ لنا، فلمّا فعلوا ذلك صار أهل القرية ـ وكانوا سبعين ألفاً ـ ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الّذين نهوا إثنا عشر ألفاً فلمّا أبى المجرمون قبول نصحهم قال الناهون: والله لا نُساكِنكم في قرية واحدة، فقسّموا القرية بجدار وغيروا بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عزّ وجلّ عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا أبوابهم ولا خرج منهم أحد فلمّا أبطأوا تسوّروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة فمكثوا ثلاثة أيام ثمّ هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيّام ولم يتوالدوا فذلك قول عزّ وجلّ **﴿فقلنا لهم كونوا قردةً﴾** أمر تحويل.

﴿خاسئين﴾ مطرودين صاغرين بلغة كنانة، قاله مجاهد وقتادة والربيع.

قال أبو روق: يعني خرساً لا يتكلّمون، دليله قوله عزّ وجلّ ﴿**قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون**﴾[1].

وقيل: مبعدون من كلّ خير.

﴿**فجعلناها**﴾ أي القردة، وقيل: القرية، وقيل: العقوبة.

﴿**نكالاً**﴾ عقوبة وعبرة وفضيحة شاهرة، وأصله من النكل وهو القيد، وجمعه أنكال، ويقال للّجام نكل.

﴿**لما بين يديها وما خلفها**﴾ قال أبو العالية والرّبيع: معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم.

قتادة: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيهم عن الصّيد وما خلفها من العصيان بأخذ الحيتان بعد النّهي.

وقيل: لما بين يديها من عقوبة الآخرة وما خلفها من نصيحتهم في دنياهم فيذكّرون بها إلى يوم قيام السّاعة.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير؛ وتقديرها: فجعلناها وما خلفها ممّا أعدّ لهم من العذاب في الآخرة نكالاً وجزاءاً لما بين يديها: أي لما تقدّم من ذنوبهم في اعتدائهم يوم السّبت.

﴿**وموعظة**﴾ عظة وعبرة. ﴿**للمتّقين**﴾ للمؤمنين من أُمّة محمّد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

﴿**وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ الآية: وذلك إنّه وجد قتيل في بني إسرائيل إسمه عاميل ولم يدروا قاتله واختلفوا في قاتله والسبب في قتله فقال عطاء والسّدي: كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين لاوارث له غيره فلمّا طال عليه موته قتله ليرثه.

وقال بعضهم: وكان تحت عاميل بنت عم له لم يكن لها مثلاً في بني إسرائيل بالحسن والجمال فقتله ابن عمّه لينكحها.

وقال ابن الكلبي: قتله ابن أخيه لينكح إبنته فلمّا قتله حمله من قريته إلى قرية أخرى وألقاه هناك.

وقيل: ألقاه بين قريتين.

عكرمة: كان لبني إسرائيل مسجد له إثنا عشر باباً لكلّ سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٨.

قيل: وجرّ إلى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان.

وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثمّ إحتمله فوضعه على باب رجل منهم ثمّ أصبح يطلب بثأره ودمه ويدّعيه عليه. قال: فجاء أولياء القتيل إلى موسى وأتوه بناس وادّعوا عليهم القتل وسألوا القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم خلاف.

وقال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعوا الله ليبيّن لهم ذلك فسأل موسى ربّه فأمرهم بذبح بقرة. فقال لهم موسى: ﴿**إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾.

﴿**قالوا أتتخّذنا هزواً**﴾ يا موسى أي أتستهزيء بنا حين نسألك عن القتيل وتأمرنا بذبح البقرة وإنّما قالوا ذلك لتباعد الأمرين في الظّاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه.

وقرأ ابن محيصن: أيتّخذنا بالياء قال: يعنون الله ولا يستبعد هذا من جهلهم لأنّهم الّذين قالوا ﴿**إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**﴾[1].

وفي هذا ثلاثة لغات هزواً: بالتخفيف والهمز ومثله كُفواً وهي قراءة الأعمش وحمزة وخلف وإسماعيل.

وهزواً وكفواً مثقلان مهموزان وهي قراءة أبي عمرو وأهل الحجاز والشام واختيار الكسائي وأبي عبيد وأبي حاتم.

وهزواً وكفواً مثيلان بغير همزة وفي رواية حفص بن سليمان البزّاز عن عاصم وكلّها لغات صحيحة معناها الاستهزاء فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿**قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين فلمّا علم القوم إنّ ذبح البقرة عزم من الله عزّ وجلّ سألوه الوصف.

﴿**قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي**﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم وإنّما كان تشديدهم تقديراً من الله عزّ وجلّ وحكمة، وكان السبب في ذلك على ما ذكره السّدي وغيره.

إنّ رجلاً في بني إسرائيل كان بارّاً بأبيه وبلغ من برّه به إنّ رجلاً أتاه بلؤلؤة فأبتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل فقال للبائع أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلني حتّى يستيقظ وأعطيك الثمن. قال: فأيقظ أباك واعطني المال. قال: ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف فانتظرني حتّى ينتبه أبي.

فقال الرّجل: فأنا أعط عنك عشرة آلاف إنْ أيقظت أباك وعجلت النقد. قال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إنْ انتظرت إنتباه أبي. ففعل ولم يوقظ الرجل أباه فأعقبه برّه بأبيه أن جعل تلك البقرة عنده وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها.

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨.

قال ابن عبّاس ووهب وغيرهما: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان له عجل فأتى بالعجل الى غيضة وقال: اللّهمّ إنّي استودعك هذه العجلة لابني حتّى يكبر ومات الرّجل فسبيت العجلة في الغيضة وصارت عواناً وكانت تهرب من كل مَن رامها. فلمّا كبر الابن كان بارّاً بوالدته وكان اللّيلة يقسّم ثلاثة أثلاث: يصلّي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمّه ثلثاً فاذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي به السّوق فيبيعه بما شاء الله ثمّ يتصدّق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثاً، وقالت له أمّه يوماً: إنّ أباك ورّثك عجلة وذهب بها إلى غيضه كذا واستودعها الله عز وجل فانطلق اليها فأدعُ اله ابراهيم واسماعيل وإسحاق بأن يردّها عليك، وان من علامتها إنّك إذا نظرت إليها يخيّل إليك إنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهّبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى وقال: أعزم عليك بآله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتّى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بأذن الله وقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته إركبني فأنّ ذلك أهون عليك. فقال الفتى، إنّ أُمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذها بعنقها فقالت البقرة: بأله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليَّ أبداً فأنطلق فأنّك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرّك بوالدتك. وسار الفتى فاستقبله عدوّ الله إبليس في صورة راع فقال: أيّها الفتى إنّي رجل من رعاة البقر إشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتّى إذا بلغت شطر الطّريق ذهبت لأقضي حاجتي صعداً وسط الجبل وما قدرت عليه وإنّي أخشى على نفسي الهلاك، فأن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجني من الموت واعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال: إذهب فتوكّل على الله فلو علم الله منك اليقين بلغك بلا زاد ولا راحلة فقال إبليس: فأن شئت فبعنيها بحكمك، وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها فقال الفتى: إنّ امّي لم تأمرني بهذا فبينا الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الرّاعي فدعاها الفتى بأسم آله إبراهيم فرجعت إليه البقرة فقالت أيّها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذي طار إنّه إبليس عدو الله إختلسني أمّا إنّه لو ركبني لما قدرت عليَّ أبداً فلمّا دعوت آله إبراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردّني إليك لبرّك بوالدتك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتى إلى أمّه، فقالت له: إنّك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الاحتطاب بالنّهار والقيام باللّيل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال بكم أبيعها؟

قالت: بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكانت ثمن البقرة في ذلك الوقت فانطلق بها الفتى إلى السّوق فبعث الله ملكاً إنساناً خلقه بقدرته ليخبر الفتى كيف برّه بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟

قال: بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي. فقال الملك: ستّة دنانير ولا تستأمر أمّك.

فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلاّ برضا أمّي فردّها إلى امّه وأخبرها بالثّمن فقالت: ارجع فبعها ستّة على رضاي فإنطلق الفتى بالبقرة إلى السوق وأتى الملك وقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: انّها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن أستأمرها. قال الملك: فأنني أعطيك إثني عشر على أن لا تستأمرها.

فأتى الفتى ورجع إلى أمّه واخبرها بذلك قالت: إنّ ذلك الرجل الّذي يأتيك ويعطيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليجرّبك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل ذلك فقال له الملك: إذهب إلى أمّك وقل لها بكم هذه البقرة؟ فأنّ موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل فلا تبيعوها إلاّ بملء مسكها دنانير فأمسكوا البقرة، وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وأمرهم بها فقالوا يستوصفون ويصف لهم حتّى وصف تلك البقرة بعينها موافاة له على برّه بوالدته فضلاً منه.

فضلاً منه ورحمة وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿**أدع لنا ربّك**﴾ أيّ سل وهكذا هو في مصحف عبدالله، سلّ لنّا ربّك يبين لنا ماهي؟ وما سنّها؟

قال موسى: إنّه يُعني إن الله يقول: ﴿**إنّها بقرة لا فارض ولا بكر**﴾ لا كبيرة ولا صغيرة وارتفع البكر والفارض بأضمار هي إذ لا هي فارض ولا هي بكر.

مجاهد وأبو عبيدة والأخفش: الفارض الكبيرة المسنّة التي لا تلد يقال له: فرضت ـ تفرض ـ فروضاً.

قال الشاعر:

كميت بهيم اللون ليس بفارض ولا بعوان ذات لون مخصف[1]

وقال الرّاجز:

يا رُبَّ ذي ضغن عليّ فارض له قروء كقروء الحائض[2]

أيّ حقد قديم، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط.

وقال السّدي: البكر: التي لم تلد إلاّ ولداً واحداً وحذف الحاء منها للأختصاص.

﴿**عوان**﴾ نصف بين سنيّن، وقال الأخفش: العوان التي نتجت مراراً وجمعه عون، ويُقال منه: عونت تعويناً.

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٤٤٩، .لسان العرب: ٧ / ٢٠٤.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ١ / ٤٤١.

﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ من ذبح البقرة ولا تكرّروا السؤال.

﴿قالوا ادعُ لنا ربّك يُبين لنا ما لونها﴾ محل (ما) رفع بالأبتداء و ﴿لونها﴾ خبر، وقرأ الضّحاك ﴿لونها﴾ نصباً كانّه عمل فيه لسببين وجعل ما صلة.

﴿قال إنّه يقول إنّها بقرة صفراء فاقع لونها﴾.

قال ابن عبّاس: شديد الصفرة وقال عدي بن زيد:

واني لأسقي الشرب صفراً فاقعاً كأن ذكيّ المسك فيها يعبّق

قتادة وأبو العالية والربيع: صاف.

سعيد بن جبير: صفراء اللون والظلف.

الحسن: السوداء، والعرب تسمي الأسود أصفر. قال الأعشى:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب[1]

قال القتيبي: غلط من قال الصفراء هاهنا السوداء؛ لأنّ هذا غلط في نعوت البقر.

وإنّما هو في نعوت الإبل؛ وذلك أنّ السّوداء من الإبل شربت سوادها صفرة، والآخر إنّه لو اراد السّوداء لما أكده بالفقوع لأنّ الفاقع المبالغ في الصّفرة. كما يُقال: أبيض يفق وأسود حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر.

﴿تسرّ الناظرين﴾ إليها وتعجبهم من حسنها وصفاء لونها؛ لأنّ العين تُسر وتولع بالنظر إلى الشيء.

الحسن قال: من لبس نعلاً صفراء قلّ همّه[2] لأنّ الله يقول: صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين ﴿قالوا أدُع لنا ربّك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة أم عاملة.

﴿إنّ البقر﴾ هذه قراءة العامة، قرأ محمد ذو الشامة الأموي إن الباقر وهو جمع البقر كالجامل لجماعة الجمل وقال الشاعر:

مالي رأيتك بعد عهدك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدّم

قال قطرب: تجمع البقرة ـ بقر، وباقر، وبقير، وبقور، وباقور. فأن قيل: لما قال تشابه والبقر جمع فلم لم يقل تشابهت؟ قيل فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: إنّه ذكر لتذكير بلفظ البقر، كقوله ﴿كأنّهم أعجاز نخل منقعر﴾[3].

---

(١) لسان العرب: ١ / ٣٥٥.

(٢) نسبه في تذكرة الموضوعات لابن عباس: ١٥٨.

(٣) سورة القمر: ٢٠.

وقال المبرّد: سُئل سيبويه عن هذه الآية؟

[فقال:] كل جمع حروفه أقل من حروف واحد فإنّ العرب تُذكّره، واحتج بقول الأعشى:

ودّع هـــريـــرة إن الـــرّكـــب مـــرتـــحـــل

ولم يقل مرتحلون، وقال الزّجاج: معناه إنّ جنس البقر تشابه علينا.

﴿تشابه علينا﴾ وفي تشابه سبع قراءات:

تشابه: بفتح التاء والهاء وتخفيف الشّين وهي قراءة العامة وهو فعل ماض ويذكر موحد.

وقرأ الحسن: تشابه: بتاء مفتوحة وهاء مضمومة وتخفيف الشّين اراد تَشابهُ.

وقرأ الأعرج: تشابه: بفتح التاء وتشديد الشّين وضم الهاء على معنى يتشابه.

وقرأ مجاهد: تشبّه، كقراءة الأعرج إلاّ إنّه بغير ألف لقولهم: تحمل وتحامل.

وفي مصحف أُبي: تشابهت على وزن تفاعلت [فالتاء] لتأنيث البقر.

وقرأ ابن أبي إسحاق: تشابهت بتشديد الشين قال أبو حاتم: هذا غلط لأن التاء لا تدغم في هذا الباب إلاّ في المضارعة(١).

وقرأ الأعمش: متشابه علينا ـ جعله أسماً.

ومعنى الآية: إلتبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه.

﴿وإنّا إنْ شاءَ الله لمهتدون﴾ إلى وصفها.

قال رسول الله ﷺ: «وأيم الله لئن لم يستبينوا لما تبينت لهم آخر الأبد» [٩٠].

﴿قال إنّه يقول إنّها بقرة لا ذلول﴾ مذلّلة بالعمل ـ يُقال: رجل ذليل بيّن الذّل، ودابة ذلولة بيّنة الذّل.

﴿تثير الأرض﴾ أي مثلها للزراعة.

﴿ولا تسقي الحرث مُسلّمة﴾ بريئة من العيوب، وقال الحسن: مسلّمة القوائم ليس فيها أثر العمل.

﴿لا شية فيها﴾ قال عطاء: لا عيب فيها.

قال قتادة: لا بياض فيها أصلاً.

مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد.

---

(١) راجع تفسير القرطبي: ١ / ٤٥٢.

محمّد بن كعب: لا لون فيها يخالف معظم لونها.

فلما قال هذا **﴿قالوا الآن جئت بالحقّ﴾** أي بالوصف التام البين.

قيل: كانت البقرة التي أحيا بها القتيل لوارثه الذي قتله، وكان أوّل من فتح السؤال عنها رجاء أن لا يجدوها فطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلاّ عند الفتى البار. فاشتروها منه بملء مسكنها ذهباً.

وقال السدّي: اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً.

﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ من غلاء ثمنها.

وقال محمّد بن كعب: وما كادوا يجدونها بإجتماع أوصافها.

﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ يعني عاميل، وهذه الآية أوّل القصّة.

﴿فادّارأتم﴾ فاختلفتم **﴿فيها﴾** قاله ابن عبّاس ومجاهد ومنه قول القائل في رسول الله ﷺ: كان يُزكي فكان خير شريك لا يداري ولا يُماري.

قال الضّحاك: اختصمتم.

عبد العزيز بن يحيى: شككتم.

الربيع بن أنس: تدافعتم، وأصل الدراء: الدفع يعني ألقى ذلك على هذا وهذا على ذاك؛ فدافع كل واحد عن نفسه كقوله تعالى **﴿ويدرؤن بالحسنة السّيئة﴾**[1]، وقوله **﴿ويدرأ عنها العذاب﴾**[2]، وأصل قوله [.........][3] والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدُّعاء المأثور [.........][4] وأصل: فادارأتم فتدارأتم فأُدغمت التاء في الدّال وادخلت الألف ليسلم سكون الحرف الأولي بمثل قوله **﴿أثاقلتم﴾**[5].

﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ تخفون.

﴿فقلنا اضربوه﴾ يعني القتيل.

﴿ببعضها﴾ أي ببعض البقرة: فاختلفوا في هذا البعض ما هو؟

---

(١) سورة الرعد: ٢٢، سورة القصص: ٥٤.

(٢) سورة النور: ٨.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) كلمة غير مقروءة.

(٥) سورة التوبة: ٣٩.

فقال ابن عبّاس: اضربوه بالعظم الذي يلي الفخذين وهو المقتل.

الضحّاك: بلسانها. قال الحسين بن الفضل: وهذا أولى الأقاويل لأنّ المراد كان من احياء القتيل كلامه واللسان آلته.

سعيد بن جبير: ضربت بذنبها. قال يمان: وهو أولى التأويلات بالصواب لأنّ العصعص أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وأنّه أوّل ما يخلق وآخر ما يُبلى.

مجاهد: بذنبها.

عكرمة والكلبي: بفخذها الأيمن.

السّدي: بالبضعة التي بين كتفيها، وقيل: باذنها.

ففعلوا ذلك فقام القتيل حيّاً بإذن الله وأوداجها تشخب دماً وقال: قتلني فلان. ثمّ سقط ومات مكانه، وفي الآية اختصار، وتقديرها: فقلنا اضربوه ببعضها فضرب فحيي كقوله تعالى **﴿ومَنْ كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر﴾**[1] يعني فافطر فعدة، وقوله **﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية﴾**[2] أي فحلق ففدية.

﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ كما أحيا عاميل بعد موته كذلك يُحيي الله الموتى.

﴿ويُريكم آياته﴾ دلائل آياته. **﴿لعلّكم تعقلون﴾** وقال الواقدي: كل شيء في القرآن فهو بمعنى لكي غير التي في الشعراء: **﴿وتتّخذون مصانع لعلّكم تخلدون﴾**[3] فإنه بمعنى: كأنّكم تخلدون فلا تموتون.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.
(٢) سورة البقرة: ١٩٦.
(٣) سورة الشعراء: ١٢٩.

﴿ثمّ قست قلوبكم من بعد﴾ قال الكلبي: قالوا بعد ذلك لم نقتله، وأمكروا فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيّهم منهم عند ذلك قال الله: ﴿ثمّ قست قلوبكم﴾ الكلبي وأبو روق: يبست واشتدت وقال سائق البربري:

ولا ارى أثـراً لـلـذكـر فـي جـسـدي والـحـبـل فـي الـجـبـل الـقـاسـي لـه أثـر

أبو عبيدة: جفّت.

الواقدي: جفّت من الشّدة فلم تلن.

المؤرّخ: غلظت، وقيل: اسودّت.

قال الزجاج: تأويل القسوة ذهاب اللّين، [وقال سيبوية] والخشوع والخضوع.

﴿ذلك﴾ أي بعد ظهور الدلالات.

﴿فهي﴾ غلظها وشدتها.

﴿كالحجارة أو أشد قسوة﴾ أي بل أشد قسوة كقول الشاعر:

[بدت] مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصـورتـهـا أو أنـت فـي الـعـيـن أمـلـح[١]

أي بل، وقيل: هو بمعنى الواو والألف صلة أي وأشد قسوة. كقوله تعالى ﴿أثماً أو كفوراً﴾[٢] أيّ وكفوراً.

وقرأ أبو حياة: أو أشد قساوة، وقال الكسائي: القسوة والقساوة واحد كالشقوة والشّقاوة ثمّ عذر الحجارة وفضلها على القلب القاسي فقال ﴿وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار﴾ وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون كقوله ﴿فانفجرت﴾[٣]، وفي مصحف أُبي: منها الأنهار ـ ردّ الكناية إلى الحجارة ـ.

﴿وأنّ منها لمّا يشقّق﴾ أي يتشقق هكذا قرأها الأعمش.

﴿فيخرج منه الماء وأنّ منها لما يهبط﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله.

﴿من خشية الله﴾ عزّ وجلّ وقلوبكم يا معاشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير.

﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ وعيد وتهديد أي بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به.

﴿أفتطمعون﴾ أي فترجون يعني محمّد ﷺ وأصحابه.

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٢٨١.

(٢) سورة الإنسان: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ٦٠.

﴿أن يؤمنوا لكم﴾ لن يصدّقكم اليهود.

﴿وقد كان فريق منهم﴾ طائفة منهم.

﴿يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة.

﴿ثمّ يحرفونه﴾ أي يُغيرونه أي ما فيه من الأحكام.

﴿من بعد ما عقلوه﴾ علموه وفهموه كما غيّروا آية الرّجم وصفه محمّد ﷺ.

﴿وهم يعلمون﴾ إنهم كاذبون ـ هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة ووهب والسّدي.

وقال ابن عبّاس ومقاتل: نزلت هذه الآية في السبعين المختارين؛ وذلك إنّهم لما ذهبوا مع موسى إلى الميقات وسمعوا كلام الله وما يأمره وما ينهاه رجعوا إلى قومهم فأمّا الصّادقون فأدّوا كما سمعوه وقالت طائفة منهم: سمعنا الله في آخر كلامه يقول: إنْ إستطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا فأن شئم فلا تفعلوا ولا بأس.

﴿وإذا لقوا﴾ قرأ ابن السُّميقع لاقوا: يعني منافقي اليهود.

﴿الذين آمنوا﴾ بألسنتهم لابقلوبهم أبا بكر وأصحابه من المؤمنين.

﴿قالوا آمنّا﴾ كأيمانكم وشهدنا أنّ محمداً صادق نجده في كتابنا بنعته وصفته.

﴿وإذا خلا﴾ رجع بعضهم إلى بعض أي كعب بن الأشراف وكعب بن أسيد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود ولامُوهم على ذلك و ـ **﴿قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾** قال الكلبي: بما قضى الله عليكم في كتابكم أنّ محمّداً حق وقوله صدق، وقال القاضي الفتاح الكسائي: بما بيّنه لكم في كتابكم [من العلم ببعث محمد والبشارة به].

الواقدي: بما أنزل الله في الدنيا والآخرة عليكم نظير **﴿لفتحنا عليهم بركات من السّماء والأرض﴾**(١) أي أنزلناه.

أبو عبيدة والأخفش: بما منّ الله عليكم وأعطاكم.

﴿ليحاجّوكم﴾ ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عليكم [يعني أصحاب محمد].

﴿به عند ربّكم﴾ وقال بعضهم: هو أنّ الرجل من المسلمين كلما يلقي قرينه وحليفه وصديقه من اليهود فيسأله عن أمر محمّد ﷺ فيقولون إنّه لحق [فيقولون قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثمّ تتبعونه] وهو نبيّ. فيرجعون إلى رؤسائهم فيلومونهم على ذلك.

قال السّدي: كان ناس من اليهود آمنوا ثمّ نافقوا وكان يحدثون المؤمنين بما عُذبوا به ـ

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

فقال لهم رؤسائهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي أنزل من العذاب ليعُيروكم به ويقولوا: نحن أكرم على الله منكم.

[ابن جرير عن] القاسم بن أبي برة: هذا قول يهود قريظة بعضهم لبعض حين سبّهم النبيّ ﷺ: فقال: يا إخوان القردة والخنازير وعبدة الطّاغوت، فقالوا: من أخبر محمّداً بهذا؟ ما خرج هذا إلاّ منكم.

﴿أفلا تعقلون﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانيّة.

قال الله **﴿أولا يعلمون أنَّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾** ما يخفون وما يبدون يعني اليهود، وقرأ ابن محيصن «ما» على الخطاب **﴿ومنهم﴾** من اليهود.

﴿أمّيّون﴾ قال ابن عبّاس وقتادة: يعني غير عارفين معاني الكتاب. يعلمونه حفظاً وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه.

وقال الكلبي: لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته ودليل هذا التأويل قول النبيّ ﷺ: «إنّا أمّة أُمّية لا نكتب ولا نحاسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا» [٩١].

وقال أهل المعاني: الأُمّي منسوب إلى الأمة وما عليه العامة معنى الأُمي: العامي الذي لا تمييز له، أو هو جمع أُمي منسوب إلى الأُم كأنّه باق على [الحقيقة] حذفت منه هاء التأنيث لأنّها زائدة وياء النسبة زائدة، ونقلت فرقاً بينها وبين ياء الأضافة.

﴿لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ﴾ قرأ العامّة بتشديد الياء.

وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج **﴿أماني﴾** بتخفيف الياء في كلّ القرآن حذفوا إحدى اليائين استحفافاً وهي ياء الجمع مثل مفاتح ومفاتيح.

وقال أبو حاتم: كل جمع من هذا الجنس واحد مشدّد فلك فيه التّضعيف والتشديد مثل فخاتي وأماني وأغاني وغيرها واختلفوا في معنى الأمانيّ، وقال الكلبي بمعنى لا يعلمون إلاّ ما تحدّثهم بهم علماؤهم.

أبو روق وأبو عبيدة: تلاوة وقراءة على ظهر القلب ولا يقرؤنها في الكتب، يدلّ عليه قوله تعالى: **﴿إلاّ اذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته﴾**[1] وقرآنه.

قال الشاعر:

تمنّى كتاب الله أوّل ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

(١) سورة الحجّ: ٥٢.

مجاهد وقتادة: كذباً وباطلاً.

الفرّاء: الأماني: الأحاديث المفتعلة.

قال بعض العرب لابن [دلب]: أهذا شيء رويته أم تمنيته؟

وأراد بأماني الأنبياء التّي كتبها علماؤهم من قبل أنفسهم ثمّ أضافوها إلى الله عزّ وجلّ من تغيير نعت محمّد ﷺ.

الحسن وأبو العالية: يعني يتمنوّن على الله الباطل والكذب مثل قولهم **﴿لن تمسّنا النّار إلاّ أيّاماً معدودة﴾**[1] وقولهم: **﴿لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً﴾**[2]، وقولهم **﴿نحن أبناء الله وأحبّاؤه﴾**[3].

﴿وإن هم﴾ ما هم. **﴿إلاّ يظنّون﴾** ظنّاً ووهماً لا حقيقة ويقيناً قاله قتادة والرّبيع.

وقال مجاهد: [. . . يكذبون].

﴿فويلٌ﴾ روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «الويل واد في جهنّم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ إلى قعره» [٩٢].

سعيد بن المسيب: وادٍ في جهنّم لو سرت فيه جبال الدّنيا لماعت من شدّة حرّها.

ابن بريدة: جبل من قيح ودم.

ابن عبّاس: شدّة العذاب.

ابن كيسان: كلمة يقولها كلّ مكروب.

الزجّاج: كلمة يستغلّها كل واقع في الهلكة وأصلها العذاب والهلاك.

وقيل: هو دعاء الكفّار على أنفسهم بالويل والثّبور.

﴿للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ وذلك إنّ أحبار اليهود خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم حين قدم النبيّ ﷺ المدينة واحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوّراة وكان صفته فيها حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العين، ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طويل أزرق، سبط الشعر. فإذا سألهم سفلتهم عن محمّد ﷺ قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفة محمّد ﷺ فيكذبونه قال الله تعالى: **﴿فويل لهم ممّا كتبت أيديهم﴾** من تغيير نعت محمّد.

---

(١) سورة البقرة: ٨٠.
(٢) سورة البقرة: ١١١.
(٣) سورة المائدة: ١٨.

﴿وويل لهم ممّا يكسبون﴾ من المأكول ولفظة الأيدي للتأكيد كقولهم مشيت برجلي ورأيت بعيني. قال الله تعالى: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾[1].

قال الشّاعر:

نظرت فلم تنظر بعينك منظراً

وقال أبو مالك: نزلت هذه الآية في الكاتب الّذي يكتب لرسول الله ﷺ وقد كان قرأ البقرة وآل عمران، وكان النبيّ ﷺ يملي: غفوراً رحيماً، فيكتب: عليماً حكيماً، فيقول له النبيّ ﷺ: «اكتب كيف شئت» ويملي عليه: عليماً حكيماً، فيكتب: سميعاً بصيراً، فيقول النبيّ ﷺ: «اكتب كيف شئت» قال: فارتدّ ذلك الرّجل عن الإسلام ولحق بالمشركين.

قال: أما يعلمكم محمّد ﷺ أن كنت لأكتب ما شئت أنا، فمات ذلك الرّجل فقال النبيّ ﷺ: «إنّ الأرض لا تقبله» [٩٣].

قال: فأخبرني أبو طلحة: إنّه أتى الأرض الّتي بات فيها فوجده منبوذاً، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا؟ قالوا: دفنّاه مراراً فلم تقبله الأرض.

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

﴿وقالوا﴾ يعني اليهود.

﴿لن تمسّنا النّار إلاّ أيّاماً معدودة﴾ قدراً مقدّراً ثمّ يزول عنّا العذاب وينقطع، واختلفوا في هذه الأيّام ماهي.

وقال ابن عبّاس ومجاهد: قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود يقولون: مدّة الدّنيا سبعة آلاف سنة وإنّما نعذّب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثمّ ينقطع العذاب بعد سبعة أيّام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد أباؤهم فيها العجل وهي مدّة غيبة موسى عليه السلام عنهم.

الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إنّ ربّنا عتب علينا في أمرنا أقسم ليعذّبنا أربعين ليلة ثمّ يدخلنا الجنّة فلن تمسّنا النار إلاّ أربعين يوماً تحلّة القسم فقال الله تعالى تكذيباً لهم: قل يا محمّد **﴿قل أتخذتم﴾** ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل.

﴿عند الله عهداً﴾ موثقاً ألاّ يعذّبكم إلاّ هذه المدّة.

﴿فلن يخلف الله عهده﴾ وعده، وقال ابن مسعود: بالتوّعد يدلّ عليه قوله تعالى **﴿إلاّ من اتّخذ عند الرحمٰن عهداً﴾**[١] يعني قال: لا إله إلاّ الله مخلصاً **﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾** قال **﴿بلى﴾** «بل وبلى» حرفا استدراك ولهما معنيان لنفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل، قال الكسائي: الفرق بين (بلى ونعم)، إنّ بلى: أقرار بعد جحود، ونعم: جواب استفهام بغير جحد، فإذا قال: ألست فعلت كذا، فيقول: بلى، وإذا قال: ألم تفعل كذا؟

فيقول: بلى، وإذا قا: ل أفعلت كذا؟ فيقول: نعم.

قال الله تعالى **﴿ألم يأتكم نذير قالوا بلى﴾**[٢] وقال **﴿ألست بربّكم قالوا بلى﴾**[٣] وقال في غير الجحود **﴿فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً قالوا نعم﴾**[٤] **وقالوا أئِنّا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون﴾**[٥] قل نعم وإنّما قال هاهنا بلى للجحود الّذي قبله وهو قوله **﴿لن تمسّنا النّار إلاّ أيّاماً معدودة﴾**

﴿من كسب سيئةً﴾ يعني الشرك.

﴿وأحاطت به خطيئته﴾ قرأ أهل المدينة خطيّاته بالجمع، وقرأ الباقون خطيته على الواحدة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والاحاطة الاحفاف بالشيء من جميع نواحيه واختلفوا في معناها هاهنا.

وقال ابن عبّاس والضحاك وعطاء وأبو العالية والربيع وابن زيد: هي الشرك يموت الرجل عليه فجعلوا الخطيئة الشّرك.

قال بعضهم: هي الذّنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النّار.

---

(١) سورة مريم: ٨٧.
(٢) سورة الملك: ٨.
(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.
(٤) سورة الأعراف: ٤٤.
(٥) سورة الصافات: ١٧.

أبو زرين عن الربيع بن خيثم في قوله تعالى: **﴿واحاطت به خطيئته﴾** قال: هو الّذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب ومثله قال عكرمة وقال مقاتل: أصرّ عليها.

مجاهد: هي الذّنوب تحيط بالقلب كلّما عمل ذنباً إرتفعت حتّى تغشى القلب وهو الرّين.

وعن سلام بن مسكين أنّه سأل رجل الحسن عن هذه الآية؟

فقال السّائل: يا سبحان الله إلاّ أراك ذا لحية وما تدري ما محاطة الخطيئة! انظر في المصحف فكل آية نهى الله عزّ وجلّ عنها وأخبرك إنّه من عمل بها أدخله النّار فهي الخطيئة المحيطة.

الكلبي: أو بقته ذنوبه دليله قوله تعالى **﴿إلاّ أن يحاط بكم﴾**[١]: أي تهلكوا جميعاً.

وعن ابن عبّاس: أحيطت بما له من حسنة فأحبطته.

﴿فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون﴾ [وهذا من العام المخصوص بصور منها إلاّ من تاب بعد أن حمل على ظاهره][٢] **﴿والّذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾**.

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ في التّوراة. قال ابن عبّاس: الميثاق: العهد الجديد.

﴿لا تعبدون﴾ بالياء قرأه ابن كثير وحميد وحمزة والكسائي.

الباقون: بالتّاء وهو إختيار أبي عبيد وأبو حاتم.

قال ابو عمرو: ألا تراه يقول **﴿وقولوا للنّاس حسناً﴾**[٣] فذلك المخاطبة على التّاء.

قال الكسائي: إنّما ارتفع لا يعبدون لأنّ معناه أخذنا ميثاق بني إسرائيل أن لا تعبدوا إلاّ الله فلمّا ألقى أن رفع الفعل ومثله قوله **﴿لا تسفكون﴾**، نظير قوله عزّ وجلّ **﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾**[٤]: يريد أن أعبد فلمّا حذفت النّاصبة عاد الفعل إلى المضارعة.

وقال طرفة:

ألا أيّهذا الزاجري احضر الوغى وأنْ أشهدَ اللّذاتِ هل أنت مخلدي[٥]

يريد أن أحضر، فلمّا نزع (أنْ) رفعه.

---

(١) سورة يوسف: ٦٦.

(٢) عن هامش المخطوط.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) سورة الزمر: ٦٤.

(٥) مجمع البيان: ١/ ٢٩٧.

وقرأ أُبي بن كعب: لا تعبدوا جزماً على النهي أي وقلنا لهم لا تعبدوا الاّ الله **﴿وبالوالدين إحسانا﴾** ووصّينا هم بالوالدين إحسانا برّاً بهما وعطفاً عليهما.

وانّما قال بالوالدين واحدهما والدة؛ لأنّ المذكّر والمؤنّث إذا اقتربا غلب المذكّر لخفّته وقوتّه.

﴿وذي القربى﴾ أي وبذي القرابة، والقربى مصدر على وزن فعلى كالحسنى والشّعرى.

قال طرفة:

وقربت بالقربى وجدك له يني فتحايك امر للنكيثة أشهد.

﴿واليتامى﴾ جمع يتيم مثل ندامى ونديم وهو الطفل الذي لا أبَّ له.

﴿والمساكين﴾ يعني الفقراء.

﴿وقولوا للنّاس حسنا﴾ اختلفت القراءة فيه فقرأ زيد بن ثابت وأبو العالية وعاصم وأبو عمرو **﴿حُسْنا﴾** بضم الحَاء وجزم السّين وهو اختيار أبي حاتم دليله قوله عزّ وجلّ: **﴿بوالديه حسنا﴾**(١) وقوله تعالى: **﴿ثمّ بدّل حسنا﴾**(٢).

وقرأ ابن مسعود وخلف حَسنا بفتح الحاء والسّين وهو اختيار أبي عبيد وقوله: إنّما إخترناها لأنها نعت بمعنى قولاً حسناً.

وقرأ ابن عمر: حُسُنا بضم الحاء والسّين والتنوين مثل الرّعب والنّصب والسّحت والسُحق ونحوها.

وقرأ عاصم والجحدري: احساناً بالألف.

وقرأ أبي بن كعب وطلحة بن مصرف: حسنى وقرنت بالقربى بالتأنيث مرسلة.

قال الثعلبي: سمعت القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عبدوس يقول: مجازه كلمة حسنى ومعناه قولوا للنّاس صدقاً وحقّاً في شأن محمّد ﷺ فمن سألكم عنه فأصدقوه وبينوا له صفته ولا تكتموا أمره ولا تغيروا نعته هذا قول ابن عبّاس وابن جبير وابن جريج ومقاتل دليله قوله **﴿ألم يعدكم ربّكم وعداً حسناً﴾**(٣) أي صدقاً.

وقال محمّد بن الحنفية: هذه الأية تشمل البرّ والفاجر.

وقال سفيان الثّوري: ائمروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر.

---

(١) سورة العنكبوت: ٨.
(٢) سورة النمل: ١١.
(٣) سورة طه: ٨٦.

﴿وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة ثمّ تولّيتم﴾ أي أعرضتم عن العهد والميثاق **﴿إلاّ قليلاً منكم﴾** نصب على الإستثناء.

﴿وأنتم معرضون﴾ وذلك أن قوماً منهم آمنوا.

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون﴾ لا تريقون **﴿دماءكم﴾** وقرأ طلحة بن مصرف تسفكون بضم الفاء وهما لغتان مثل يعرشون ويعكفون.

وقرأ أبو مجلز: تسفكون بالتشديد على التكثير.

وقال ابن عبّاس وقتادة: معناه لا يسفك بعضكم دم بعض بغير حق وإنّما قال (دماءكم) لمعنيين: أحدهما إن كلّ قوم إجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة.

والآخر: هو أنّ الرجل إذا قتل غيره كأنّما قتل نفسه لأنّه يقاد ويقتصّ منه **﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾** أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره [ولا تسبوا من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم][1].

﴿ثمّ أقررتم﴾ بهذا العهد إنّه حقّ.

﴿وأنتم تشهدون﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦)﴾

﴿ثمّ أنتم هؤلاء﴾ يعني يا هؤلاء فحذف النّداء للإستغناء بدلالة الكلام عليه كقوله: **﴿ذرّية من حملنا﴾**[2] فهؤلاء للتنبيه ومبني على الكسرة مثل أنتم **﴿تقتلون أنفسكم﴾** قرآءة العامّة بالتخفيف من القتل.

وقرأ الحسن: تقتلون بالتثقيل من التقتيل.

﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم﴾ قراءة العامّة وهم أهل الحجاز والشّام وأبو عمرو ويعقوب: تظاهرون بتشديد الظاء، واختاره أبو حاتم ومعناه تتظاهرون فأدغم التّاء في الظّاء مثل: أثاقلتم وادّاركوا.

---

(١) عن هامش المخطوط.

(٢) سورة الاسراء: ٣.

وقرأ عاصم والأعمش وحمزة وطلحة والحسن وأبو عبد الرحمن وأبو رجاء والكسائي: تظاهرون بتخفيف الظاء، واختاره أبو عبيد ووجه هذه القراءة: إنّهم حذفوا تّاء الفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله ﴿**ولا تعاونوا**﴾[١] وقوله ﴿**ما لكم لا تناصرون**﴾[٢].

وقال الشّاعر:

تعاطسون جميعاً حول داركم فكلّكم يا بني حمّان مزكوم.

وقرأ أُبي ومجاهد: تظهّرون مشدداً بغير ألف أي تتظهّرون [.........][٣] جميعاً تعاونون، والظهر: العون سمّي بذلك لإسناد ظهره إلى ظهر صاحبه.

وقال الشّاعر:

تكثّر من الاخوان ما اسطعت [.....][٤] اذا إستنجدتهم فظهيرُ

وما بكثير ألف خل وصاحب وانّ عدوّاً واحداً لكثيرُ

﴿**بالإثّم والعدوان**﴾ بالمعصية والظلم.

﴿**وإن يأتوكم أُسارى تفدوهم**﴾ قرأ عبد الرحمن السّلمي ومجاهد وابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل والجحدري وأبو عمرو وابن عامر: (أُسارى تفدوهم) بغير ألف، وقرأ الحسن: (أسرى) بغير ألف (تفادوهم) بألالف، وقرأ النخعي وطلحة والأعمش ويحيى بن رئاب وحمزة وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق: (أسرى تفدوهم) كلاهما بغير ألف وهي إختيار أبي عبيدة.

وقرأ أبو رجاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وقتادة والكسائي ويعقوب: (أُسارى تفادوهم) كلاهما بالألف، واختاره أبو حاتم.

فالأسرى: جمع أسير مثل جريح وجرحى، ومريض ومرضى، وصريع وصرعى، والأسارى: جمع أسير أيضاً مثل كُسالى وسُكارى، ويجوز أن يكون جمع أسرى نحو قولك: أمرأة سكرى ونساءٌ سُكارى، ولم يفرق بينهما أحد من العلماء الأثبات إلاّ أبو عمرو.

روى أبو هشام عن جبير الجعفي عن أبي عمرو قال: ما أُسر فهو أُسارى ومالم يؤسر فهو أُسرى، وروي عنه من وجه آخر قال: ما صار في أيديهم فهم أُسارى، وما جاء مستأسراً فهو أسرى.

عن أبي بكر النقاش قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلب وقد قيل له هذا الكلام عن أبي عمرو فقال: هذا كلام المجانين. يعني لافرق بينهما.

---

(١) سورة المائدة: ٢. (٢) سورة الصافات: ٢٥.

(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

وحُكي عن أبي سعيد الضرير إنّه قال: الأُساري: هم المقيدّون المشدَّدون والأسرى: هم المأسورون غير المقيدين. فأما قولهم تفدوهم بالمال وتنقذوهم بفدية أو بشيء آخر، وتفادوهم: تبادلوهم اراد مفاداة الأسير بالأسير، وأسرى: في محل نصب على الحال.

فأما معنى الآية ـ قال السّدي: إنّ الله عزّ وجلّ أخذ على بني إسرئيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم فأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام ثمنه فاعتقوه. فكانت قريظة خُلفاء الأوس، والنّضير خُلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في حرب نمير. فيُقاتل بنو قريظة مع حلفائهم، وبنو النّضير مع حلفائهم، وإذا غلبوا خرّبوا ديارهم وأخرجوهم منها فإذا أُسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتّى يفدوه وإن كان الاسير من عدوهم فيُعيّرهم العرب بذلك وتقول: كيف يقاتلونهم ويفدونهم. .! ويقولن: إنّا قد أمرنا أنْ نفديهم وحُرّم علينا قتالهم. قالوا: فَلِمَ تقاتلونهم؟

قالوا: نستحي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيّرهم الله تعالى فقال: ﴿**ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم**﴾ الآية، وفي الآية تقديم وتأخير نظمها: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثمّ والعدوان ﴿**وهو محرّم عليكم إخراجهم**﴾ وأن يأتوكم أُسارى تفدوهم.

وكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتل، وترك الأخراج، وترك المظاهرة عليهم مع اعدائهم وفداء أُسرائهم. فأعرضوا عن كل ما أُمروا إلاّ الفداء. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**﴾ فأيمانهم بالفداء وكفرهم بالقتل والأخراج والمظاهرة. قال مجاهد: يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته، وأنت تقتله بيدك، وقيل: معناه يستعملون البعض ويتركون البعض، تفادون أُسراء قبيلتكم وتتركون أُسراء أهل ملّتكم فلا تفادونهم.

قال الله عزّ وجلّ ﴿**فما جزاء من يفعل ذلك منكم**﴾ يا معشر اليهود ﴿**إلاّ خزي**﴾ عذاب هوان.

﴿**في الحياة الدُّنيا**﴾ فكان خزي قريظة القتل والسّبي، وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم وجنانهم إلى أذرعات وريحا من الشّام.

﴿**ويوم القيامة يُردون إلى أشد العذاب**﴾ وهو عذاب النّار وقرأ أبو عبد الرحمن السّلمي وأبو رجاء والحسن: تُردّون بالتاء، لقوله ﴿**أفتؤمنون**﴾.

﴿**وما الله بغافل عمّا تعملون**﴾ بالتاء مدني وأبو بكر ويعقوب الباقون: بالتاء.

﴿**أولئك الذين اشتروا**﴾ استبدلوا.

﴿الحياة الدُّنيا بالآخرة فلا يخفف﴾ يهوّن ويُرفّه.

﴿عنهم العذاب ولاهم يُنصرون﴾ يمنعون من عذاب الله.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

﴿ولقد آتينا﴾ أعطينا.

﴿موسى الكتاب﴾ التوراة جملة واحدة.

﴿وقفينا﴾ أردفنا واتبعنا.

﴿من بعده بالرسل﴾ رسولاً بعد رسول. يُقال: مضى أثرهُ وقفا غيره؛ في التعدية وهو مأخوذ من قفا الأنسان قال الله ﴿ولا تقف ماليس لك به علم﴾[(١)]، وقال أُمية بن الصّلت:

قالت لأخت له قُصيه عن جنب وكيف تقفو ولا سهل ولا جدد

﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ العلامات الواضحات والدلالات اللايحات وهي التي ذكرها الله عزّ وجلّ في سورة آل عمران والمائدة.

﴿وأيدناهُ﴾ قويناه وأعناه من الآد والأيد[(٢)]، مجاهد: أيدناه بالمد وهما لغتان مثل كرّم وأكرم.

﴿بروح القدس﴾ خفف ابن كثير القدس في كل القرآن، وثقله الآخرون، وهما لغتان مثل الرّعب والسّحت ونحوهما، واختلفوا في روح القدس فقال الربيع وعكرمة: هو الرّوح الذي نفخ فيه إضافة إلى نفسه؛ تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله، وناقة الله وعبد الله، والقدس: هو اللهعزّ وجلّ يدلّ عليه قوله تعالى ﴿وروح منه﴾[(٣)] وقوله ﴿ونفخنا فيه من روحنا﴾

والآخرون: أرادوا بالقدس الطهارة يعني الرّوح الطاهر سمّى روحه قدساً؛ لأنّه لم يتضمنه

---

(١) سورة الاسراء: ٣٦.

(٢) راجع تفسير الطبري: ١ / ٥٦٨.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنّما كان أمراً من الله تعالى.

السّدي والضّحاك وقتادة وكعب: الروح القدس: جبرئيل قال الحسن: القدس: هو الله وروحه جبرئيل.

السّدي: القدس: البركة وقد عظّم الله بركة جبرئيل إذ أنزل الله عامة وحيه إلى أنبيائه على لسانه وتأييد عيسى عليه السلام بجبرئيل هو إنّه كان قرينه يسير معه حيثما شاء والآخر إنّه صعد به إلى السّماء، ودليل هذا التأويل قوله تعالى ﴿**قل نزّله روح القدس من ربّك بالحقّ**﴾(١).

وقال ابن عبّاس وسعيد بن جبير وعبيد بن عمير: هو اسم الله الأعظم وبه كان يُحيي الموتى ويُري النّاس تلك العجائب.

وقال ابن زيد: هو الأنجيل جُعل له روحاً كما جعل القرآن لمحمّد صلى الله عليه وسلم روحاً، يدلّ عليه قوله تعالى ﴿**وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمِرنا**﴾(٢) فلمّا سمعت اليهود بذكر عيسى عليه السلام قالوا: يا محمّد لا مثل عيسى كما زعمت ولا كما يقصّ علينا من الأنبياء(عليهم السلام) قالوا: فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**أفكلّما جآءكم**﴾ يا معشر اليهود ﴿**رسولٌ بما لا تهوى**﴾ لا تحب ولا توافق.

﴿**أنفسكم استكبرتم**﴾ تكبّرتم وتعظمتم عن الأيمان به.

﴿**ففريقاً**﴾ طائفة سُميّت بذلك لأنّها فرقت من الحملة.

﴿**كذّبتم**﴾ عيسى ومحمّداً.

﴿**فريقاً تقتلون**﴾ أيّ قتلتم زكريا ويحيى وسائر من قُتلوا من الأنبياء.

﴿**وقالوا**﴾ يعني اليهود ﴿**قلوبنا غلف**﴾ قرأ ابن محيصن بضم اللام، وقرأ الباقون بجزمه. فمن خففه فهو جمع الأغلف مثل أصفر وصُفر ـ وأحمر وحُمر وهو الذي عليه غطاء وغشاء بمنزلة الأغلف غير المختون فالأغلف والأعلف واحد ومعناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمّد.

قاله مجاهد وقتادة نظيره قوله عزّ وجلّ ﴿**وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه**﴾(٣)، ومن ثقّل فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب وكتاب وكتب، ومعناه: قلوبنا أوعية لكلّ علم فلا نحتاج إلى علمك وكتابك. قالهُ عطاء وابن عبّاس.

---

(١) سورة النحل: ١٠٢.

(٢) سورة الشورى: ٥٢.

(٣) سورة فصّلت: ٥.

وقال الكلبي: يريدون أوعية لكلّ علم فهي لا تسمع حديثاً إلاّ وعته إلاّ حديثك لا تفقهه ولا تعيه ولو كان فيه خيراً لفهمته ووعته.

قال الله عزّ وجلّ ﴿**بل لعنهم الله بكفرهم**﴾ وأصل اللعن الطرد والأبعاد تقول العرب [نماء] ولعين أي بُعد. قال الشّماخ:

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرّجل اللعين[1]

فمعنى قوله: لعنهم الله طردّهم وأبعدهم من كل خير، وقال النضر بن شميل: الملعون المخزي المهلك.

﴿**فقليلاً ما يؤمنون**﴾ معناه لا يؤمن منهم إلاّ قليلاً؛ لأنّ من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، قاله قتادة، وعلى هذا القول ما: صلة معناه فقليلاً يؤمنون، ونصب قليلاً على الحال.

وقال معمر: معناه لا يؤمنون إلاّ بقليل بما في أيديهم ويكفرون بأكثره، وعلى هذا القول يكون ﴿**قليلاً**﴾ منصوباً بنزع حرف الصّفة وما صلة أيّ فبقليل يؤمنون.

وقال الواقدي وغيره: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، وهذا كقول الرّجل لأخر: ما قل ما تفعل وكذا يريد لا تفعله البتة.

وروى الفراء عن الكسائي: مررنا بأرض قلَّ ما ينبت الكراث والبصل يريدون لا ينبت شيئاً.

﴿**ولمّا جآءهم كتابٌ من عند الله**﴾ يعني القرآن.

﴿**مُصدّقٌ**﴾ موافق ﴿**لما معهم**﴾ وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة مصدقاً بالنّصب على الحال.

﴿**وكانوا**﴾ يعني اليهود ﴿**من قبل**﴾ أي من قبل بعث محمّد ﷺ ﴿**يستفتحون**﴾ يستنصرون، قال الله تعالى ﴿**أن تستفتحوا فقد جآءكم الفتح**﴾[2] أيّ أن تستنصروا فقد جاءكم النّصر.

وفي الحديث عن النبيّ ﷺ [أنه] كان يستفتح القتال بصعاليك المهاجرين.

﴿**على الذين كفروا**﴾ مشركي العرب وذلك إنّهم كانوا يقولون إذا حزم أمر ودهمهم عدو: «اللّهمّ انصرنا عليهم بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة» [٩٤][3]، وكانوا يقولون زماناً لاعدائهم من المشركين قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قُلنا، ونقتلكم معه قبل عاد وأرم.

---

(١) تفسير الطبري: ١ / ٥٧٤.
(٢) سورة الأنفال: ١٩.
(٣) تفسير الجلالين للسيوطي: ١٩ .

﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ يعني محمّداً ﷺ من غير بني إسرائيل، وعرفوا نعته وصفته.

﴿كفروا به﴾ بغياً وحسداً.

﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ **﴿بئسما اشتروا به أنفسهم﴾** بئس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الافعال ومعنى الآية: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق، والكفر بالأيمان.

وقيل: معناه بئس ما باعوا به حظ أنفسهم.

﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن.

﴿بغياً﴾ بالبغي وأصل البغي الفساد. يُقال: بغى الجرح إذا أمد وضمد.

﴿أن ينزل الله من فضله﴾ النبوة والكتاب.

﴿على من يشاء من عباده﴾ محمّد ﷺ.

﴿فباؤا بغضب على غضب﴾ أي مع غضب.

قال ابن عبّاس: الغضب الأوّل بتضييعهم التوراة، والغضب الثاني بكفرهم بهذا النبيّ الذي اتخذه الله تعالى.

فيهم قتادة وأبو العالية: الغضب الأوّل ـ بكفرهم بعيسى ﷺ والأنجيل ـ والثاني: كفرهم بمحمّد ﷺ والقرآن.

السّدي: الغضب الأوّل بعبادتهم العجل، والثاني بكفرهم بمحمّد ﷺ وتبديل نعته.

﴿وللكافرين﴾ وللجاحدين [الدين] محمّد ﷺ من النّاس كلهم.

﴿عذاب مهين﴾ يُهانون فلا يُعزُّون.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن.

﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعني التوراة.

﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أي بما سواه وبعده.

﴿وهو الحقّ﴾ يعني القرآن.

﴿مصدقاً﴾ نصب على الحال. **﴿لما معهم﴾** قل لهم يا محمّد: **﴿فلمَ تقتلون أنبياء الله من قبل﴾** ولمَ أصله ولما فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والأستفهام كقولهم: فيم وبم ولم وممّ وعلام وحقام، وهذا جواب لقولهم: نؤمن بما أُنزل علينا.

فقال الله عزّ وجلّ **﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾**.

﴿إنْ كنتم مؤمنين﴾ بالتوراة وقد خنتم فيها من قتل الأنبياء **﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾** بالدلالات اللايحات ـ والعلامات الواضحات.

﴿ثمّ اتخذتم العجل من بعده﴾ أي من بعد انطلاقه إلى الجبل **﴿وأنتم ظالمون﴾**.

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ أي استجيبوا واطيعوا سميت الطاعة سمعاً على المجاز لأنّه سبب الطّاعة والأجابة ومنه قولهم: سَمِع الله لمن حمده أي أجابه، وقال الشاعر:

دعوت الله حتّى خفتُ ألاّ ... يكون الله يسمع ما أقول

أي يجب.

﴿قالوا سمعنا﴾ قولك. **﴿وعصينا﴾** أمرك [أو سمعنا بالآذان وعصينا بالقلوب][1].

قال أهل المعاني: إنّهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكن لما سمعوا الأمر وتلقوه بالعصيان نُسب ذلك عنهم إلى القول أتساعاً، كقول الشاعر

ومنهل ذبّابة في عيطل ... يقلن للرائد عشبت أنزل

﴿وأُشربوا في قلوبهم العجل﴾ أي حبّ العجل، كقوله تعالى **﴿واسأل القرية﴾**[2]، وقال النابغة:

فكيف يواصل من اصبحت ... خلالة كأني مرحب

أي لخلاله أني مرحب، ومعناه أدخل في قلوبهم حبّ العجل، وخالطها ذلك كاشراب اللون لشدة الملازمة.

---

(١) عن هامش المخطوط.

(٢) سورة يوسف: ٨٢.

﴿بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله [فالله لا يأمر بعبادة العجل][١].

﴿إنْ كنتم مؤمنين﴾ بزعمكم وذلك إنّهم قالوا: نؤمن بما أُنزل علينا، فكذبهم الله تعالى.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

﴿قل إن كانت لكم الدّار الآخرة عند الله﴾ الآية

قال المفسّرون: سبب نزول هذه الآية: إنّ اليهود أدعوا دعاوى باطلة، حكاها الله تعالى عنهم في كتابه كقوله تعالى ﴿وقالوا لن تمسنا النّار إلاّ أياماً معدودة﴾[٢].

وقوله: ﴿وقالوا لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً أو نصارى﴾[٣].

وقوله: ﴿نحن أبناء الله وأحبّاؤه﴾[٤] فكذبهم الله تعالى، وألزمهم الحجة. فقال: قل يا محمّد إن كانت لكم الدّار الآخرة عند الله.

﴿خالصة من دون الناس﴾ خاصّة؛ لقوله تعالى ﴿خالصة لذكورنا﴾[٥]، قوله ﴿خالصة يوم القيامة﴾[٦]، قوله ﴿خالصة من دون المؤمنين﴾[٧] أي خاصّة من دون النّاس.

﴿فتمنّوا الموت﴾ أي فأريدو وحَلّوه لأنّ من علم أنّ الجنّة مآبه حنَّ إليها ولا سبيل إلى دخولها إلاّ بعد الموت فاستعجلوه بالتمني.

﴿إنْ كنتم صادقين﴾ في قولكم محقين في دعواكم، وقيل في قوله تعالى ﴿فتمنّوا الموت﴾ أيّ أدعوا بالموت على الفرقة الكاذبة.

روى ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ قال: «لو تمنّوا الموت لغصّ كل إنسان منهم بريقه، وما بقى

---

(١) عن هامش المخطوط.

(٢) سورة البقرة: ٨٠.

(٣) سورة البقرة: ١١١.

(٤) سورة المائدة: ١٨.

(٥) سورة الأنعام: ١٣٩.

(٦) سورة الأعراف: ٣٢.

(٧) سورة الأحزاب: ٥٠.

على وجه الأرض يهودي إلاّ مات» [٩٥].

فقال الله تعالى ﴿**ولن يتمنّوه أبداً بما قدمت أيديهم**﴾ لعلمهم إنّهم في دعواهم كاذبون.

﴿**والله عليم بالظّالمين**﴾ يعني اليهود. هذا من أعجاز القرآن لأنّهُ تحداهم ثمّ أخبر أنّهم لا يفعلون بعد أن قال لهم هذه المقالة فكان على ما أخبر.

﴿**ولتجدنهم**﴾ اللام لام القسم والنون تأكيد القسم تقديره: والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود ﴿**أحرص النّاس على حيوٰة**﴾ وفي مصحف أبيّ على الحياة.

﴿**ومن الذين أشركوا**﴾ قيل إنّه متصل بالكلام الأوّل.

معناه وأحرص من الذين اشركوا. قال الفراء: وهذا كما يُقال هو أسخى النّاس ومن حاتم: أي وأسخى من حاتم.

وقيل: هو ابتداء وتمام الكلام عند قوله: على حياتهم ابتدأ بواو الاستئناف وأضمر (ليودّ) اسماً تقديره: ومن الذين اشركوا من ﴿**يود أحدهم**﴾ كقول ذو الرّمة.

فظلوا ومنهم دمعهُ سابق له وآخر يذري دمعة العين بالهمل

أراد ومنهم من دمعه سابق، وأراد بالذين أشركوا المجوس.

﴿**يودّ**﴾ يريد ويتمنى.

﴿**أحدهم لو يعمّر**﴾ تقديره تعمير ألف.

﴿**ألف سنة**﴾ قال المفسّرون: هو تحيّة المجوس فيما بينهم عشر ألف سنة وكلمة ألف نيروز ومهرجان.

قال الله تعالى: ﴿**وما هو بمزحزحه من العذاب**﴾ من النّار.

﴿**أن يعمّر**﴾ أي تعميره: زحزحته فزحزح: أي بعدّته فتباعد يكون لازماً ومتعدياً. قال ذو الرُّمة في المتعدي:

يا قابض الرّوح من نفسي إذا احتضرت وغافر الذّنب زحزحني عن النّار

وقال الراجز، في اللازم: خليلي ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتّوضح. ﴿**قُل من كان عدواً لجبريل**﴾ الآية

قال ابن عبّاس: إن حبراً من أحبار اليهود يُقال له عبدالله بن صوريا كان قد حاج النبيّ ﷺ وسأله عن أشياء. فلما اتجهت الحُجّة عليه قال: أيّ ملك يأتيك من السّماء؟

قال: «جبرئيل ولم يُبعث الكتاب لأنبياء قط إلاّ وهو وليه» [٩٦]. قال: ذلك عدُونا من

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٩٥، وتفسير الكشاف: ١/ ١٦٧.

الملائكة ولو كان ميكائيل مكانه لآمنّا بك؛ لأنّ جبرئيل ينزل بالعذاب والقتال والشقوة وإنّه عادانا مراراً كثيرة، وكان أشدُ ذلك علينا أنّ الله تعالى أنزله على نبينا عليه السلام إنّ بيت المقدس سيُخرب على يد رجل يقال له: بخت نصّر، وأخبرنا بالحين الذي يُخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلب بخت نصّر ليقتله فانطلق يطلبه حتّى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً ليست له قوة. فأخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبرئيل عليه السلام وقال لصاحبنا: إنّ كان ربكم هو الذي أذن في هلاككم فلن تسلّط عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي حق تقتله. فصدقه صاحبنا ورجع عليه السلام: فكبر بخت نصّر وقوي وغزانا وخرّب بيت المقدّس؛ فلهذا نتخذه عدواً. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال مقاتل: قالت اليهود ان جبرئيل عدونا أمرنا أن تجعل النبوّة فينا فجلعها في غيرنا فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قتادة وعكرمة والسّدي: فكان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود، وكان عمر إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم ويكلمهم. فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمّد إحب إلينا منك. إنّهم يمرّون هنا فيأذونا وأنت لا تؤذينا وأنّا لنطمع فيك فقال عمر: والله ما أحبكم لحبكم، ولا أسألكم لأنّي شاك في ديني، وإنّما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمّد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم. فقالوا: من نصّب محمّد من الملائكة؟

قال: جبريل. فقالوا: ذلك عدوّنا يطلع محمّد على سرنا، وهو صاحب عذاب وخسف وسنة وشدة، وإنّ ميكائيل جاء بالخصب والسّلم. فقال لهم عمر: أتعرفون جبرئيل وتنكرون محمّداً..! قالوا: نعم.

قال: فاخبروني عن منزلة جبرئيل وميكائيل من الله عزّ وجلّ؟

قالوا: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وميكائيل عدّو لجبرئيل فقال عمر: وإنّي أشهد أنّ من كان عدوّاً لجبرئيل فهو عدوّا لميكائيل ومن كان عدواً لميكائيل فهو عدوّ لجبرئيل، ومن كان عدواً لهما فإنّ الله عدوّ له، ثمّ رجع عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال: «لقد وافقك ربّك يا عمر» فقال عمر: لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر.

قال الله تعالى تصديقاً لعمر (رضي الله عنه) ﴿**قل من كان عدوّاً لجبرئيل**﴾ وفي جبرئيل سبع لغات:

(جبرئيل) مهموز، مشبع مفتوح الجيم والراء، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر وخلف واختيار أبي عبيد، وقال: رأيت في مصحف عثمان الذي يُقال له: الإمام بالياء في جبريل وميكايل [والياء قبل] الياء تدلّ على الهمزة، وقال الشاعر:

شهدنا فما يُلقى لنا من كتيبة   مدى الدّهر إلاّ جبرئيل امامها

(وجبرائيل) ممدود، مهموز، مشبع، على وزن جبراعيل، وهي قراءة ابن عبّاس وعلقمة وابن وثاب.

(وجبرائل) ممدود، مهموز، مختلس على وزن جبراعل وهي قراءة طلحة بن مصرف.

(وجبرئل) مهموز، مقصور مختلس على وزن جبرعل، وهي قراءة يحيى بن آدم.

(وجبرالّ) مهموز، مقصور، مشدّد اللام من غير ياء، وهي قراءة يحيى بن يعمر، وعيسى ابن عمر، والأعمش.

(وجبريل) بفتح الجيم وكسر الرّاء من غير همز، وهي قراءة ابن كثير وأنشد لحسان:

وجبريل أمين الله فينا   وروح القدس ليس به خفاءُ

(وجبريل) بكسر الجيم والراء من غير همزة وهي قراءة علي، وأبي عبد الرّحمن، وأبي رجاء، وأبي العالية، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومعظم أهل البصرة والمدينة، واختيار أبي حاتم، وقدروي عن النبيّ ﷺ ذلك.

وعن شبل عن عبدالله بن كثير قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقرأ جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز. فلا أقرأها إلاّ هكذا.

قال الثعلبي: والصّحيح المشهور عن كثير ما تقدّم والله أعلم.

أما التفسير فقال العلماء: جبر هو العبد بالسريانية وأيل هو الله عزّ وجلّ يدلّ عليه ما روى إسماعيل عن رجاء عن معاوية برفعه قال: إنّما جبرئيل وميكائيل كقولك عبدالله وعبدالرّحمن، وقيل جبرئيل مأخوذ من جبروت الله، وميكائيل من ملكوت الله.

﴿فإنّه﴾ يعني جبرئيل. **﴿نزّله﴾** يعني القرآن كتابه عن غير مذكور كقوله **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾**[1] يعني الأرض، وقوله **﴿حتّى توارت بالحجاب﴾**[2] يعني الشمس.

﴿على قلبك﴾ يا محمد **﴿بإذن الله﴾** بأمر الله.

﴿مُصدقاً﴾ موافقاً.

﴿لما بين يديه﴾ لما قبله من الكتب.

﴿وهدىً وبشرى للمؤمنين﴾ ﴿من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل﴾ أخرجهما بالذّكر من جملة الملائكة ومواضعهم على جهة التفضيل والتخصيص، كقوله تعالى **﴿فيهما فاكهة ونخل ورّمان﴾**[3] وميكائيل أربع لغات:

---

(١) سورة فاطر: ٤٥.
(٢) سورة ص: ٣٢.
(٣) سورة الرحمن: ٦٨.

ممدود، مهموز، مشبع على وزن ميكاعيل، وهي قراءة أهل مكّة والكوفة والشّام.

﴿وميكائل﴾ ممدود، مهموز مختلس مثل ميكاعل، وهي قراءة أهل المدينة.

و(ميكيل) مهموز مقصور على وزن ميكعل، وهي قراءة الأعمش وابن محيصن.

(وميكال) على وزن مفعال وهي قراءة أهل البصرة. قال الشاعر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النّصر جبريل وميكال

وقال جرير:

عبدوا الصّليب وكذّبوا بمحمّد وبجبرئيل وكذّبوا ميكالا[١]

ومعنى الآية من كان عدواً لأحد هؤلاء فإن الله عدو له والواو فيه بمعنى أو. كقوله تعالى ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه﴾ الآية لأن الكافر بالواحد كافر بالكل. فقال ابن صوريا: يا محمّد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام.

﴿وما يكفر بها إلاّ الفاسقون﴾ الحادون عن أمر الله.

أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿أو كلّما﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام. كما يدخل على الفاء في قوله ﴿أفأنت تسمع الصّم﴾[٢] ﴿أفتتخذونه وذريته﴾[٣] وعلى ثمّ كقوله تعالى ﴿أثمّ إذا ما وقع﴾[٤] ونحوها.

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٣٢٤.

(٢) سورة يونس: ٤٢.

(٣) سورة الكهف: ٥٠.

(٤) سورة يونس: ٥١.

وقرأ ابن السّماك العدوي: ساكنة الواو على النسق و (كلما) نصب على الظرف. ﴿**عاهدوا عهداً**﴾ يعني اليهود.

قال ابن عبّاس: لِمَا ذكر رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه.

قال مالك بن الصّيف: إنّ الله ما عهد إلينا في محمد عهد ولا ميثاق فأنزل الله تعالى هذه الآية يوضحه قراءة أبي رجاء العطاردي: أوكلما عوهدوا عهداً لعنهم الله، دليل هذا التأويل قوله ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب**﴾(١) الآية.

وقال بعضهم: هو أنّ اليهود تعاهدوا لئن خرج محمّد ليؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب، وننفيهم من بلادهم، فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به دليله ونظيره قوله عزّ وجلّ ﴿**ولما جاءهم رسول من عند الله**﴾(٢).

وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنّضير دليله قوله ﴿**الّذين عاهدت منهم ثمّ ينقضون عهدهم**﴾(٣).

﴿**نبذه**﴾ أي رفضه وفي قول عبدالله: نقضه.

﴿**فريقٌ منهم**﴾ طوائف من اليهود.

﴿**بل أكثرهم لا يؤمنون**﴾ فأصل النبذ الرّمي والرفض له، وأنشد الزجاج:

نظرت إلى عنوانه فنبذته ... كنبذك نعلاً اخلقت من نعالكا

وهذا مثل من يستخف بالشيء ولا يعمل به، تقول العرب: أجعل هذا خلف ظهرك، ودبر اذنك، وتحت قدمك: أي أتركه واعرض عنه قال الله تعالى: ﴿**واتخذتموه وراءكم ظهرياً**﴾(٤)، وأنشد الفراء:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي ... بظهر ولا يعبأ عليَّ جوابها

قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به:

وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والدّيباج وحلّوه بالذّهب والفضّة ولم يحلّوا حلاله ولم يحرّموا حرامه فذلك النبذ.

﴿**واتّبعوا**﴾ يعني اليهود.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: ١٠١.

(٣) سورة الأنفال: ٥٦.

(٤) سورة هود: ٩٢.

﴿ما تتلوا الشياطين﴾ أي ما تلت الشياطين.

كقول الشّاعر:

فأذا مررت بقبره فاعقر به كوم الحجان وكلّ طرف سالح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد بكوه أخادم وذبائح

وحكي عن الحسين بن الفضل إنّه سئل عن هذه الآية فقال: هو مختصر مضمر تقديره واتبعوا ما كانت تتلوا الشياطين أي تقرأه.

قال ابن عبّاس: يتبع ويعمل به.

عطاء وأبو عبيدة: يحدّث ويتكلم به.

يمان: ترويه.

وقرأ الحسن: الشياطون بالواو في موضع الرفع في كل القرآن.

قال الثعلبي: وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا حامد الخارزنجي يقول: وسئل عن قراءة الحسن؟

قال: هو فن وحسن عند أكثر أهل الأدب.

غير أن الأصمعي زعّم إنّه سمع أعرابياً يقول: بستان فلان حوله بساتون.

﴿على ملك سليمان﴾ أي في ملكه وعهده كقول أبي النّجم:

فهي على الأفق كعين الأحول

أي في الأفق.

والملك تمام القدرة واستحكامها.

قال [... الزجاج][1]: في قصّة الآية هي أنّ الشياطين كتبوا السّحر والنيرنجات على لسان آصف. هذا ما علّم آصف ابن برخيا سليمان الملك ثمّ وضعوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمان فلمّا مات استخرجوها من تحت مصلاّه.

وقالوا النّاس: إنّما ملككم سليمان بهذا فتعلّموه فأمّا علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان وإنّ كان هذا علمه لقد هلك سليمان

وأمّا السفلة فقالوا: هذا علم سليمان فأقبلوا على تعلّمه ورفضوا كتب أنبياءهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتّى بعث الله تعالى محمّداً ﷺ وأنزل عذر سليمان عليه السلام

(١) كلمة سقط في أصل المخطوط.

على لسانه وأظهر براءته عمّا رُمي به فقالوا: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ الآية. هذا قول الكعبي.

وقال السّدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد السّمع فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا كذباً وزوراً في كلّ سبعين كلمة سبعين كلمة ويخبرونهم بذلك فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني اسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث في النّاس فجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيّه وقال: لا أسمع أحداً يقول إنّ الشياطين تعلم الغيب إلاّ ضربت عنقه فلمّا مات سليمان وذهب العلماء الّذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثّل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفراً من بني إسرائيل فقال: هل أدلّكم على كنز لا ينفذ أبداً.

قالوا: نعم. قال: فأحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية وقالوا: أدُن. فقال: لا ولكن هاهنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك إنّهم لم يكن أحدٌ من الشياطين يدنو من الكرسي إلاّ احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلمّا أخرجوها. قال الشيطان: إنّ سليمان كان يضبط الجنّ والأنس والطيّر بهذا ثمّ طار الشيطان وذهب وفشا في النّاس أنّ سليمان كان ساحراً فاتّخذ بنو إسرائيل تلك الكتب ولذلك فكثير ما يوجد السحر في اليهود فلمّا جاء محمّد ﷺ خاصمه اليهود بها فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل هذه الآية[1].

وقال عكرمة: كان سليمان عليه السلام لا يصبح يوماً إلاّ نبتت في محرابه في بيت المقدس شجرة فيسألها: ما اسمك؟

فتقول الشجرة: إسمي كذا، فيقول: لأيّ داء أنتِ؟

فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع وترفع في الخزانة وتغرس منها في البساتين حتّى بعثت الخرنوبة الشّامية فقال لها: ما أنت؟

قالت أنا الخرنوبة. قال: لأي شيء نبتّ؟ قالت: لخراب مسجدك. قال سليمان: ما كان الله ليخرّبه وأنا حي أنت الّذي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها فغرسها في حائط له فلم تنبت إلى أن توفّي فجعل النّاس يقولون في رضاهم: لو كان لنا مثل سليمان، وكتبت الشياطين كتاباً فجعلوه في مصلّى سليمان. فقالوا للنّاس: من يدّلكم على ما كان يداوي به فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر ورقيّ فأنزل الله في هذه الآية ما تفعل الشياطين واليهود على نبيّه محمّد ﷺ: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾.

﴿وما كفر سليمان﴾ بالسحر فانّ السحر كفر.

---

(١) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٠٦.

﴿ولكنّ الشياطين كفروا﴾ قرأ أهل الكوفة والشام بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الأيمان ﴿ولكنّ الله قتلهم﴾[١] ﴿ولكنّ الله رمّى﴾[٢].

الباقون: بالتشديد ونصب ما بعده، ولكن كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل، وهي مبنية من ثلاث كلمات أصلها لا كان لا نفي والكاف خطاب وإنّ نصب ونسق فذهبت الهمزة استثقالاً وهي تثقّل وتخفف فإذا ثقلت نصب بها مابعدها من الاسماء كما تنصب بإن الثقيلة فإذا خففها رفعت بها ما ترفع بأنْ الخفيفة.

﴿يُعلّمون النّاس السحر﴾ قال بعضهم: السحر العلم والخطابة دليله قوله: بان السّاحر: أي العالم.

وقال بعضهم: هو التمويه بالشيء حتّى يتوهم المتوّهم إنّه شيء ولا حقيقة له كالسراب غير من رآه وأخلف من رجاه قال الله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنّها تسعى﴾[٣].

﴿وما أُنزل على الملكين﴾ محل ما بعد اتباع التعليم عليه معناه لا يعلمون الذي أُنزل على الملكين أي [. . . . . .][٤] ويجوز أن يكون نصباً بالاتباع تقديره: واتبعوا ما أُنزل على الملكين، وجعل بعضهم ما جحداً وحينئذ لا محل له يعني لم ينزل السّحر على الملكين كما زعم اليهود، وإنّما يعلّمونهم [. . . . . . .من ذات][٥] أنفسهم والقول الأوّل أصح.

وقرأ ابن عبّاس والحسن والضحّاك ويحيى بن أبي كثير: ملِكين بكسر اللام، وقالوا: هما رجلان ساحران كانا ببابل من الملائكة لا يعلمون النّاس السحر، وفسرهما الحسن فقال: غلجان ببابل وهي بابل عراق وسمّي بابل لتبلبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود أي تفرقها.

أو ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقى بتعلم السحر منهما فيكفر به ومن سعد بتركه فيبقى على الإيمان فيزداد المعلمان بالتعليم عذاباً ففيه ابتلاء المعلم والمتعلّم والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء كما يشاء فله الأمر والحكم.

وقال الخليل بن أحمد: إنّما سمّيت بابل لأنّ الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحاً فحفرتهم من كل أفق إلى بابل فبلبل الله ألسنتهم فلم يدري أحد ما يقول الآخر، ثمّ فرقتهم تلك الرّيح في البلاد وهو لا ينصرف؛ لأنّه اسم موضع معروف.

﴿هاروت وما روت﴾ اسمان سريانيان في محل الخفض على تفسير الملكين بدلاً منهما إلاّ أنّهما نصباً لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتيهما على ما ذكره ابن عبّاس والمفسرون: إنّ

---

(١) و (٢) سورة الأنفال: ١٧.
(٣) سورة طه: ٦٦.
(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.
(٥) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن إدريس فعيروهم بذلك، ودعتْ عليهم قالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم فهم يعصونك. فقال الله عزّ وجلّ لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لرتكبتم ما ارتكبوه. فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنّا أن نعصيك. قال الله تعالى: اختاروا ملكين من خياركم ثمّ اهبوطهما إلى الأرض. فاختاروا هاروت وما روت وكانا من أصلح الملائكة وأخصهم.

قال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختاروا ثلاثة: عزّا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت. غيَّر اسمهما لما قارفا الذنب كما غير اسم إبليس وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم. فاهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين النّاس بالحقّ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحقّ والزنا وشرب الخمر ـ وأما عزائيل فأنّه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربّه، وسأله أن يرفعه إلى السّماء، فأقاله ورفعه، فسجد اربعين سنة، ثمّ رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئاً رأسه حياءاً من الله عزّ وجلّ.

وأما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يغضبان من النّاس يومهما فإذا أمسياً ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء.

قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتّى افتتنا قالوا جميعاً وذلك انهم اختصم عليهما ذات يوم الزهرة، وكانت من أجمل النّساء. قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وكانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها. فلمّا رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها وانصرفت، ثمّ عادت في اليوم الثاني. ففعلا مثل ذلك. فأبت وقالت: لا إلاّ أن تعبدا ما أعُبد وتُصليا لهذا الصّنم وتقتلا النّفس وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها. فانصرفت ثمّ عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها. فراوداها عن نفسها. فعرضت عليهما ما قالت بالأمس. فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النّفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فانتعشا ووقعا بالمرأة وزنيا. فلما فرغا رآهما أنسان فقتلاه.

قال الربيع بن أنس: سجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكباً وقال عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) والسّدي والكلبي: إنّها قالت لهما: لن تدركاني حتّى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء. فقالا: بسم الله الأكبر. قالت: فما أنتما تدركاني حتّى تعلمانيه. فقال أحدهما لصاحبه: علّمها. قال: فأنّي أخاف الله.

قال الآخر: فأين رحمة الله فعلماهما ذلك. فتكلّمت به وصعدت إلى السّماء فمسخها الله كوكباً.

فعلى قول هؤلاء هي الزّهرة بعينها وقيدوها. فقالوا: هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسيّة ناهيد، وبالنبطية بيذخت يدلّ على صحة هذا القول ما روى جابر عن الطفيل عن علي

(رضي الله عنه) قال: كان النبيّ ﷺ إذا رأى سهيلاً قال: لعن الله سُهيلاً إنّه كان عشاراً باليمن ولعن لله الزُّهرة فإنّها فتنت ملكين.

وقال مجاهد: كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي: أرمق بالكوكبة يعني الزّهُرة فاذا طلعت فأيقظني. فلما طلعت ايقظته فجعل ينظر إليها ويسبّها سبّاً شديداً. فقلت: رحمك الله سببت نجماً سامعاً مُطيعاً ماله ليسبّ؟ فقال: إنّ هذه كانت بغياً. فلقي ملكان منها مالقيا.

وقال ابن عمر إذا رأى الزهُرة قال: لا مرحباً بها ولا أهلاً وروى أبو عثمان [المرندي] عن ابن عبّاس: إنّ المرأة التي فتنت بها الملكان مُسخت فهي هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة قال: وكان يسميها بيذخت. وأنكر الآخرون هذا القول. قالوا: ان الزهرة من الكواكب السبعة السّيارة الّتي جعلها الله تعالى قواماً للعالم وأقسم بها فقال: **﴿فلا أقسم بالخنّس والجوار الكنّس﴾**[1]. قلنا كانت هذه الّتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى زهرة من جمالها فلمّا بغت مسخها الله تعالى شهاباً فلمّا رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذلك سهيل العشار ولّما رأى رسول الله ﷺ النجمّ ذكره فلعنه ويدلّ عليه ما روى قيس ابن عبّاد عن ابن عبّاس في هذه القصّة:

قال: كانت امرأة فضّلت على النّاس كما فضّلت الزّهرة على سائر الكواكب، ومثله قال كعب الأحبار والله أعلم.

قالوا: فلمّا أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب همّا بالصعود إلى السّماء فلم تُطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حلّ بهما فقصدا إدريس النبيّ عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عزّ وجلّ فقالا له: إنّا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربّك؟

ففعل ذلك ادريس فخيرّهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فأختارا عذاب الدّنيا إذ علما إنّه ينقطع فهما ببابل يعذّبان.

واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبدالله بن مسعود: هما معلّقان بشعورهما إلى قيام السّاعة.

قتادة: كبّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما.

مجاهد: إنّ جبّاً ملئت ناراً فجعلا فيها حضيف معلّقان منكسان في السلاسل.

عمير بن سعد: منكوسان يضربان بسياط الحديد.

ويروى إنّ رجلاً أراد تعلّم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلّقين بأرجلهما

---

(١) سورة التكوير: ١٦.

مزرقّة عيونهما مسودّة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلاّ قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله الاّ الله وقد نهي عن ذكر الله فلمّا سمعا كلامه قالا له: من أنت؟ قال: رجل من النّاس. قالا: ومَنْ أيّ أُمّة أنت؟

قال: من أُمّة محمّد ﷺ. قالا: وقد بعث محمّد؟ قال: نعم قالا: الحمدُ لله وأظهرا الاستبشار. فقال الرجل: ومِمَّ إستبشاركما؟

قالا: لأنّه نبي السّاعة وقد دنا إنقضاء عذابنا. قالوا ومن ثمّ استغفار الملائكة لبني آدم.

وعن الأوزاعي قال: المعنى إنّ جبرئيل أتى النبيّ ﷺ فقال له: «يا جبرئيل صف ليّ النّار؟

فقال: إنّ الله أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتّى احمرّت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتّى اصفرّت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة لا يضي لهيبها ولا جمرها، والّذي بعثك بالحقّ لو أنّ ثوباً من ثياب أهل النّار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً ولو أنّ ذنوباً من سرابها صبّت في الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أنّ ذراعاً من السلسة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلّت ولو إنّ رجلاً دخل النّار ثمّ أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبيّ ﷺ وبكى جبرئيل لبكائه وقال: أتبكي يا محمّد وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» [٩٧]، ولم بكيت يا جبريل وأنت الروّح الأمين أمين الله على وحيه؟ قال: أخاف أن أبتلي بما أبتلي هاروت وماروت. فهو الّذي منعني عن اتكالي على منزلتي عند ربّي فأكون قد آمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتّى نوديا من السّماء أنّ يا جبرئيل ويا محمّد إنّ الله قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما[١] ففضّل محمّد على الأنبياء كفضل جبرائيل على ملائكة السّماء.

﴿**وما يعلّمان**﴾ يعني الملكين ﴿**من أحد**﴾ من صلة لا يعلّمان السحر أحداً حتّى ينصحاه أولاً وينهياه ويقولا ﴿**إنّما نحن فتنة**﴾ إبتلاء ومحنة.

﴿**فلا تكفر**﴾ بتعلم السّحر وأصل الفتنة الاختبار.

تقول العرب: فتنت الذّهب إذا أدخلته النّار لتعرف جودته من رداءته.

وفتنت الشمس الحجر إذا سوّدته.

وإنّما وحدّ الفتنة وهما إثنان؛ لأنّ الفتنة مصدر والمصادر لا تثنّى ولا تجمع كقولهم: ﴿**وعلى سمعهم**﴾ وفي مصحف أُبي: وما يعلّم الملكان من أحد حتّى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرّات.

---

(١) إلى هنا في بحار الأنوار: ٨/٣٠٦ ح ٦٤ .

قال السّدي وعطاء: فإن أبى إلاّ التعلّم قالا له: إتتِ هذا الرّماد فَبُل عليه فيخرج منه نورٌ ساطع في السّماء فتلك المعرفة وينزل شيء أسود حتّى يدخل مسامعه يشبه الدّخان وذلك غضب الله عزّ وجلّ.

قال مجاهد: إنّ هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة إختلافة واحدة.

وقال يزيد بن الأصم: سُئل المختار: هل يرى اليوم أحدٌ هاروت وماروت؟

قال: أما منذ أئتفكت بابل إئتفاكها الآخر لم يرهما أحد.

قال قتادة: السحر سحران: سحرٌ تعلّمهم الشياطين وسحر يعلّمه هاروت وماروت وهو قوله تعالى ﴿**فيتعلّمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**﴾ وهو أن يؤخذ كلّ واحد منهما عن صاحبه ويبّغض كل واحد إلى صاحبه.

وفي (المرَء) أربع قراءات: قرأ الحسن: المرَّ بفتح الميم وتشديد الرّاء جعله عوضاً عن الهمزة.

وقرأ الزهري: المرُءُ بضم الميم والهمزة.

وحكى يعقوب عن جدّه: بكسر الميم والهمزة.

وقرأ الباقون: بفتح الميم والهمزة.

وأمّا كيفية تعليمهما السّحر فقد ورد فيه خبر جامع وهو ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبّي ﷺ: أنّها قالت: قدمت عليَّ امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حَدَاثة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السّحر قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ وكانت تبكي حتّى إنّي لأرحمها بقولي واني لأخاف أنْ تكون قد هلكت، قالت كان لي زوج فغاب عنّي فدخلت على عجوز وشكوت إليها ذلك فقالت: إنْ فعلت ما أمرتك به فأجعله يأتيك فلمّا كان الليل جائتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الأخر فلم يكن حتّى وقفنا على بابل، فإذا برجلين معلّقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ فقلت أتعلم السحر.

فقالا: إنّما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فأبيت فقلت: لا.

قالا: فأذهبي إلى ذلك التنّور فبُولي فيه فذهبت ففزعت ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا: فعلت، قلت: نعم. فقالا هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أرَ شيئاً.

فقالا: لم تفعلي ارجعي إلى بلدك ولا تكفري فأبيت، فقالا: اذهبي إلى التنّور فبُولي فيه.

فذهبت فاقشعّر جلدي وخفت ثمّ رجعت إليهما فقلت قد فعلت. قالا: فما رأيتي؟

قلت: لم أرَ شيئاً.

فقالا: كذبت لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنّك على رأس أمرك. فأبيت. فقالا: اذهبي إلى ذلك التنّور فبُولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارساً مقنعاً بالحديد خرج منّي حتّى ذهب في السّماء وقد غاب عنّي حتّى لم أره فجئتهما فقلت قد فعلت قالا: فما رأيت؟

قلت: رأيت فارساً مقنّعاً بالحديد خرج منّي فذهب في السّماء حتّى ما أراه. قالا: صدقت ذلك ايمانك خرج منك إذهبي إلى المرأة وقول لها: والله ما أعلم شيئاً وما قال لي شيئاً، قالت بلى، قالا: لن تريدي شيئاً إلاّ كان. خذي هذا القمح فأبذري فبذرت فقلت: إطلعي فطلعت فقلت: إحقلي فحقلت ثمّ قلت إفركي فأفركت ثمّ قلت اطحني فطحنت ثمّ قلت اخبزي فخبزت فلمّا رأيت إنّي لا أريد شيئاً إلاّ كان سقط في يدي وندمت والله يا أُم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً.

فأما كيفية جواز تعليم السّحر على الملائكة ووجه الآية وحملها على التأويل الصحيح:

فقال بعضهم: إنّهما كانا لا يتعمّدان تعليم السحر ولكنّهما يصفانه ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه واعلم وعلّم بمعنى واحد وفي هذا حكمة: وهي إنّ سائلاً لو سأل عن الزّنا لوجب أن يوقف عليه ويعلّم أنّه حرام، وكذلك إعلام الملكين النّاس وأمرهما باجتنابه بعد الاعلام والأخبار إنّه كفر حرام فيتعلّم الشقي منهما وفي حلال صفتهما وترك موعظتهما ونصيحتهما ولا يكون على هذا التأويل تعلّم السحر كفراً وإنّما يكون العمل به كفراً كما إنّ من عرف الزّنا لم يأثّم إنّما يأثّم العامل به، والقول الآخر والأصح: إنّ الله تعالى إمتحن النّاس بالملكين في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلّم السّحر فيكفر بتعلّمه ويؤمن بترك التعلّم، لأنّ السّحر كان قد كثر في كلّ الأمة ويزداد المعلّمان عذاباً بتعليمه فيكون ذلك إبتلاء للمعلّم والمتعلّم ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بالنّهر في قوله: ﴿**إنّ الله مبتليكم بنهر**﴾[1] يدلّ عليه قوله﴿**إنّما نحن فتنة فلا تكفر**﴾ وهذان حكاهما الزجّاج واعتمدهما. قال الله تعالى:

﴿**وما هم بضارين به من أحد**﴾ أي أحداً ومن صلة.

﴿**إلاّ بأذن الله**﴾ [أو إلاّ بقضاء الله أو إلاّ بإذن الله أي بمرأى ومسمع][2] أي بعلمه وقضائه ومشيئته وتكوينه [والساحر يسحر ولا يكون شيء][3].

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) عن هامش المخطوط.

(٣) عن هامش المخطوط.

﴿ويتعلّمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ أي السحر وقرأ عبيد بن عمير: ما يُضرهم من أضرّ يضرّ.

﴿ولقد علموا﴾ يعني اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ اختار السّحر.

﴿ما له في الآخرة﴾ أي في الجنّة ﴿من خلاق﴾ من نصيب.

وقال الحسن: ماله في الآخرة من خلاق من دين ولا وجه عند الله.

ابن عبّاس: من قوام، وقيل من خلاص.

قال أميّة: يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلاّ السرابيل من قطر وإغلال، أي لا خلاص لهم.

﴿ولبئس ما شروا به﴾ باعوا به حظّ ﴿أنفسهم﴾ حين اختاروا السّحر والكفر على الدين والحق.

﴿لو كانوا يعلمون﴾ ﴿ولو أنّهم آمنوا﴾ بمحمّد ﷺ والقرآن.

﴿واتقوا﴾ اليهودية والسّحر.

﴿لمثوبة﴾ [ويجوز المثوبة بفتح الميم وفتح الواو كمشوُرة وكمشوَرة وهي مصدر من الثواب][1] ﴿من عند الله﴾ لكان ثواب الله عزّ وجلّ أياهم.

﴿خير لو كانوا يعلمون﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

﴿يا أيها الّذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ الآية: وذلك إنّ المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله وأرعنا سمعك يعنون من المراعاة، وكانت هذه اللفظة سبّاً مبيحاً بلغة اليهود، وقيل: كان معناه عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هو إلحاد إلى الرعونة لما سمعتها اليهود اغتنموها، وقالوا فيما نسب بعضهم إلى محمّد سراً. فاعلنوا الآن بالشّتم، وكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمّد ويضحكون فيما بينهم. فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها، وكان يعرف لغتهم. فقال لليهود: عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده يامعشر اليهود إن سمعنا من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لضربت عنقه. فقالوا: أولستم تقولونها؟

(١) عن هامش المخطوط.

فأنزل الله تعالى ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ.

وفي هذه اللفظة ثلاث قرآت:

قرأ الحسن راعناً بالتنوين أراد قولاً راعناً: أي حقاً من الرعونة فحذف الاسم وأبقى الصّفة. كقول الشاعر:

ولا مثل يوم في قدار ظلله كأني وأصحابي على قرن أعفرا

اراد قرن ظبي أعفر. حذف الاسم وابقى النعت.

وقرأ أُبي بن كعب: راعونا بالجمع.

وقرأت العامّة: راعنا بالواحد من المراعاة. يُقال: أرعى إلى الشيء وارعاه وراعاه. إذا أصغى إليه واستمعه. مثل قولهم: عافاه الله واعفاه.

قال مجاهد: لا تقولوا راعنا: يعني خلافاً.

يمان: هجراً.

الكسائي: شرّاً.

﴿وقولوا انظرنا﴾ قال أُبي بن كعب: انظرنا بقطع الألف أي أخرنا، وقرأت العامّة موصولة أي انظر إلينا. فحذف حرف التعدية كقول قيس بن الحطيم:

ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الأراك الظبّا

أي إلى الأراك، وقيل: معناه انتظرنا وتأننا. كقول امرؤ القيس:

فانكما أن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى ام جندب

وقال مجاهد: معناه فهّمنا، وقال يمان: بيّن لنّا

﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به، والمراد به اطيعوا لأنّ الطّاعة تحت السّمع.

﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ يعني اليهود.

﴿ما يودّ الّذين كفروا من أهل الكتاب﴾ الآية: وذلك إنّ المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمّد قالوا: ما هذا الّذي تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه ولو [هدانا][1] لكان خيراً. فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم (ما يودّ): يريد ويتمنى الّذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود.

---

(١) كلمة غير مقروءة في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

﴿ولا المشركين﴾(١) مجرور في اللفظ بالنسق على من مرفوع المعنى بفعله كقوله عزّ وجلّ **﴿وما من دآبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾**(٢) **﴿أن ينزّل عليكم من خير﴾** أي خبر كما نقول: ما أتاني من أحد من فيه، وفي جوابها صلة، وهي كثيرة في القرآن.

﴿والله يختص﴾ والاختصاص أوكد من الخصوص لأن الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك.

﴿برحمته﴾ بنبوّته. **﴿من يشاء﴾** يخص بها محمّداً ﷺ.

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ [أي ابتداء لعلى... خبر علة أو المراد من الرحمة الإسلام والهداية(٣)] **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾** الآية وذلك إنّ المشركين قالوا: ألاّ ترون إلى محمّد يأمر أصحابه بأمر لم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع فيه غداً، ما هذا القرآن إلاّ كلام محمّد يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً. فأنزل الله **﴿وإذا بدلّنا آية مكان آية﴾**(٤)، وأنزل أيضاً **﴿ما ننسخ من آية﴾** ثمّ بيّن وجه الحكمة في النسّخ بهذه الآية.

وأعلم إنّ النسخ في اللغة شيئان:

الوجه الأول: بمعنى التغيير والتحويل قال الفراء: يُقال: مسخه الله قرداً ونسخه قرداً، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فينقل ما فيه إليه قال الله تعالى **﴿إنّا كُنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**(٥): أي نأمر الملائكة بنسخها.

قال ابن عبّاس في هذه الآية: ألسْتم قوماً عرباً هل يكون نسخه إلاّ من أصل كان قبل ذلك؟ وعلى هذا الوجه القرآن كلّه منسوخ؛ لأنّه نسخ من اللوح المحفوظ فأنزل على النبيّ ﷺ.

روى عبد الوهاب بن عطاء عن داود عن عكرمة عن ابن عبّاس: أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدُّنيا ثمَّ أنزله جبرائيل على محمّد آياً بعد آي، وكان فيه ما قال المشركون وردّ عليهم.

والوجه الثاني: بمعنى رفع الشيء وابطاله يُقال: نسخت الشمّس الظل: أي ذهبت به وأبطلته [...] عنّى بقوله ما ننسخ من آية وعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخاً ومنسوخاً وهي ما تعرفه الأمّة من ناسخ القرآن ومنسوخه وهذا أيضاً يتنوّع نوعين:

---

(١) في هامش المخطوطة: والمراد مشركو العرب كأبي سفيان.
(٢) سورة الأنعام: ٣٨.
(٣) عن هامش المخطوط.
(٤) سورة النحل: ١٠١.
(٥) سورة الجاثية: ٢٩.

أحدهما: إن يثبت خط الآية، وينسخ علمها والعمل بها. كقول ابن عبّاس في قوله **﴿ما ننسخ من آية﴾** قال: ثبت خطها وتبدل حكمها. ومنها رفع تلاوتها وبقاء حكمها مثل آية الرجم.

الثاني: أنّ تُرفع الآية أصلاً أي تلاوتها وحكمها معاً فتكون خارجة من خط الكتاب، وبعضها من قلوب الرّجال أيضاً، والشّاهد له ما روي أبو أمامة سهل بن حنيف في مجلس سعيد ابن المسيب: إنّ رجلاً كانت معه سوّر. فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها. فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها. فأصبحوا فأتوا رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يا رسول الله قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله ما جئت إلاّ لذلك، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «إنّها نُسخت البارحة» [٩٨][١].

ثمَّ إعلم أنّ النّسخ إنّما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار؛ إذا نُسخ صار المخُبر كذاباً، وإنّ اليهود حاولوا نسخ الشرائع وزعموا إنّه بداء فيُقال لهم: أليس قد أباح الله تزويج الاخت من الأخ ثمّ حظره وكذلك بنت الأخ وبنت الأخت؟ أليس قد أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إبنه، ثمّ قال له لا تذبحه؟

أليس قد أمر موسى بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل منهم وأمرهم برفع السّيف عنهم؟ أليست نبوة موسى غير متعبد بها، ثمّ تُعبّد بذلك؟ أليس قد أمر حزقيل النبيّ بالختان، ثمّ نهاه عنه؟ فلِما لَم يلحقه بهذه الأشياء بداء فكذلك في نسخ الشرائع لم يلحقه بداء بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم؛ لضرب من المصلحة إظهار لحكمته وكمال مملكته وله ذلك وبه التوفيق.

فهذه من علم النّسخ وهو نوع كثير من علوم القرآن، لا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير.

وعن أبي عبدالرحمن السّلمي: إنّ علياً عليه السلام مرّ بقاص يقصُّ في جامع الكوفة بباب كندة فقال: هل تعلم النّاسخ من المنسوخ؟

قال: لا. قال: هلكت وأهلكت[٢].

وأمّا معنى الآية لقوله **﴿ما ننسخ من آية﴾** قرأت العامّة بفتح النون والسين من النّسخ.

وقرأ ابن عامر: بضم النون وكسر السّين.

قال أبو حاتم: هو غلط وقال: بعضهم له وجهان، أحدهما نجعله نسخه من قولك نسخت الكتاب إذا كتبته وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له ومعناها ما مسختك.

---

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٣٤، والدر المنثور: ١/ ١٠٥ .

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ٣/ ٢٢١ ح ٥٤٠٧، والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥ .

والوجه الثاني: تجعله في جملة المنسوخ كقولك: طردت الرّجل إذا نفيته وأطردته جعلته طريداً. قال الشاعر:

طردتني حسد الهجاء حيفاء والـلاّت والأصنام ما قالوا تنل

أو ننسها[1]: فيه تسع قراءات:

قرأ سعيد بن المسيب وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: ننسها بضّم النون وكسر السّين. وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم أي: نُنسها نسياً قاله أكثر المفسرين.

قال الحسن: هو ما أنسى الله رسوله ﷺ.

قال ابن عبّاس: أي تتركها ولا نبدّلها قال الله: **﴿نسوا الله فأنساهم﴾**[2] وقال الله تعالى: **﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾**[3]. كلّ هذا من التّرك كانّه جعل أنسى ونسي بمعنى واحد.

قال الكلبي وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا منصور الأزهري يقول: معناه أو نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء أي أمرت بتركه.

قال الشّاعر:

جرت عليّ قصة أقصيتها لست بنا سيها مَجمع ولا منسيها

أي ولا آمر بتركها.

وقرأ أُبي بن كعب: أو ننسيك.

وقرأ عبدالله: ننسيك من آية أو ننسخها.

قرأ سالم مولى حذيفة: أو ننسكّها.

وقرأ أبو رجاء: أو ننّسها بالتشديد، وقرأ الضحّاك: أو ننسها بضم التاء وفتح السين على مجهول، وقرأ سعد بن أبي وقّاص: أو ننسها بتاء المفتوحة من النسيان، وعن القاسم بن الربيع ابن فائق؛ قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: بالنسخ من آية أو ننسها.

قال: فقلت له: إنّ سعيد بن المسيّب يقرأ: ننسها. قال: إنّ القرآن لم ينزل على آل المسيّب.

---

(١) في هامش المخطوطة: عن قلبك أي نتركها. (٢) سورة التوبة: ٦٧.
(٣) سورة طه: ١٢٦. (٤) سورة الأعلى: ٦.
(٥) سورة الكهف: ٢٤.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾[١] ﴿واذكر ربّك إذا نسيت﴾[٢].

وقرأ مجاهد: (أو ننسها) بفتح النون مخففه أي نتركها.

وقرأ عمر بن الخطّاب وابن عبّاس وعبيد بن عمير وعطاء وابن كثير وابو عمرو والنخعي: أو ننساها بفتح النون الأول وفتح السين مهموزة فلا نؤخرها فلا نبدّلها ولا ننسخها، يقال: نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله، ومنه النسيئه في البيع.

وقال أبو عبيد: ننسأها مجازه نمضيها لذكر ما فيه، قال طرفة:

أمون كألواح الاران نسأتها ... على لا حب كأنّه ظهر برجد[٣]

أي لسقتها وأمضيتها، وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما ننسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة، أو ننساها نؤخرها فلا يكون وهو ما لم ينزّل.

﴿نأتِ بخير منها﴾[٤] أيّ بما هو أجدى وأنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم لا أنّ آية خير من آية؛ لأن كلام الله عزّ جلّ واحد ولكنّها في المنفعة المثوبة وكلّه خير.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)

﴿ألم تعلم أنّ الله على كل شيء قدير﴾[٥] قادر قال الزجاج: لفظه استفهام ومعناه توفيق وتقرير.

﴿ألم تعلم أنّ الله له ملك السمٰوات والأرض وما لكم﴾ يا معشر الكفّار عند نزول العذاب.

﴿من دون الله من وليّ﴾ قريب وصديق.

﴿ولا نصير﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

﴿أم تريدون أنْ تسألوا رسولكم﴾ الآية. قال ابن عبّاس: نزلت في عبدالله بن أُميّة

---

(١) مجمع البيان: ١/٣٤٦.

(٢) في هامش المخطوطة: وكل مانسخ إلاّ اليسير فالناسخ أسهل في العمل.

(٣) في هامش المخطوطة: من النسخ والتبديل.

المخزومي ورهط من قريش قالوا: يا محمّد أجعل لنا الصّفا ذهباً ووسّع لنّا أرض مكّة، وفجر الأنهار خلالها تفجيرا نؤمن بك.

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أم تريدون﴾ يعني أتريدون والميم صلة لأنّ أم إذا كان بمعنى العطف لا تكون أبتداء ولا تأتي إلاّ مردودة على استفهام قبلها، وقيل معناه: بل يريدون كقول الشّاعر:

بدت مثل قرن الشّمس في رونق الضحّى ... وصورتها أم أنت في العين أملح[1]

أي بل أنت.

﴿أنْ تسألوا رسولكم﴾ محمّداً.

﴿كما سُئل موسى من قبل﴾ سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، وقال مجاهد: لمّا قالت قريش هذا لرسول الله ﷺ قال: «نعم وهو كالمائدة لبني إسرائيل إن لم تؤمنوا عُذّبتم» [٩٩] فأبوا ورجعوا، والصّحيح أن شاء الله إنها نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمّد أئتنا بكتاب من السّماء تحملهُ، كما أتى موسى بالتوراة، لأنّ هذه السّورة مدنية، وتصديق هذا القول قوله تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنزل عليهم كتاباً من السّماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾[2] في سُئل ثلاث قراءات:

بالهمز: وهي قراءة العامّة، و(سُئل) بتليين الهمزة وهي قراءة أبي جعفر و(سُئل) مثل (قيل) وهي قراءة الحسن.

﴿ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السّبيل﴾ أخطأ وسط الطريق.

﴿ودّ كثير من أهل الكتاب﴾ الآية نزلت في نفر من اليهود منهم: فنحاص بن عازورا وزيد ابن قيس؛ وذلك إنّهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أُحد: ألم تريا ما أصابكم ولو كنتم على الحقّ ماهزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً. فقالوا لهم: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد.

قال: فإني قد عاهدتُ ألاّ أكفر بمحمّد ﷺ ما عشتُ. فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبر، وقال حُذيفة: وأمّا أنا فقد رضيت بالله ربّاً وبمحمّد نبيّاً وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين أخواناً.

ثمَّ أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال: «أصبتما الخير وأفلحتما» [١٠٠][3]. فأنزل الله تعالى ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب﴾ أي تمنى وأراد كثير من اليهود.

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٢٨١.

(٢) سورة النساء: ١٥٣.

(٣)تفسير الكشاف: ١/ ١٧٦.

﴿لو يردونكم﴾ يا معشر المؤمنين.

﴿من بعد إيمانكم كفّاراً﴾ في انتصابه وجهان قيل: بالردّ وقيل: بالحال. ﴿حسداً﴾ وفي نصبه أيضاً وجهان: قيل على المصدر أي يحسدونكم حسداً، وقيل: بنزع حرف الصلة تقديره للحسد. وأصل الحسد في اللغة الالظاظ بالشيء حتّى يخدشه وقيل: للمسحاة محسد وللغراد حسدل زيدت فيه اللاّم كما يقال للعبد: عبدل.

﴿من عند أنفسهم﴾ أي من تلقاء أنفسهم لم يأمر الله عز وجل بذلك.

﴿من بعد ما تبين لهم الحقّ﴾ في التوراة إنّ محمّداً صادق ودينه حقّ.

﴿فاعفوا﴾ فاتركوا. ﴿واصفحوا﴾ وتجاوزوا.

﴿حتّى يأتي الله بأمره﴾ بعذابه القتل والسبّي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النظير قاله ابن عبّاس.

وقال قتادة: هو أمره بقتالهم في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله﴾ إلى ﴿وهم صاغرون﴾[1].

وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم حكم بعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية، وقيل: أراد به القيامة فيجازيهم بأعمالهم.

﴿إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وما تقدّموا﴾ تسلفوا.

﴿لأنفسكم من خير﴾ طاعة وعمل صالح.

﴿تجدوه﴾ تجدوا ثوابه ونفعه. ﴿عند الله﴾ وقيل: بالخبر الحال كقوله عزّ وجلّ ﴿إن ترك

(١) سورة التوبة: ٢٩.

خيراً﴾[1] ومعناه وما تقدّموا لأنفسكم من زكاة وصدقة تجدوه عند الله أي وتجدوا الثمرة واللقمّة مثل أُحُد **﴿إنّ الله بما تعملون﴾** ورد في الحديث: إذا مات العبد قال الله: ما خلّف؟

وقال الملائكة: ما قدّم؟

وعن أنس بن مالك قال: لمّا ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام الدّار فأنشأ يقول:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الّذي دون الفراق قليل

وإنّ افتقادي واحداً بعد واحد ... دليلٌ على أن لا يدوم خليل

ثمّ دخل المقابر فقال: السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسّمت ودوركم سكنّت وأزواجكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ فهتف هاتف: وعليكم السلام ما أكلنا رِبْحَنا وما قدّمنا وجدنا وما خلّفنا خسرنا[2].

﴿وقالوا لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً أو نصارى﴾ قال الفرّاء: أراد يهودياً فحذف الياء الزائدة ورجعوا إلى الفعل من اليهوديّة.

وقال الأخفش: اليهود جمع هايد مثل عائِد وعود وحائل وحول وعايط وعوط وعايذ وعوذ، وفي مصحف أُبي: إلاّ من كان يهودياً أو نصرانياً ومعنى الآية وقالت اليهود: لن يدخل الجنّة إلاّ من كان يهوديّاً ولا دين إلاّ دين اليهوديّة وقالت النصارى: لن يدخل الجنّة إلاّ من كان نصرانيّاً ولا دين إلاّ النصرانية قال الله تعالى: **﴿تلك أمانيّهم﴾** شهواتهم الّتي يشتهوها ويتمنوها على الله عزّ وجلّ بغير الحقّ وقيل أباطيلهم بلغة قريش.

﴿قل﴾ يا محمّد. **﴿هاتوا﴾** وأصله أتوا فقلبت الهمزة هاءً.

﴿برهانكم﴾ حجتكم على ذلك وجمعه براهين مثل قربان قرابين وسلطان وسلاطين.

﴿إن كنتم صادقين﴾ ثمّ قال ردّاً عليهم وتكذيباً لهم **﴿بلى﴾** ليس كما قالوا بل يدخل الجنّة **﴿من أسلم وجهه لله﴾** مقاتل: أخلص دينه وعمله لله وقيل: فوض أمره إلى الله.

وقيل: خضع وتواضع لله.

وأصل الإسلام والاستسلام: الخضوع والأنقياد وإنّما خصّ الوجه لأنّه إذا جاد بوجهه في السّجود لم يبخل بسائر جوارحه.

قال زيد بن عمرو بن نفيل:

اسلمتُ وجهي لمن اسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا

---

(١) سورة البقرة: ١٨٠.

(٢) الثقات لابن حبان: ٩/ ٢٣٥.

واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن يحمل عذباً زلالاً[١]

﴿وهو محسن﴾ في عمله، وقيل: مؤمن، وقيل: مخلص.

﴿فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿وقالت اليهود﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران؛ وذلك إنّ وفد نجران لمّا قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتّى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدّين وكفروا بعيسى والأنجيل، وقالت لهم النّصارى: ما أنتم على شيء من الدّين وكفروا بموسى والتوراة. فأنزل الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النّصارى على شيء وقالت النّصارى ليست اليهود على شيء﴾.

﴿وهم يتلون الكتاب﴾ وكلا الفريقين يقرأون الكتاب أي لتبين في كتابكم سر الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم مافيه على أنهم على الباطل.

وقيل: كان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية قال: صدقوا جميعاً والله كذلك.

﴿قال الّذين لا يعلمون﴾[٢] يعني أباءهم الذّين مضوا.

﴿مثل قولهم﴾ قال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيّهم محمّد ﷺ وأصحابه ليسوا على شيء من الدّين.

وقال ابن جريح: قلت لعطاء: (كذلك قال الذين لا يعلمون) من هم؟

قال: أُمم كانت قبل اليهود والنّصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونحوهم، قالوا في نبيهم إنّه ليس على شيء وأنّ الدّين ديننا.

﴿فالله يحكم بينهم﴾ يقضي بين المحقّ والمبطل يوم القيامة.

﴿فيما كانوا فيه يخّتلفون﴾ من الدّين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

﴿ومن أظلم ممّن منع مساجد الله أنْ يذكر فيها اسمه﴾ نزلت في ططيوس بن استيسانوس

---

(١) مجمع البيان: ١/٣٥٦.

(٢) في هامش المخطوطة: هم عوام اليهود لأنهم غير متعلمين.

الرّومي وأصحابه؛ وذلك إنّهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التّوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيّام عمر بن الخطّاب.

قتادة والسّدي: هو بخت نصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النّصارى ططيوس وأصحابه من أهل الرّوم.

قال السّدي: من أجل إنّهم قتلوا يحيى بن زكريّا، وقال قتادة: حملهم بعض اليهود على معاونة بخت نصّر البابلي المجوسي فأنزل الله إخباراً عن ذلك: **﴿ومن أظلم﴾** أيّ أكْفَر وأغشا **﴿ممن منع مساجد الله﴾** يعني بيت المقدس ومحاريبه. (أنّ يذكر) في محل نصب المفعول الثاني لأنّ المنع يتعدّى إلى مفعولين تقديره ممّن منع مساجد الله. الّذكر، وإن شئت جعلت نصباً بنزع حرف الصّفة أي: من أن يذكر.

﴿وسعى في خرابها﴾ أي في عمل خرابها.

﴿أُولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين﴾ وفي مصحف أُبي الاّخيّفاء.

قال ابن عبّاس: لا يدخلها بعد عمارتها رومي إلاّ خائفاً لو علم به قُتل.

قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلاّ متنكراً مشارفه لو قدر عليه عوقب ونهك ضرباً.

السّدي: أخيفوا بالجزية، وقال أهل المعاني: هذا خبر فيه معنى للأمر كقول: اجهضوهم بالجهاد كي لا يدخلها أحد منهم إلاّ خائفاً من القتل والسّبي نظيره قوله: **﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...﴾** إلى **﴿أبداً﴾**[1] نهاهم عن لفظ الخبر فمعنى الآية: ما ينبغي لهم ولكم وهذا وجه الآية.

﴿لهم في الدّنيا خزي﴾ عذاب وهوان.

قال قتادة: هو القتل للحربي والجزّية للذّمي.

مقاتل والكلبي: فتح مدائنهم الثلاثة: قسطنطينية وروميّة وعمورية.

السّدي: هو إنّه إذا قام المهدي [في آخر الزمان] فتحت قسطنطينية فقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدّنيا.

﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو النّار.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.

إسماعيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: لا تقوم السّاعة حتّى تفتح مدينة هرقل ويؤذّن فيها المؤذنون ويقسّم فيها المال بالترضية فينقلبون بأكثر أموال رآها النّاس قط فبينا هم كذلك إذا أتاهم إنّ الدجّال قد خلفكم في أهليكم فيلقون ما في أيديهم ويجيئونه ويقاتلونه.

وقال عطاء وعبد الرّحمن بن عوف: نزلت هذه الآية في مشركي عرب مكّة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا محمّداً ﷺ وأصحابه من حجّه والصّلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من تعميره بذكر الله عزّ وجلّ فقد سعوا في خرابه يدلّ عليه قوله تعالى: **﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾**[1] الآية **﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين﴾** يعني أهل مكّة يقول: أفتحها عليكم حتّى تدخلوها أو تكونوا أولى بها منهم ففتحها الله عليهم وأمر رسول الله ﷺ: منادياً فنادى: ألا لا يحجّنّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان فطفق المشركون يقولون: اللّهمّ إنّا قد منعنا أن نشرك بهذا لهم في الدّنيا خزي الذّل والقتل والسّبي والنّفي ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ الآية: اختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عبّاس: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر وذلك قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فاصابهم الضّباب فحضرت الصّلاة فتحروا القبلة وصلّوا فمنهم من صلّى إلى المشرق ومنهم من صلّى إلى المغرب. فلما ذهب الضّباب استبان لهم إنّهم لم يصيبوا. فلّما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت هذه الآية بذلك.

وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة: كنّا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً فجعل الرّجل يتّخذ أحجاراً فيعمل مسجداً يُصلّي فيه، فلّما أصبحنا إذا نحن قد صلّينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله: لقد صلّينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية.

قال عبد الله بن عمر: نزلت في صلاة المسافر يصلّي حيثما توجّهت به راحلته تطوعاً، وكان رسول الله ﷺ يُصلّي على راحلته جائياً من مكّة إلى المدينة.

وعن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يُصلّي على راحلته في السّفر حيثما توجّهت به[2].

قال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة لما حوّلت إلى الكعبة. فأنزل الله تعالى **﴿ولله المشرق والمغرب﴾**.

﴿فأينما تولوا﴾ أيها المؤمنون في سفركم وحضركم.

---

(١) سورة التوبة: ١٧.

(٢) كتاب الأم للشافعي: ١/ ١١٨، ومسند أحمد: ٢/ ٦٦.

﴿**فثمّ وجه الله**﴾ قبلة الله التي وجهكم إليها فاستقبلوها يعني الكعبة، وقال أبو العالية: لما غيّرت القبلة إلى الكعبة عيّرت اليهود المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس. فأنزل الله تعالى هذه الآية جواباً إليهم.

عطاء وقتادة: نزلت في النجاشي وذلك إنّه توفّي، فأتى جبرئيل النبيّ ﷺ فقال: إنّ أخاكم النجاشي قد مات فصلّوا عليه. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نُصلّي على رجل مات وهو يُصلي إلى غير قبلتنا؟ وكان النجاشي يُصلّي إلى بيت المقدس حتّى مات. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد والحسن والضحّاك: لمّا نزلت: ﴿**وقال ربّكم أدعوني أستجب لكم**﴾[1] قالوا أين ندعوه؟ فنزلت ﴿**ولله المشرق والمغرب**﴾ ملكاً وخلقاً ﴿**فأينما تولّوا**﴾ تحولّوا وجوهكم ﴿**فثمَ**﴾ هناك ﴿**وجه الله**﴾.

وقال الكلبي والقتيبي: معناه فثمّ الله عليم يرى والوجه صلة كقوله تعالى. ﴿**يريدون وجهه**﴾ أيّ يريدونه بالدُّعاء، وقوله ﴿**كل شيء هالك إلاّ وجهه**﴾[2]. أيّ إلاّ هو، وقوله تعالى ﴿**ويبقى وجه ربّك**﴾[3] أي ويبقى ربّك، وقوله ﴿**إنّما نطعمكم لوجه الله**﴾[4] أيّ لله.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان: فثمّ قبلة الله أضافها إلى نفسه تخصيصاً وتفصيلاً، كما يُقال: بيت الله، وناقة الله، والوجه والجهة والوجهة: القبلة.

﴿**إنّ الله واسع**﴾ قال الكلبي: واسع المغفرة لا يتعاظم مغفرته ذنب دليله قوله تعالى ﴿**إنّ ربّك واسع المغفرة**﴾[5].

أبو عبيدة: الواسع الغني يُقال: يُعطي فلان من سعة أي من غنى قال الله ﴿**لينفق ذو سعة من سعته**﴾[6] قال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاءُهُ كل شيء. دليله قوله تعالى ﴿**ورحمتي وسعت كلّ شيء**﴾[7] وقيل: الواسع العالم الذي يسع علمه كلّ شيء. قال الله ﴿**وسع كرسيّه السّموات والأرض**﴾[8] أي علمه.

﴿**عليم**﴾ بنياتهم حيثما صلّوا ودعَوَا، وقال بعض السّلف: دخَلت ديراً فجاء وقت الصّلاة فقلت لبعض من في الدّير: دُلني على بقعة طاهرة أُصلي فيها. فقال لي: طهّر قلبك عمّن سواه، وقف حيث شئت. قال: فخجلت منه.

(١) سورة غافر: ٦٠.
(٢) سورة القصص: ٨٨.
(٣) سورة الرحمن: ٢٧.
(٤) سورة الإنسان: ٩.
(٥) سورة النجم: ٣٢.
(٦) سورة الطلاق: ٧.
(٧) سورة الأعراف: ١٥٦.
(٨) سورة البقرة: ٢٥٥.

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ نزلت في يهود أهل المدينة حيث قالوا: عُزيرا بن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح بن الله وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله. (سبّحانه) نزّه وعظم نفسه.

﴿بل له ما في السّمٰوات والأرض﴾ عبيداً وملكاً.

﴿كل له قانتون﴾ مجاهد وعطاء والسّدي: مطيعون دليله قوله تعالى **﴿والقانتين والقانتات﴾**(١).

عكرمة ومقاتل ويمان: مقرون بالعبوديّة.

ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت: القيام، وسُئل رسول الله ﷺ أيّ الصّلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» [١٠١](٢)، وقيل: مصلّون دليله قوله **﴿أمن هو قانت أناء الليل﴾**(٣) وقال رسول الله ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله مثل القانت الصائم» [١٠٢]. أيّ المُصلّي(٤).

وقيل: داعون. دليله قوله تعالى **﴿قوموا لله قانتين﴾**(٥) واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال بعضهم: هو خاص، ثمَّ سلكوا في تخصيصه طريقين: أحدهما هو راجع إلى عُزير والمسيح والملائكة، وهو قول مقاتل ويمان.

القول الثاني قالوا: هو راجع إلى أهل طاعته دون النّاس أجمعين وهذا قول ابن عبّاس والفراء، وقال بعضهم: هو عام في جميع الخلق ثمَّ سلكوا في الكفّار الجاحدين طريقتين أحدهما: إنّ ظلالهم تسجد لله وتطيعه، وهذا قول مجاهد دليله قوله عزّ وجلّ **﴿يتفيئوا ظلاله عن اليمين﴾**(٦) الآية. قال الله تعالى **﴿وظلالهم بالغدوّ والآصال﴾**(٧).

والثاني: هذا يوم القيامة قاله السدي وتصديقه قوله تعالى: **﴿وعنت الوجوه للحي القيّوم﴾**(٨).

﴿بديع السّمٰوات والأرض﴾ أي مبتدعها ومنشُها من غير مثال سبق **﴿وإذا قضى أمراً﴾** أي بيده وأراد خلقه وأصل القضاء إتمام الشيء وإحكامه.

قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أوصنع السوابغ تبّع

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.
(٢) مسند أحمد: ٣/ ٣٠٢، وسنن الدارمي: ١/ ٢٣٩ ح ٣٨٥.
(٣) سورة الزمر: ٩.
(٤) مسند أحمد: ٢/ ٤٣٨، ومجمع الزوائد: ٥/ ٢٧٥.
(٥) سورة البقرة: ٢٣٨.
(٦) سورة النحل: ٤٨.
(٧) سورة الرعد: ١٥.
(٨) سورة طه: ١١١.

﴿فإنّما يقول له كن فيكون﴾.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وقال الّذين لا يعلمونَ﴾ يعني اليهود قاله ابن عبّاس.

مجاهد: هم النّصارى. قتادة: هم مشركو العرب. **﴿لولا﴾** هلاّ **﴿يكلّمنا الله﴾** عياناًبأنك رسوله.

﴿أو تأتينا آية﴾ دلالة وعلامة على صدقك.

قال الله تعالى: **﴿كذلك قال الّذين من قبلهم﴾** أي كفّار الأمم الخالية **﴿مثل قولهم تشابهت قلوبهم﴾** أشبه بعضها بعضاً في الكفر والفرقة والقسوة.

﴿قد بيّنا الآيات لقوم يوقنون﴾ **﴿إنّا أرسلناك﴾** يا محمّد **﴿بالحق﴾** بالصدق من قولهم فلان محقّ في دعواه إذا كان صادقاً دليله قوله تعالى **﴿ويستنبئونك﴾**[١] أحقٌّ هو؟ أي صدق. مقاتل: معناه لن نرسلك عبثاً بغير شيء بل أرسلناك بالحق، دليله قوله تعالى: **﴿وما خلقنا السّموات والأرض وما بينهما إلاّ بالحق﴾**[٢] وهو ضد الباطل.

ابن عبّاس: بالقرآن دليله قوله تعالى: **﴿بل كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم﴾**[٣].

ابن كيسان: بالاسلام دليله قوله عزّ وجلّ: **﴿وقل جاء الحقّ وزهق الباطل﴾**[٤] **﴿بشيراً﴾** مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم.

﴿ونذيراً﴾ منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾ عطاء وإبن عبّاس: وذلك إنّ النبيّ ﷺ، قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي» [١٠٣] فنزلت هذه الآية[٥].

---

(١) سورة يونس: ٥٣. (٢) سورة الأحقاف: ٣.

(٣) سورة ق: ٥. (٤) سورة الإسراء: ٨١.

(٥) تفسير القرآن لعبد الرزاق: ١/٥٩، وتفسير الطبري: ١/٧١٩.

وقال مقاتل: هو إنّ النّبي ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا» [١٠٤][1]. فأنزل الله تعالى: **﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾** وفيه قراءتان: بالجزم على النهي وهي قراءة نافع وشيبة والأعرج ويعقوب ووجهها القول الأول في سبب نزول الآية.

وقرأ الباقون: بالرفع على النفي يعني: ولست بمسؤول عنهم دليلها قراءة ابن مسعود: ولن تسأل وقراءة أُبي: وما نسألك عن أصحاب الجحيم ولا تؤخذ بذنبهم والجحيم وهو الجحم والجحمة: معظم النّار.

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم﴾ وذلك إنّهم كانوا يسألون النبيّ ﷺ الهدنة ويطمّعونه ويرون إنّه إن هادنهم إتّبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال إبن عبّاس: هذا في القبلة وذلك إنّ يهود أهل المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلّي النبيّ ﷺ إلى قبلتهم فلمّا صرف الله القبلة إلى الكعبة شقّ ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع﴾** دينهم وقبلتهم، وزعم الزجّاج: إنّ الملّة مأخوذة من التأثير في الشيء كما تؤثر الملّة في الموضع الّذي يختبز فيه.

﴿ولئن اتّبعت أهواءهم بعد الّذي جاءك من العلم﴾ البيان بأنّ دين الله هو الإسلام وقبلة إبراهيم عليه السلام هي الكعبة.

﴿مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ **﴿الّذين آتيناهم الكتاب﴾** قال ابن عباس: نزلت في أهل السفينة الّذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكانوا أربعين رجلاً وإثنا وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشّام منهم بحيرا.

وقال الضحّاك: من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه وسعيّة بن عمرو ويمام بن يهودا وأسيد وأسد إبنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا.

قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمّد ﷺ.

وقيل: هم المؤمنون عامّة.

﴿يتلونه حقّ تلاوته﴾ الكلبي: يصفونه في كتبهم حقّ صفته لمن سألهم من النّاس وعلى هذا القول الهاء راجعة إلى محمّد ﷺ.

وقال آخرون: هي عائدة إلى الكتاب ثمّ اختلفوا في معنى قوله **﴿يتلونه حقّ تلاوته﴾** سعيد عن قتادة قال: بلغنا عن ابن مسعود في قوله **﴿يتلونه حقّ تلاوته﴾** قال: يحلّون حلاله ويحرمون حرامه، ويقرأونه كما أُنزل، ولا يحرفونه عن مواضعه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم منه إلى عالمه.

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٢٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ١/١٢١، وراجع تفسير القرطبي: ٢/٩٢.

مجاهد: يتبعونه حقّ اتباعه.

﴿أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنّي فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنصرون﴾ إلى قوله **﴿وإذ ابتلى إبراهم ربّه﴾**.

وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

قرأ أبو الشعثا جابر بن زيد: **﴿إبراهيم﴾** ربه إبراهيم رفعاً وربه نصباً على معنى سأل ودعا فقيل له ومن اين لك هذا؟ فقال: اقرأنيه ابن عباس. وهذا غير قوي لأجل الباء في قوله **﴿بكلمات﴾** وقرأ الباقون بالنصّب، وجعلوا معنى الأبتلاء الأختيار والامتحان في الأمر، وهو الصحيح، وفي **﴿إبراهيم﴾** أربع لغات: قرأ ابن الزبّير: ابرهام بألف واحد بين الهاء والميم، وقرأ أبو بكر إبراهم وكان زيد بن عمر يقول في صلاته: إني عذت بما عاذ به إبراهيم، إذ قال:

إنـــي لـــك الـــلــهـــم عـــان راغـــم[(١)]

وقرأ عبد الله بن عامر اليحصبي: ابراهام بألفين، وقرأ الباقون: إبراهيم [. . . قال يحيى بن سعيد][(٢)] الأنصاري: أقرأ ابراهام وابراهيم. فأن الله عزّ وجلّ أنزلهما كما أنزل يعقوب واسرائيل، وعيسى والمسيح ومحمّداً وأحمد.

الربيع ابن عامر: مصحفة مكتوب في مصاحف أهل الشام إبراهام بالألف وفي غيرها بالياء.

وإبراهيم إسم أعجمي ولذلك لا يجري وهو إبراهيم بن نازح بن ناحور بن ساروخ بن ارخوا بن فالغ بن منابر بن الشالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح. فاختلفوا في مسكنه، فقال بعضهم: كان [بكشكر،][(٣)] وقال قوم: حرّان؛ ولكن أباه نقله إلى بابل أرض نمرود بن كنعان

---

(١) ومطلعه: مستقبل القبلة وهو قائم. (٢) مجموعة كلمات سقط في المخطوط.

(٣) كذا في المخطوط.

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى إبراهيم عليه السلام:

عن ابن عبّاس: هي ثلاثون سهماً، وهي شرائع الأسلام، ولم يبتل أحد بهذا الدّين كلّه فأقامه كلّه إلاّ إبراهيم (عليه الصلاة والسلام).

﴿فأتمهن﴾ فكتب له البراءة. فقال: **﴿وإبراهيم الذي وفى﴾** وهي عشرة في براءة **﴿التائبون العابدون﴾** الآية وعشرة في الأحزاب **﴿إنّ المسلمين والمسلمات﴾** الآية، وعشرة في المؤمنين **﴿وسأل سائل﴾** **﴿قد أفلح المؤمنون﴾**، وقوله **﴿إلاّ المصلين﴾**.

وروى طاووس عن ابن عبّاس قال: إبتلاه بعشرة أشياء هي من الفطرة والطّهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد فالتّي في الرأس قصّ الشارب والمضمضة والاستنشاق والسّواك وفرق الرأس، والّتي في الجسد: تقليم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء.

مجاهد: هي الأيات الّتي في قوله: **﴿قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً﴾** إلى آخر القصّة.

الربيع وقتادة: مناسك الحج.

الحسن: ابتلاه بسبعة أشياء إبتلاه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن في ذلك وعلم أنّ ربّه دائم لا يزول وإبتلاه بالنّار فصبر على ذلك، وإبتلاه بذبح ابنه فصبر على ذلك وبالختانُ فصبر على ذلك وبالهجرة فصبر عليه.

سعيد بن جبير: هي قول إبراهيم وإسماعيل حين يرفعان البيت **﴿ربنّا تقبّل منّا﴾**[(١)] فرفعاه بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر.

يمان: هي محاجّة قومه قال الله: **﴿وحاجّه قومه﴾** إلى قوله تعالى **﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾**[(٢)].

أبو روق: هي قوله عليه السلام **﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾** الآيات

وقال بعضهم: هي إنّ الله ابتلاه في ماله وولده ونفسه فسلم ماله إلى الضيفان، وولده إلى القربان، ونفسه إلى النيران، وقلبه إلى الرّحمن فاتخذه خليلاً، وقيل: هي سهام الأسلام وهي عشرة: شهادة أن لا اله إلاّ الله وهي الملّة والصلاة وهي القنطرة.. قال: [والزكاة][(٣)] وهي الطهارة والصّوم وهو الجنّة والحج وهو الشريعة، والغزو وهو النّصرة، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة، والأمر بالمعروف وهو الوفاء والنهي عن المنكر وهو الحُجّة. فأتمهنّ. قال قتادة: أدّاهن.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧. (٢) سورة الأنعام: ٨٣.

(٣) كلمة غير مقروءة والظاهر ما أثبتناه.

الربيع: وفى بهنّ.

الضّحاك: [. . . أيمانهن][(١)]، يمان: عمل بهن. قال الله ﴿**إنّي جاعلك**﴾ يا إبراهيم ﴿**للناس إماماً**﴾ ليقتدي بك وأصله من الأُم وهو القصد.

﴿**قال**﴾ إبراهيم ﴿**ومن ذرّيتي**﴾ ومن أولادي أيضاً. فاجعل أئمّة يُقتدى بهم وأصل الذريّة الأولاد الصغار مشتق من الذر لكثرته، وقيل: من الذرر وهو الخلق فخفف الهمز وأدخل التشديد عوضاً عن الهمز كالبرّيّة.

قيل: من الذرو وفيها ثلاث لغات:

ذريّة بكسر الذال، وهي قراءة زيد بن ثابت، وذريّة بفتحها وهي قراءة أبي جعفر، وذريّة بضمها وهي قراءة العامّة.

﴿**قال**﴾ الله ﴿**لاينال**﴾ أي لا يصيب.

﴿**عهدي الظالمين**﴾ وفيه ثلاث قراءات: عهدي الظالمون، وهي قراءة ابن مسعود وطلحة ابن مصرف، وعهدي الظالمين مرتجلة الياء، وهي قراءة أبي رجاء والأعمش وحمزة، وعهدي الظالمين بفتح الياء وهي قراءة العامّة، واختلفوا في هذا العهد فقال عطاء بن أبي رباح: رحمتي.

الضحّاك: طاعتي دليله قوله: ﴿**وأوفوا بعهدي أوفي بعهدكم**﴾[(٢)].

السّدي: [التوفي] دليله قوله ﴿**الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**﴾[(٣)].

مجاهد: ليس الظالم أن يطاع في ظلمه.

أبو حذيفة: أمانتي دليله قوله ﴿**وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم**﴾[(٤)].

أبو عبيد: أماني دليله قوله: ﴿**فأتمّوا إليهم عهدهم إلى مدّتهم**﴾[(٥)]، وقيل: إيماني دليله عزّ وجلّ ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان**﴾[(٦)].

﴿**وإذ جعلنا البيت**﴾ يعني الكعبة.

﴿**مثابةً**﴾ مرجعاً والمثاب والمثابة واحد كالمقام والمقامة قال ابن عبّاس: يعني معاذاً وملجأ.

مجاهد وسعيد بن جبير والضحّاك: [يَثِبون] إليه من كلّ جانب ويحجّون ولا يملّون منه فما من أحد قصده إلاّ وهو يتمنى العود إليه.

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) سورة البقرة: ٤٠.
(٣) سورة البقرة: ٢٧.
(٤) سورة النحل: ٩١.
(٥) سورة التوبة: ٤.
(٦) سورة يس: ٦٠.

قتادة وعكرمة: مجمعاً، وقرأ طلحة بن مصرف: مثابات على الجمع.

﴿للنّاس وأمناً﴾ مأمناً يأمَنون فيه.

قال ابن عبّاس: فمن أحدث حدثاً خارج الحرم ثمّ التجأ إلى الحرم أمن من أن يهاج فيه ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع ويوكلّ به فاذا خرج منه أقيم عليه الحد ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحدّ فيه.

﴿وإتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى﴾ قرأ شيبة وابن عامر ونافع والأعرج والحسن وابن أبي إسحاق وسلام: واتّخذوا بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون: بالكسر على الأمر.

قال ابن كيسان: ذكروا أن رسول الله ﷺ مرّ بالمقام ومعه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: «بلى» قال: أفلا نتخذه مصلّى؟

قال: «لم أؤمر بذلك» [١٠٥][١].

فلم تغب الشمس من يومهم حتّى نزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى﴾.

وعن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: وافقني ربي في ثلاث. قلت: لو أتخذت من مقام إبراهيم مصلّى فأنزل الله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى﴾ وقلت يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أُمهات المؤمنين فأنزل الله آية الحجاب قال: وبلغني شيء كان بين أُمهات المؤمنين وبين النبيّ ﷺ فاستنفرتهنّ فجعلت أقول لهنّ: لتكفنّ عن رسول الله أو استبدلته أزواجاً خيراً منكنّ حتّى أتيت على آخر أُمهات المؤمنين.

وقالت أمّ سلمّة: يا عمر أما في رسول الله ما يغبط نساءه حتّى يعظهن مثلك وأمسكت فأنزل الله تعالى: ﴿عسى ربّه إن طلّقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات﴾[٢] الآية.

واختلفوا في معنى قوله ﴿من مقام إبراهيم﴾ قال إبراهيم النخعي: الحرم كلّه مقام إبراهيم.

يمان: المسجد كلّه مقام إبراهيم.

قتادة ومقاتل والسّدي: هو الصّلاة عند مقام إبراهيم أُمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله.

وأمّا قصّتهُ وبدءُ أمره.

فروى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكّة ولبث على ذلك مدة، ونزلها الجوهميّون وتزوج إسماعيل امرأة منهم، وماتت هاجر. فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل. فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر

(١) مسند أبي الجعد: ٣٧، ةتفسير ابن كثير: ١/ ١٧٤.
(٢) سورة التحريم: ٥.

فذهب إلى بيت إسماعيل. فقال لأمرأته: أين صاحبك؟

قال: ليس هاهنا. ذهب للصيّد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثمّ يرجع. فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ هل عندكِ طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي ولا عندي أحد.

قال إبراهيم: إذا جاء زوجكِ فأقرئيه السّلام، وقولي له: فليغير عتبة بابه، وذهب إبراهيم، فجاء إسماعيل ووجد ريح أبيه. فقال لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟

قالت: جاءني شيخ صفته كذا، كالمستخفة بصفته. قال: فما قال لكِ؟

قالت: قال لي أقرئي زوجك مني السّلام، وقولي له: فليُغير عتبة بابه. فطلّقها، وتزوج أُخرى. فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثمّ استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، وجاء إبراهيم حتّى أتى إلى بيت إسماعيل.

فقال إبراهيم لامرأته: أين صاحبك؟

قالت: ذهب يتصيّد وهو يجيء الآن إنشاء الله فأنزل يرحمك الله.

قال لها: هل عندك ضيافة؟

قالت: نعم فجاءت باللّبن واللّحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أرض الله برّاً وشعيراً وتمراً وقالت له: إنزل حتّى أغسل رأسك فلم ينزل فجاء بالمقام فوضعته تحت شقّه الأيمن فوضع قدمه عليه وغسلت شقّ رأسه الأيمن ثمّ حوّلت المقام إلى شقّه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شقّ رأسه الأيسر فقال لها: إذا جاء زوجك فأقريه السّلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك. فلمّا جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن النّاس شبهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وقلت له كذا وغلست رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها: ذلك إبراهيم عليه السلام[1].

وقال أنس بن مالك: رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير إنّه أذهبه مسح النّاس بأيديهم.

نافع بن شيبة يقول: سمعت عبدالله بن عمر يقول: أشهد ثلاث مرّات أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنّة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب» [١٠٦][2].

﴿**عهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل**﴾ أي أمرناهما وأوصينا إليهما.

---

(١) تاريخ الطبري: ١/١٨١ ط. الأعلمي بيروت.

(٢) المجموع للنووي: ٨/٣٦، ومسند أحمد: ٢/٢١٣.

﴿**أن طهّرا بيتي**﴾ الكعبة أي إبنياه على الطّهارة والتوحيد.

وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمر وعطاء ومقاتل: طهّرا بيتي من الأوثان والرّيب وقول الزور، وسمع عمر رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال: ما هذا أتدري أين أنت؟

الأوزاعي عن عهدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أوحى إليّ يا أخ المرسلين يا أخا المنذرين إنذر قومك ألاّ يدخلوا بيتاً من بيوتي إلاّ بقلوب سليمة وألسن صادقة وأيد نقيّة وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة فإنّي ألعنه ما دام قائماً بين يديّ يصلّي حتّى يردّ تلك الظلامة إلى أهلها فأكون سمعه الّذي يسمع به وأكون بصره الّذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيّين والصدّيقين و الشّهداء والصالحين» [١٠٧](١).

وقال يمان بن رئاب: معناه بخّراه وخلقاه(٢).

مكحول عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: «جنّبوا مساجدكم غلمانكم(٣) ـ يعني صبيانكم ومجانينكم ـ وسلّ سيوفكم ورفع أصواتكم وحدودكم وخصومكم وبيعكم وشراءكم وحمرّوها يوم جمعتكم واجعلوا على أبوابها بظاهركم» [١٠٨](٤).

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وجعفر وأهل المدينة: (بيتي) بفتح الياء وقرأ الاخرون: باسكانه واضافته تعالى إلى نفسه سبحانه تخصيصاً وتفضيلاً.

﴿**للطائفين**﴾ حوله وهم النزاح إليه من آفاق الأرض. ﴿**والعاكفين**﴾ أي المقيمين فيه وهم سكّان الحرم. ﴿**والركّع**﴾ جمع الرّاكع. ﴿**السّجود**﴾ جمع الساجد مثل قاعد وقعود.

قال عطاء: إذا كان طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان جالساً فهو من العاكفين وإذا كان مصلّياً فهو من الركّع السجود.

الاوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في كلّ يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت فستون للطائفين وأربعون للمصلّين وعشرون للناظرين» [١٠٩](٥).

---

(١) كنز العمال: ١٥/ ٩٣٣، وتفسير القرطبي: ٢/ ١١٥ .

(٢) راجع تفسير القرطبي: ٢ / ١١٤.

(٣) في المصادر لا يوجد غلمانكم وما هو موجود: جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم. . .

(٤) المجموع للنووي: ٢٠/ ١٣٢، وسنن ابن ماجة: ١/ ٢٤٧ ح ٧٥٠ ز

(٥) تاريخ دمشق: ٣٤/ ٣٨٨ .

﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا﴾ يعني مكّة أو الحرم.

﴿بلداً آمناً﴾ أي مأموناً فيه يأمن أهله.

﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ قال الأخفش: من آمن بدل من أهله على البيان، كما يُقال: أخذت المال ثلثيه ورأيت القوم ناساً منهم، وهذا ابدال البعض من الكلّ كقوله: ﴿ولله على النّاس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[1].

﴿قال﴾ الله. ﴿ومن كفر فأمتعه قليلاً﴾ فسأرزقه آلى منتهى أجله لأنه تعالى وعد الرزق للخلق كافة كافرهم ومؤمنهم وقيد بالقلة لأن متاع الدنيا قليل. قرأ معاوية وابن عامر: فامتعه بضم الألف وجزم الميم خفيفة، وقرأ أُبي: فنمتعه قليلاً ثمّ نضطره بالنون.

﴿ثمّ أضطره﴾ موصولة الألف مفتوحة الراء على عهد الدُّعاء من إبراهيم عليه السلام، وقرأ الباقون: فأمتعه بضم الألف مشددّة ثمّ اضطره على الخبر أيّ الجنة في الآخرة ﴿إلى عذاب النّار وبئس المصير﴾ أيّ المرجع تصير إليه.

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمٰعيل﴾ روى الرواة من أسانيد مختلفة في بناء الكعبة جمعت حديثهم ونسقته ليكون أحسن في المنطق وأقرب إلى الفهم.

قالوا: خلق الله عزّ وجلّ موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، فكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها. فلما أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض كان رأسه يمسّ السّماء حتّى صلع وأورث أولاده الصّلع ونفرت من طوله دواب الأرض فصارت وحشاً من يومئذ، وكان يسمع كلام أهل السّماء ودُعاءهم وتسبيحهم، يأنس إليهم فهابته الملائكة واشتكت نفسه. فنقصه الله عزّ وجلّ إلى ستين ذراعاً بذراعه. فلمّا فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش، وشكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ. فأنزل الله ياقوتة من يواقيت الجنّة الكلام مقطوع له بابان من زمرّد أخضر باب شرقي وباب غربي فأنزل الله فيه قناديل من الجنّة. فوضعه على موضع البيت إلى الآن ثمّ قال: يا آدم إنّي أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشي، وتصلّي عنده كما يُصلّى عند عرشي.

فأنزل عليه الحجر. فمسح به دموعه وكان أبيض فلما لمسته الحُيَّض في الجاهلية أسود.

وقال النبيّ ﷺ: «إنّما الحجر ياقوتة من يواقيت الجنّة ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسّهُ ذو عاهة إلاّ شفاه الله تعالى» [١١٠][2].

فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكّة ماشياً وقيّض[3] الله له ملكاً يدلّه على البيت.

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) في هامش المخطوطة: قيض: تقدير.

(٣) بتفاوت في الجامع الصغير: ١/ ٥٨٧ ح ٣٨٠٣، والعهود المحمدية: ٢٢٤.

قيل لمجاهد: يا أبا الحجّاج ألاّ كان يركب؟

قال: فأي شيء كان يحمله فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيّام وكلّ موضع وضع عليه قدمه عمران وما تعدّاه مفاوز وقفار فأتى مكّة وحجّ البيت وأقام المناسك فلمّا فرغ تلقّته الملائكة فقالوا: برّحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

قال ابن عبّاس: حجّ آدم أربعين حجّة من الهند إلى مكّة على رجليه فهذا بدء أمر الكعبة فكانت على ذلك إلى أيّام الطّوفان فرفعه الله إلى السّماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وبعث الله جبرائيل حتّى خبّأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة عن الغرق فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام ثمّ إنّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت له يعبد ويذكر فيه فلم يدر إبراهيم أين خبّيء فسأل الله تعالى أن يبيّن له موضعه فبعث الله إليه السكينه ليدلّه على موضع البيت وهي ريح جموح لها رأسان شبه الحيّة فتبعها إبراهيم إلى أن أتيا مكّة فطوّق الله السكينة على موضع البيت كتطويق الحيّة الحجفة وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السّكينة فبناه وهذا قول علي والحسن بن أبي الحسن، وقال ابن عبّاس: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلمات إلى أن وافت مكّة ووقفت على موضع البيت، ونودي: أنْ يا إبراهيم إبني على ظلّها لا يزد ولا تنقص فبنى بخيالها.

وقال بعضهم: أرسل الله جبرائيل ليدلّه على موضع فذلك قوله **﴿وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت﴾**[١] فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، جعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة.

قال الثّعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر محمّد بن محمّد بن أحمد القطان البلخي وكان عالماً بالقرآن يقول: كان إبراهيم يفهم بالسريانية وإسماعيل بالعربيّة وكلّ واحد منهما يعرف ما يقول صديقه وما يمكن التفوّه به وكان إبراهيم يقول لإسماعيل: هبلي كنيا يعني: ناولني الحجر، ويقول إسماعيل: هاك الحجر خذه.

قالوا: فبقي موضع الحجر فذهب إسماعيل إليه فجاء جبرئيل بحجر من السّماء فأتى إسماعيل وقد ركّب إبراهيم الحجر في موضعه فقال له: من آتاك بهذا؟

فقال: آتاني به من لم يتكّل على بناءك فأقاما البيت فذلك قوله: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾**[٢].

قال ابن عبّاس: يعني أُصول البيت الّتي كانت قبل ذلك.

---

(١) سورة الحج: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٢٧.

الكلبي وأبو عبيدة: أساسه واحدته قاعدة فبنياه من خمسة أجبل طور سيناء [. . . وطور سينا والجودي][١] وبنيا قواعده من حرّاء، فلّما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل: جئني بحجر حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال له: جئني بحجر أحسن من هذا، فمضى إسماعيل بطلبه فصاح أبو قبيس[٢] يا إبراهيم إنّ لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود ووضعه مكانه.

وقيل: إنّ الله تعالى مدّ لإبراهيم وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما على بناء البيت فلمّا فرغا من بنائه قالا: **﴿ربّنا تقبّل﴾** أي تقبل منّا بناءنا البيت. **﴿إنّك أنت السميع العليم﴾** بنيّاتنا.

﴿ربّنا واجعلنا مُسلمَين﴾ موحّدين مطيعين مخلصين **﴿لك﴾**.

وقرأ عون بن أبي جميلة: مسلمين بكسر الميم على الجمع.

﴿ومن ذرّيتنا﴾ أولادنا **﴿أمّة مسلمة وأرنا﴾** علمنا نظيره قوله **﴿لتحكم بين النّاس بما أراك الله﴾** أي: علّمك الله وفيه أربع قراءات:

عبد الله بن مسعود: وأرهم مناسكهم ردّه إلى الأمّة.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز وقتادة وابن كثير ورويس بسكون الرّاء كل القرآن.

وقرأ أبو عمرو: باختلاس كسره للواو.

وقرأ الباقون: بكسر الرّاء والأصل فيها أرانا بالهمز فحذفت استخفافاً.

فمن قرأ بالجزم قال: ذهبت الهمزة وذهبت حركتها وبقيت الرّاء ساكنة على حالها واستدل بقول السدي: أَرْنَا أداوة عبدالله نملأها من ماء زمزم إنّ القوم قد ظمئوا.

ومن كسر فأنّه نقل حركة الهمزة المحذوفة إلى الرّاء.

وأمّا أبو عمرو فطلب الخفّة.

وأخبر القاسم بن سلام عن شجاع بن أبي نصر قال، وكان أميناً صدوقاً: إنّه رأى النبيّ ﷺ في المنام فذكّره أشياء من حرف أبي عمرو فلم يردّ عليه إلاّ حرفين أحدهما هذا والأخر: ما ننسخ من آية أو ننسأها مهموزة.

﴿مناسكنا﴾ شرائع ديننا وإعلام حجّتنا.

وقال مجاهد: مذابحنا والنسك: الذّبيحة، وأصل النسك: العبادة يقال للعابد ناسك قال

---

(١) كلمات غير مقروءة.

(٢) في هامش المخطوطة: وهو جبل بمكة.

الشّاعر:

وقد كنت مستوراً كثير تنسّك فهتكت أستاري ولم يبق لي نسكاً

فأجاب الله دعاءهما وبعث جبرئيل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلمّا بلغ عرفات قال لإبراهيم: عرفت يا إبراهيم؟

قال: نعم فسمّي الوقت عرفه والموضع عرفات.

﴿وتُبْ علينا﴾ تجاوز عنّا وارجع علينا بالرأفة والرحمة.

﴿إنّك أنت التّواب﴾ المتجاوز الرجّاع بالرحمة على عبادك. **﴿الرحيم﴾**.

﴿ربّنا وابعَثْ فيهم﴾ أي في الأمّة المسلمة من ذريّة إبراهيم وإسماعيل.

وقيل: في أهل مكّة **﴿رسولاً﴾** أي مرسلاً وهو فعُول من الرسالة.

وقال ابن الأنباري: يشبه أن يكون أصله من قولهم ناقة مرسال ورسله إذا كانت سهلة السّير ماضية أمام النواق.

ويقال للجماعة المهملة المرسلة: رسْل وجمعه أرسال.

ويقال: جاء القوم ارسالاً أيّ: بعضهم في أثر بعض، ومنه قيل للّبن رُسلاً لأنّه يرسل من الضرع[1].

﴿يتلوا﴾ يقرأ **﴿عليهم آياتك﴾** كتابك جمع الأية وهي العلامة.

وقيل: الآية جماعة الحروف.

وقال الشيباني: هي قولهم: خرج القوم بمافيهم أي بجماعتهم.

﴿ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ فقال بعضهم: الآية هاهنا الكتاب فنسّق عليه خلاف اللفظين كقول الحطيئة:

ألا حبّذا هند وأرض بها هند وهند تفصيل اتى من دونها النّأي والبعد

مجاهد: يعني الحكمة فهم القرآن.

مقاتل: هي مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام وبيان الحلال والحرام.

ابن قتيبة: هي العلم والعمل ولا يسمّى الرّجل حكيماً حتّى يجمعهما.

وعن أبي بكر محمّد بن الحسن البريدي: كلّ كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى

(١) راجع تفسير القرطبي: ٢ / ١٣١.

مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، ومنه قول النبيّ ﷺ: «إنّ من الشّعر لحكمة»[١] [١١١].

وعن أبي جعفر محمّد بن يعقوب: الحكمة كلّ صواب من القول ورّث فعلاً صحيحاً أو حالاً صحيحاً.

يحيى بن معاذ: الحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين حتّى يروّح عنها وهج الدّنيا، وقيل: هي وضع الأشياء مواضعها، وقيل: الحكمة والحكم كلّما وجب عليك فعله.

قال الشّاعر:

قد قلت قولاً لم يعنّف قائله　　　الصمت حكم وقليل فاعله

أي واجب العمل بالصمت.

وقيل: هي الشرك والذّنوب، وقيل: أخذ زكاة أموالهم.

وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا الأنبياء بالبلاغ، دليله قوله تعالى: ﴿**كذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾[٢].

﴿**إنّك أنت العزيز**﴾ ابن عبّاس: العزيز الّذي لا يوجد مثله، بيانه قوله: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[٣].

الكلبي: العزيز المنتقم ممّن يشاء بيانه قوله ﴿**والله عزيز ذو انتقام**﴾[٤].

الكسائي: العزيز الغالب بيانه قوله ﴿**وعزّني في الخطاب**﴾[٥]: أي غلبني.

وقيل في المثل: من عزيز.

ابن كيسان: العزيز الّذي لا يعجزه شيء بيانه قوله: ﴿**وما كان الله ليعجزه من شيء في السمٰوات ولا في الأرض**﴾[٦].

المفضّل بن سلمة: العزيز المنيع الّذي لا تناله الأيدي فلا يردّ له أمر ولا يغلب فيما أراد بيانه قوله ﴿**إنّ ربّك فعال لما يريد**﴾[٧].

---

(١) كنز العمال: ٣/ ٨٦٥، ولسان العرب: ١٢/ ١٤١.
(٢) سورة البقرة: ١٤٣.
(٣) سورة الشورى: ١١.
(٤) سورة آل عمران: ٤.
(٥) سورة ص: ٢٣.
(٦) فاطر: ٤٤.
(٧) سورة هود: ١٠٧.

وقيل: بمعنى المعزّ فعيل بمعنى مفعل بيانه قوله ﴿وتعزّ من تشاء﴾[(١)].

وقيل: هو القوي بيانه قوله ﴿فعززنا بثالث﴾[(٢)] أي قوّينا. فأصل العزّة في اللّغة الشدّة يقال تعزز لحم النّاقة إذا إشتدّ ويقال: عزّ عليّ أي شقّ عليّ وأشتد، وأنشد أبو عمرو:

أجد إذا ضمرت تعزّز لحمها   وإذا نشد بتسعها لا تيئس

فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث فيهم محمّداً سيّد الأنبياء ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنّي عبدالله في أُمّ الكتاب لخاتم النبييّن وإنّ آدم لمجدل في طينة[(٣)] وسوف أنبئكم بذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى(عليهما السلام) قومه، ورؤيا أُمي التي رأت إنّه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك ترى أمّهات النبييّن» [١١٢][(٤)].

سعيد بن سويد عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه﴾ الآية.

وذلك إن عبد الله بن سلام دعا إبني أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما إنّ الله عزّ وجلّ قال في التوراة: إنّي باعث من ولد إسماعيل نبياً إسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجراً أن يسلم فأنزل الله تعالى.

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه﴾ أي يترك دينه وشريعته.

يقال: رغب في الشيء إذا أردته ورغبت عنه إذا تركته.

وأصل الرّغبة: رفع الهمّة عن الشيء وإليه يقال: رغب فلان في فلان وإليه إذا همّت نفسه إليه، والأصل فيه الكرة فمعنى قوله تعالى ﴿ومن يرغب عن ملّة إبراهيم﴾ أي يرفع همّته عنها ﴿إلاّ من سفه نفسه﴾.

---

(١) سورة آل عمران: ٢٦.
(٢) يس: ١٤.
(٣) في المصادر: طينته.
(٤) بتفاوت في مسند أحمد: ٤/١٢٧، وفتح الباري: ٦/٤٢٦.

قال ابن عبّاس: حيّر نفسه.

حيّان عن الكلبي: ظلّ من [جهة] نفسه(١).

أبو روق: عجّز رأيه عن نفسه.

يمان: حمق رأيه، ونفسه منصوب في هذه الأقاويل بنزع حرف الصّفة.

وقال الفرّاء: نصب على التفسير، والأصل: سفهت نفسه فلمّا أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسَّرة ليعلم موضع السفه كما يقال: ضقت به ذرعاً معناه: ضاق ذرعي به، ويقال: ألم زيدُ رأسه ووجع بطنه.

وقال أبو عبيدة: سفه نفسه: أي أوبق نفسه وأهلكها.

هشام وابن كيسان: جهل نفسه.

وحكى المفضّل بن سلمة عن بعضهم سفه. حقّر نفسه.

والنفس على هذه الأقوال نصب لوقوع الفعل عليه وهذا كما جاء في الخبر: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» [١١٣](٢).

وأصل السفه والسفاهة: الخفّة والجهل وضعف الرأي يقال سفه يسفه وسفه يسفه.

﴿**ولقد اصطفيناه**﴾ اخترناه ﴿**في الدنيا**﴾ وأصل الطاء فيه تاء حوّلت طاء لقرب مخرجيها ولتطوع اللسان به.

﴿**وإنّه في الآخرة لمن الصالحين**﴾ الفائزين. قال الزجّاج وقال ابن عبّاس: يعني مع آبائه الأنبياء في الجنّة بيانه قوله: خطابه عن يوسف ﴿**توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين**﴾(٣).

وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها لقد إصطفيناه في الدنياً والأخرة بأنّه لمن الصالحين نظيرها في سورة النحل. ﴿**إذ قال له ربّه أسلم**﴾ أي استقم على الإسلام أو اثبت عليه لأنّه كان مُسلماً كقوله تعالى ﴿**فاعلم إنّه لا إله إلاّ الله**﴾(٤) أي أثبت على علمك.

وقال ابن عبّاس: إنّما قال له ذلك حين أُلقي في النّار، وعن ابن كيسان: أخلص دينك لله بالتوحيد.

عطاء: أسلم نفسك إلى الله، وفوّض أمورك لله، وقيل: إخضع وإخشع.

---

(١) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٣٢ ونسبه للزجاج.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٣٧٥، وفيض القدير: ٥/ ٦٤ ح ٦٤١٦ .

(٣) سورة يوسف: ١٠١. (٤) سورة محمد: ١٩.

﴿قال أسلمت لربّ العالمين﴾ ﴿ووصى﴾ في مصحف عبد الله: فوّصى، وقال أهل المدينة والشام: وأوصى بالألف، وكذلك هو في مصاحفهم.

قال أبو عبيد: وكذلك رأيت في مصحف عثمان، وقرأ الباقون «ووصّى» مشدداً، وهما لغتان، يُقال: أوصيته قد وصيته به إذا أمرته به مثل: أنزل ونزّل. قال الله **﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾**[1]، وتصديق الأيصاء قوله **﴿يوصيكم الله﴾**[2]، وقوله **﴿يوصين﴾**[3]، ودليل التوصية قوله **﴿ووصّينا الأنسان بوالديه حسناً﴾**[4]، وقوله **﴿فلا يستطيعون توصية﴾**[5].

الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الأحاد لا إله إلاّ الله، وقال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملّة لأنّه ذكر ملّة إبراهيم وأن شئت رددتها إلى الوصية.

وقال المفضل: بالطاعة كناية عن غير مذكور، كقوله **﴿حتّى توارت بالحجاب﴾**[6]، وقال طرفة:

على مثلها الحواء إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك عنها وافتدي

أي من الفلاة.

﴿بها إبراهيم بنيه﴾ التمنية: إسماعيل وأمّه هاجر القبطية، وإسحاق وأمّه سارة، ومدين و [. . . سراين][7] ونقشان، وآتون، ويشبق، وشوخ، وأمّهم جميعاً ـ قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوّجها إبراهيم بعد وفاة سارة.

وقوله تعالى **﴿ويعقوب﴾** وسُمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدّم عيص في الخروج من بطن أمّه وخرج يعقوب على أثره فأخذ يعقبه. قاله ابن عبّاس وقد مضت القصّة.

وقيل: سُمّي يعقوب لكثرة عقبه، وعن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثت على أثر ثمانية الآف نبيّ أربعة آلاف من بني إسرائيل» [١١٤][8].

ومعنى الآية: ووصى بها أيضاً، ويعقوب: بنيه الأثني عشر وهم روفيل أكبر ولده وشمعون ولاوي وهودا وفريالون وسجر ودان ومفتالي وجاد واشرب[9] ويوسف وابن يافين.

---

(١) سورة الطارق: ١٧.
(٢) سورة النساء: ١١.
(٣) سورة النساء: ١٢.
(٤) سورة العنبكوت: ٨.
(٥) سورة يس: ٥٠.
(٦) سورة ص: ٣٢.
(٧) كلمة غير مقروءة في المخطوط.
(٨) كنز العمال: ١١/ ٤٨٣ ح ٣٢٢٨٠، والبداية والنهاية: ٢/ ١٨٣.
(٩) في تفسير الطبري (١ / ٧٩٠): لاوي ويهوذا وريالون ويشجر ونفثالي وجاد واشرب ويوسف ويعقوب وشمعون ودان وبنيامين.

﴿يا بنيّ﴾ معناه أن يا بنيّ، وكذلك في قراءة أُبي وابن مسعود، وقال الفراء: إنّما قال ذلك لأنّ الوصية قول وكان تقديره وقال: يا بنيّ كقوله **﴿وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**(١) أي وقال لهم لأنّ العبرة بالقول وقال **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر﴾**(٢) معناه ويقول للذكر مثل حظ الأنثيين.

وقال الشاعر:

إنّي سأبدي لك فيما أبدي من شجنان شجن نجد وشجن لي ببلاد الهند

أي وأقول لأنّ الابداء في المعنى كالقول باللسان.

وحكى ابن مجاهد عن بعضهم ويعقوب أيضاً نسقاً على بنيه لأنه في جملة الموصّين.

﴿إنّ الله إصطفى لكم الدين﴾ اختار لكم الإسلام.

﴿فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾ مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون وعن الفضيل ابن عياض في قوله: **﴿فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾** أي محسنون بربّكم الظن.

﴿أم كنتم شهداء﴾ حضوراً.

﴿اذ حضر يعقوب الموت﴾ الآية نزلت في اليهود حين قالوا للنبيّ ﷺ: ألست تعلم إنّ يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية(٣)؟ وعلى هذا القول [......](٤) بن الخطاب لليهود.

وقال الكلبي: لمّا دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيّران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك.

﴿اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ قال عطاء: إنّ الله لم يقبض نبيّاً حتّى يخيّره بين الموت والحياة فلمّا خيّر يعقوب قال: أنظرني حتّى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ أي من بعد موتي.

﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم﴾ الآية، وقرأ أُبي: إلهك وإله إبراهيم وإسماعيل.

وقرأ يحيى بن يعمر الجحدري: وإله أبيك على الواحد، قالوا: لأنّ إسماعيل عم يعقوب لا أبوه.

وقرأ العامّة: آبائك على الجمع وقالوا: عم الرّجل صنو أبيه.

---

(١) سورة المائدة: ٩.

(٢) سورة النساء: ١١.

(٣) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٣٣.

(٤) كلمة غير مقروءة.

قال النبيّ ﷺ: «هذا بقية آبائي» [١١٥]، وقال أيضاً: «ردّوا عليّ أبي فإني أخشى أن يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود» [١١٦]. يعني العبّاس.

والعرب تسمّي العمّ أباً وتسمّي الخالة أمّاً قال الله تعالى ﴿**ورفع أبويه على العرش**﴾(١) يعني يعقوب وليّا وهي خالة يوسف.

﴿**إلهاً واحداً**﴾ أي نعرفه ونعبده إلهاً واحداً.

﴿**ونحن له مسلمون**﴾ ﴿**تلك أمّة**﴾ جماعة ﴿**قد خلت لها ما كسبت**﴾ من الدين والعمل.

﴿**ولكم ما كسبتم**﴾ منها.

﴿**ولا تُسئلون عمّا كانوا يعملون**﴾ وإنّما تسألون عمّا تعملون أنتم.

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

﴿**وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا**﴾ قال ابن عبّاس: نزلت في رؤوس يهود أهل المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن المصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى أهل نجران: السيّد والعاقب وأصحابهما وذلك إنّهم خاصموا المسلمين في الدين كلّ فرقة تزعم إنّها أحقّ بدين الله من غيرها فقالت اليهود ديننا خير الأديان ونبيّنا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وكفرت بعيسى والأنجيل ومحمّد والقرآن.

وقالت النصارى: نبينّا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الأنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمّد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلاّ ذلك دعوهم إلى دينهم إلا الحنيفية. فقال الله تعالى: قل يا محمّد ﴿**بل ملّة**﴾ أي بل نتبع ملّة ﴿**إبراهيم**﴾ وقرأ الأعرج: (بل ملّ)ة رفعاً على الخبر.

﴿**حنيفاً**﴾ نصب على القطع. أراد بل ملّة إبراهيم الحنيف فلمّا أُسقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة. فانقطع منه فنصب قاله نُحاة الكوفة، وقال أهل البصرة: نصب على الحال قال ابن عبّاس: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصلها من الحنف وهو ميل وعوج في القدم ومنه سُمّي أحنف بن قيس.

---

(١) سورة يوسف: ١٢.

مقاتل: مُخلصاً.

كثير بن زياد قال: سألت الحسن عن الحنيفية فقال: هي حج هذا البيت.

الضحاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن فهو المسلم.

قتادة: من الحنيفية الختان، وترك نكاح الأخت.

﴿وما كان من المشركين﴾ علم المسلمين مجرى التوحيد وطريق الأيمان. فقال **﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا﴾** يعني القرآن **﴿وما أُنزل إلى إبراهيم﴾** وهو عشر صحف.

﴿وإسمٰعيل وإسحق ويعقوب والأسباط﴾ يعني أولاد يعقوب واحدهم سبط. سمّوا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة من النّاس وسبط الرّجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين (عليهما السلام) سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، والشعوب من العجم.

وعن أبي سعيد الضرير: إنّ أصل السّبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان فُسمّي الأسباط بها لكثرتهم. فكما إنّ الأغصان من شجرة واحدة كذلك الأسباط كانوا من يعقوب، وكان في الأسباط أنبياء، وكذلك قال **﴿وما أُنزل إليهم﴾** وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلّهم أنبياء.

﴿وما أوتي موسى﴾ يعني التوراة.

﴿وعيسى﴾ الانجيل. **﴿وما أوتي﴾** أُعطي.

﴿النبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿ونحن له مسلمون﴾ فلمّا نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ على اليهود والنصارى وقال: «إنّ الله أمرني بهذا» [١١٧] فلمّا سمعت اليهود بذكر عيسى أنكروا وكفروا به وكفرت النصارى وقالوا: لأنّ عيسى ليس بمنزلة سائر الأنبياء ولكنّه ابن الله فأنزل الله تعالى **﴿فإنْ آمنوا﴾** يعني اليهود النصارى.

﴿بمثل ما آمنتم به﴾ أي بجميع ما آمنتم كإيمانكم، وقيل مثل صلة أي بما آمنتم به، وهكذا كان يقرأها ابن عبّاس ويقول: إقرؤا (فإن آمنوا بما آمنتم به) فليس لله مثل ونظيره قوله: **﴿وليس كمثله شيء﴾**: أي كهو. قال الشاعر:

يـا عـاذلـي دعـنـي مـن عـذلـكـا ... مـثـلـي لا يـقـبـل مـن مـثـلـكـا

أي أنا لا أقبل منك.

﴿فقد اهتدَوا وإن تولّوا فإنّما هم في شقاق﴾ قال ابن عبّاس وعطاء والأخفش: في خلاف يقال: شاقّ يشاقّ مشاقّة إذا خالف كانّ كل واحد أخذ في شقّ غير شقّ صاحبه دليله قوله ﴿لا يجرمنّكم شقاقي﴾[(١)] أي خلافي وأُنشد:

فكان إليها والّذي إصطاد بكرها شقاقاً وبعضهن أو لطم وأهجرا

وقال ابن سلمة والسّدي: في عداوة كان كلّ واحد منهما أخذ في شقّ صاحبه أي في جهده وما يشق عليه من قوله ﴿إلاّ بشق الأنفس﴾[(٢)] دليله قوله: ﴿ذلك بأنّهم شاقّوا الله ورسوله﴾[(٣)] أي عادوا الله ورسوله.

قال بشر بن أبي حازم:

وإلاّ فاعلموا انّا وأنتم بغاة ما حيينا في شقاق

أي في عداوة.

مقاتل وابو عبيدة: في ضلال واختلاف بيانه قوله ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾[(٤)] أي اختلاف بينهما.

قال الشاعر:

إلى كم نقتل العلماء قسراً ونفجر بالشّقاق وبالنفاق

أي بالضلال والاختلاف.

الكسائي: هي خلع الطّاعة بيانه قوله ﴿ومن يشاقق الرّسول﴾[(٥)].

الحسن: في بعاد وفراق إلى يوم القيامة.

﴿فسيكفيكهم الله﴾ يا محمّد يعني اليهود والنصارى.

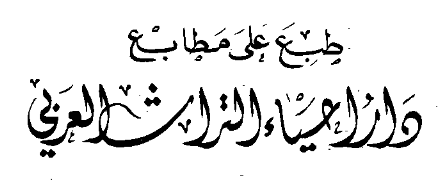
﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم.

﴿العليم﴾ بأحوالهم وكفاهم الله تعالى أمرهم بالقتل والسبّي في بني قريظة والجلاء والنفي في بني النضير والجزية والذلّة في نصارى نجرانمحتوى الجزء الأول من كتاب تفسير الثعلبي.

---

(١) سورة هود: ٨٩.
(٢) سورة النحل: ٧.
(٣) سورة الأنفال: ١٣.
(٤) سورة النساء: ٣٥.
(٥) سورة النساء: ١١٥.

محتوى الجزء الأول من كتاب تفسير الثعلبي


طبع على مطابع
دار إحياء التراث العربي